نام كتاب: عصر الإمام السجاد، سياسيا و إجتماعيا

پديدآور: يوسفى غروى، محمدهادى‏

موضوع: امام سجاد( ع)

زبان: عربى‏

تعداد جلد: 1

ناشر: المجمع العالمي لاهل البيت( عليهم السلام)

مكان چاپ: قم- ايران‏

سال چاپ: 1436 ه. ق‏

نوبت چاپ: 1

ص: 7

مقدّمة المجمع‏

إنّ مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) التي تجسّد الإسلام المحمّدي الأصيل، وتستند إلى مصدر الوحي، ذات معارف كبرى تتصف بأعلى درجات الإتقان، والإستدلال، والمنطق الجزل، وتتطابق مع الفطرة الإنسانية السليمة.

فإنّ الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتّبعونا.

إنّ هذه المدرسة الثرّة والوضّاءة، قد اعتنت وتسامت وانتشرت بفضل الرعاية الربّانية وبإرشادات الأئمة الأطهار (عليهم السلام)، وبجهاد وجهود الآلاف من العلماء والفقهاء.

لقد أدّى انتصار الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الخميني (قدس سره) إلى إقامة نظام الجمهورية الإسلامية وفقاً لمبدأ ولاية الفقيه، ما أدّى إلى استقطاب أنظار الكثير من أحرار العالم إلى هذه المدرسة وخاصة المسلمين منهم.

المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) وليد هذا التغيير المبارك في الجمهورية الإسلامية الإيرانية، وجاء انطلاقاً من فكرة ابتكرها المرشد الأعلى للثورة الإسلامية سماحة آية الله العظمى الخامنئي (مُدّ ظلّه الوارف) في عام 1990 م. واضطلع حتى الآن بتقديم خدمات جليلة في مجال الدعوة وترويج معارف القرآن وأهل البيت (عليهم السلام) والذود عن حياض القرآن الكريم وأتباع أهل البيت (عليهم السلام).

إن المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) وفي سياق نهوضها برسالتها من أجل الإرتقاء بمستوى الوعي والمعرفة لدى أتباع أهل البيت (عليهم السلام) وترصين دعائم البيت الشيعي، قامت بتأليف الكتب واصدار المجلات بعدة لغات حيّة، وبكافّة الوسائل الثقافية المعاصرة المتاحة، بمختلف المواضيع على مستوى المخاطبين وفي شتى المجالات والميادين، قامت بعقد المؤتمر الدولي للإمام علي بن الحسين السجّاد (ع).

وهنا أرى لِزاماً عليَّ أن أقدّم شكري للجهود المتواصلة التي بذلها الأمين العام‏

ص: 8

للمجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام) سماحة الشيخ محمّدحسن الاختري (دام عزّه)، وسماحة آية الله الشيخ قربان علي دري نجف آبادي، نائب رئيس المجلس الأعلى للمجمع ورئيس اللجنة العلمية لمؤتمر العالمي للإمام السجاد (ع). وسماحة الشيخ محمّد سالار معاون الشؤون الدولية، والمهندس مجد حكمت معاون الشؤون التنفيذية، وأعضاء اللجنة العلمية للمؤتمر أصحاب السماحة: الشيخ محمّدهادي اليوسفي الغروي، السيّد محمّدرضا الحسيني الجلالي، السيّد محسن الحسيني الأميني، السيّد منذر الحكيم، الشيخ حميدرضا المطهّري، الشيخ رمضان المحمّدي، السيد محمّدرضا آل أيوب، والشيخ عبّاس الجعفري مدير لجنة الدراسات الاستراتيجية وسكرتير اللجنة العلمية لإقامة المؤتمر العالمي للإمام السجاد (ع).

وكذلك نشكرُ الكتّاب والمترجمين والمقيّمين: سماحة آية الله الشيخ محمّدمهدي الآصفي، الشيخ قيس بهجت العطّار، السيّد راضي الحسيني، السيّد عبدالأمير المؤمن، السيّد أمين السعيدي، السيّد محمّد المروّج، عبدالكريم الكرماني، محمدعلي معينيان، محمّدجواد الخرسندي، حسين الصمدي، حسين الصالحي، قاسم البغدادي، جواد الجعفري، وبرويز الكاظمي، وجميع الإخوة الذين عاضدونا بشكل أو بآخر على صياغة واعداد وطباعة هذه المقالات.

نسأل الله تعالى أن يوفّقنا لخدمة الإسلام والمسلمين بنشر فكر وتراث أهل البيت (عليهم السلام).

نجف لك زايي‏

معاون الشؤون الثقافية

ص: 9

تمهيد

الكلام عن تاريخ عصر الإمام السجّاد عليّ بن الحسين زين العابدين وسيّد الساجدين (ع)، وعهد إمامته يبدآن من بعد مقتل أبيه الحسين بن علي (عليهماالسلام)، وآثرتُ هنا أن أبدأ من خبر إدخاله بالكوفة على واليها يومئذٍ من قِبل يزيد بن معاوية: عبيدالله بن زياد.

ونمهّد قبل ذلك بالحديث عن والدة الإمام (ع) ومولده فنقول:

والدة الإمام السجّاد (ع):

في عام 31 ه- بلغ يزدجرد الثالث الساساني امبراطور إيران يومئذٍ بأصحابه في هزيمته وهروبه من أمام المسلمين الفاتحين، إلى مدينة مرو، وبها عامله ماهويه، وأخذ يتشدّد عليه لإحضار أمواله. وكان خاقان الأتراك المجاورين قد صاهر ماهويه، فكتب ماهويه إليه وأعلمه بالأمر ورغّبه في الزحف إليه بجنوده لفتح بلاده، ففعل خاقان الأتراك ذلك، وفتح ماهويه له أبواب بلاده.

فقُتل أصحاب يزدجرد وبنوه، وهرب هو على رجليه ليلًا حتى لجأ إلى بيت رحىً على الماء واستضاف الطحّان، فلمّا عرفه الطحّان قتله وسلبه وألقاه في الماء[[1]](#footnote-1).

روى الشيخ الصدوق بسنده عن الرضا (ع) قال: لمّا فتح عبدالله بن عامر خراسان أيّام عثمان، أصاب ابنتين ليزدجرد بن شهريار آخر ملوك الفرس، فبعث‏

ص: 10

بهما إلى عثمان، فوهبهما للحسنين (عليهماالسلام)[[2]](#footnote-2) وكلتاهما حملتا منهما (عليهماالسلام)، وفي نفاسهما بأولادهما ماتت صاحبة الحسن (ع) قبل ولادتها بولدها، ونفست صاحبة الحسين بعليّ بن الحسين (عليهماالسلام) ثمّ ماتت، ودفنتا في بقيع الغرقد.

هذا هو ما دلّت عليه رواية الشيخ الصدوق عن الرضا (ع)، وهو مختاري الراجح من بين مختلف الأخبار في الموضوع بمرجّحات عديدة، منها ما يلي في أخبار مولده (ع).

مولد الإمام السجّاد (ع)

في آخر شهر ربيع الآخر عام 36 ه- خرج عليّ (ع) بأنصاره من المهاجرين والأنصار ومعه ابناه الحسنان (عليهماالسلام) إلى البصرة لحرب الجمل‏[[3]](#footnote-3).

وفي عاشر جمادى الأولى زحف علي (ع) إلى أصحاب الجمل بالبصرة[[4]](#footnote-4) واستظهرت أنا من أخبار الحرب أنّها استمرّت ثلاثة أيّام‏[[5]](#footnote-5) أي إلى أواخر نهار الثاني عشر من جمادى الأولى، وعليه ففي اليوم الثالث عشر منها دخل عليّ (ع) البصرة فاتحاً، وبَقيَ بها إلى أواخر جمادى الأولى إذ تركها لأوائل شهر رجب إلى الكوفة حتّى دخلها في الثاني عشر منه‏[[6]](#footnote-6).

فيظهر أنّه في أواخر أيّامهم بالبصرة أي في أواخر جمادى الأولى بلغهم خبر مولد عليّ بن الحسين (ع) في منتصف شهر جمادى الأولى، أي في أوائل دخولهم البصرة فاتحين. وأوّل قلم قدّم لنا هذا التاريخ هو قلم الشيخ المفيد بعد

ص: 11

إرشاده ومسارّه في «حدائق الرياض»[[7]](#footnote-7) وهو مختار المحدّث القميّ في «الأنوار البهيّة»[[8]](#footnote-8) وكان عليّ والحسنان (عليهم السلام) قد تركوا أهليهم بالمدينة وخرجوا إلى البصرة، فكان ميلاد السجّاد (ع) في غيابهم، ولذا لا نجد خبراً عن من أجرى عليه سنن المولود، ثمّ لمّا رحلوا إلى الكوفة حملوهنَّ من المدينة إلى الكوفة، كلّ ذلك كان عام 36 ه- لا 38 ه-[[9]](#footnote-9).

وكما أن عليّا (ع) تأدّب أمام رسول الله (ص) فلم يسبقه بتسمية ابنيه الحسنين (عليهماالسلام) حتّى سمّاهما جدّهما رسول الله (ص) بوحي ربّه، كما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن الرضا (ع)[[10]](#footnote-10)، كذلك هنا آثر الحسين أباه عليّاً في تسمية ابنه فسمّاه باسمه عليّاً (عليهم السلام).

وكان أبو الأسود ظالم بن عمرو الكناني البصري قد سمع بها رجلًا من أهلها امّه من العجم يدعى لأُمّه الطرمّاح ابن ميّادة، سمعه يُعاب بامّه فيقول شعراً مفتخراً بها:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أنا ابن أبي سلمى وجدّي ظالم‏ |  | وامّي حَصان أخلصَتها الأعاجم‏ |
| أليس غلام بين كسرى وظالم‏ |  | بأكرم مَن نيطت عليه التمائم‏[[11]](#footnote-11) |
|  |  |  |

ولهذا فهو بيت شعر فرد لا تمائم لها.

زواج السجّاد بابنة عمّه الحسن (ع)

في عام 50 ه- لمّا عزم معاوية على البيعة لابنه يزيد دسّ إلى زوجته- زوجة الإمام الحسن (ع)- جَعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي مَن حملها على‏

ص: 12

سمّه (ع) بمائة ألف درهم! فسقته جَعدة السمّ، فمرض أربعين يوماً حتى مضى لسبيله في صفر سنة 50 ه-[[12]](#footnote-12) فلمّا حضرته الوفاة استدعى أخاه الحسين (عليهماالسلام)، ثمّ وصّى إليه بأهله وولده وتركاته، وما وصّى به إليه أبوه أمير المؤمنين (ع) حين استخلفه وأهّله لمقامه‏[[13]](#footnote-13).

وكان السجّاد (ع) يومئذٍ في الخامسة عشرة من عمره، فيبدو أنّه بعد خمس سنين؛ أي في عام 55 ه-، لمّا بلغ السجّاد (ع) عشرين عاماً، وكان الحسين وصيّ أخيه الحسن على أهله وولده، ورأى من بناته فاطمة[[14]](#footnote-14) أنها- كما عن الصادق (ع)- كانت صدّيقة لم يُدرك في آل الحسن امرأة مثلها[[15]](#footnote-15)، اختارها فزوّجها لابنه السجّاد (ع).

وفي مستهلّ شهر رجب الحرام عام 57 ه- رُزق منها ابنه الباقر (ع)[[16]](#footnote-16)، وكما جرت السّنة من قَبْل في تسمية السجّاد وأبيه الحسين (عليهماالسلام) ترك السجّاد تسمية ابنه لأبيه الحسين (ع) فسمّاه باسم جدّه محمد (ص)، ولم يكنّه بكنية جدّه أبي القاسم؛ لنهيه عن الجمع بين اسمه وكنيته، بل كنّاه بأبي جعفر[[17]](#footnote-17)، ولعلّه حبّاً وإحياءً لذكر عمّه الشهيد جعفر الطيّار ذي الجناحين. فكان عمر الباقر (ع) يوم الطف ثلاث سنين.

وهنا ننتقل إلى ما تلقّيناه من أخبار تاريخية عن أقدم المصادر وأقومها، من أخبار السجّاد (ع) لأوائل عصر إمامته بعد مقتل أبيه الحسين (ع)، مما يدخل تحت عنوان: التاريخ السياسيّ والاجتماعيّ لعصر الإمام السجّاد (ع)، وهي أخبار أسْرِه وإدخاله على والي الكوفة ليزيد بن معاوية: عبيدالله بن زياد.

ص: 13

الإمام السجّاد (ع) في مجلس ابن زياد

ثمّ أدخلوا عيال الحسين (ع)، أخواته ونساءه وصبيانه على ابن زياد، وكانت زينب ابنة فاطمة تنكّرت بأن لبست أرذل ثيابها، وكان لها معها إماء حففن بها حولها فدخلت وجلست بينهنّ وهنّ قمن حولها، ورآها كذلك ابن زياد فقال:

من هذه الجالسة؟ فلم تكلّمه ولا إماؤها حتّى قال ذلك ثلاثاً، فقال بعض إمائها:

هذه زينب بنت فاطمة!

فقال لها ابن زياد: الحمد للّه الذي فضحكم وقتلكم! وأكذب اُحدوثتكم!

فأجابته: الحمد للّه الذي أكرمنا بمحمّد (ص) وطهّرنا تطهيرا[[18]](#footnote-18)، لا كما تقول أنت! إنّما يفتضح الفاسق! ويكذّب الفاجر!

فسألها: فكيف رأيتِ صنع اللّه بأهل بيتك؟!

فأجابته: كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم‏[[19]](#footnote-19) وسيجمع اللّه بينك وبينهم فتحاجّون إليه وتخاصمون عنده‏[[20]](#footnote-20)!

فغضب ابن زياد واستشاط غضبا وقال لها: قد أشفى اللّه نفسي من طاغيتك والعصاة المردة من أهل بيتك!

فبكت، ثمّ قالت: لعمري لقد قتلت كهلي! وأبرتَ أهلي! وقطعتَ فرعي (أولادي) واجتثثتَ أصلي! فإن يشفكَ هذا فقد اشتفيت!

ص: 14

فقال ابن زياد: هذه سَجّاعة[[21]](#footnote-21)! ولعمري قد كان أبوها شاعراً سجّاعاً!

فأجابته: ما للمرأة والسّجّاعة! إنّ لي عن السّجاعة لشغلًا، ولكنّي نفثى بما أقول. ثمّ نظر ابن زياد إلى عليّ بن الحسين فقال له: ما اسمك؟ قال: أنا عليّ بن الحسين!

فقال: أولم يقتل اللّه! عليّ بن الحسين! فسكت، فقال: ما لك لا تتكلّم؟! قال: قد كان لي أخ يقال له أيضاً: عليّ، فقتله الناس‏[[22]](#footnote-22)! قال: إنّ اللّه قتله! فسكت الإمام السجّاد (ع)، فقال له: ما لك لا تتكلّم؟! فتلا عليه آيتين من القرآن: اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِها[[23]](#footnote-23)، وَ ما كانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ‏[[24]](#footnote-24).

فقال له ابن زياد: أنت واللّه منهم‏[[25]](#footnote-25)! وبك جرأة لردّ جوابي! وفيك بقيّة للردّ عليّ‏[[26]](#footnote-26)! ثمّ التفت إلى المرّي بن معاذ الأحمري من جلاوزته وقال له: ويحك اقتله! فتعلّقت به عمّته زينب وقالت له:

ياابن زياد! حسبك منّا! أما رويت من دمائنا! وهل أبقيت منّا أحداً! واعتنقَته وقالت لابن زياد: أسألك باللّه- إن كنت مؤمناً- إن قتلته لمّا قتلتني معه!

وناداه عليّ بن الحسين (ع): إن كانت بينك وبينهنّ قرابة (من قريش) فابعث معهن رجلًا تقيّاً يصحبهنّ بصحبة الإسلام!

ص: 15

فنظر إليهما ثمّ قال: عجباً للرحم! واللّه لَودّتْ لو أنّي قتلته أنّي قتلتها معه! دعوا الغلام‏[[27]](#footnote-27)! فإنّي أراه لما به‏[[28]](#footnote-28).

ثمّ أمر ابن زياد أن ينصب رأس الحسين (ع) على رمح ويُدار به في الكوفة[[29]](#footnote-29)! في سككها كلّها وقبائلها.

روى عن زيد بن أرقم قال: مرّ به عليّ وهوعلى رمح وأنا في غرفة (فوقانية)، فلمّا حاذاني سمعته يقرأ: أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً[[30]](#footnote-30) فقفّ شعري واللّه وناديته: رأسك واللّه- ياابن رسول اللّه- أعجب وأعجب‏[[31]](#footnote-31)!

موقف ابن عفيف‏

وأمر ابن زياد فنادوا: الصلاة جامعة! فاجتمع الناس في المسجد الأعظم، فخرج ابن زياد وصعد المنبر وقال:

الحمد للّه الذي أظهر الحقّ وأهله ونصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية وحزبه، وقتل الكذّاب ابن الكذّاب: الحسين بن عليّ و «شيعته»!

وكان عبد اللّه بن عفيف الأزدي الغامدي من «شيعة عليّ كرّم اللّه وجهه»[[32]](#footnote-32)، وكان أعمى لا يكاد يفارق المسجد الأعظم يصلّي فيه إلى الليل، فلمّا سمع هذه المقالة من ابن زياد وثب إليه وناداه: إنّ الكذّاب ابن الكذّاب أنت‏

ص: 16

وأبوك والذي ولاك وأبوه يابن مرجانة! أتقتلون أبناء النبيّين وتتكلّمون بكلام الصدّيقين!

فنادى ابن زياد بجلاوزته: عليّ به! فوثبوا عليه حتّى أخذوه، فنادى بشعار الأزد: يا مبرور! فوثب إليه فتية منهم فانتزعوه من أيدي الجلاوزة وذهبوا به إلى أهله. فأرسل إليه ابن زياد من أتاه به (ليلًا) فقتله وأمر بصلبه في السبخة! فصلب هناك رحمه اللّه‏[[33]](#footnote-33).

الرؤوس بين يدي يزيد

لم يمنع ابن زياد وثبة ابن عفيف الأزديّ عليه من أن يدعوأبا بردة بن عوف وطارق بن أبي ظبيان الأزديّين ليكونا مع زحر بن قيس الجعفي الكندي، ليسرّحهم برأس الإمام (ع) ورؤوس أصحابه إلى يزيد بن معاوية[[34]](#footnote-34).

روى السبط عن الزهري قال: لما جاءت الرؤوس كان يزيد في منظره على جبل جيرون بدمشق فأنشد:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لمّا بدت تلك الحمولُ وأشرقتْ‏ |  | تلك الشموسُ على ربَى جيرونِ‏ |
| نعق الغراب فقلتُ: نح أولا تنح‏ |  | فلقد قضيت من النبيّ ديوني‏[[35]](#footnote-35) |
|  |  |  |

فروى الكلبي عن الغاز بن ربيعة الحميري الجرشيّ أنّه كان عند يزيد بدمشق إذ دخل عليه زحر بن قيس الجعفي الكندي، فقال له يزيد: ويلك ما وراءك؟ وما عندك؟ فقال له: أبشر يا أمير المؤمنين! بفتح اللّه ونصره! ورد علينا الحسين بن عليّ في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من «شيعته»، فسرنا إليهم فسألناهم أن يستسلموا وينزلوا على حكم الأمير عبيد اللّه بن زياد، أوالقتال! فاختاروا القتال على الاستسلام! فعدونا عليهم مع شروق الشمس «فأحطنا بهم من كلّ ناحية، حتّى إذا أخذت السيوف مأخذها من هام القوم حتّى أتينا على‏

ص: 17

آخرهم، فهاتيك أجسادهم مجرّدة! وثيابهم مرمّلة! وخدودهم معفّرة! تصهرهم الشمس، وتسفى عليهم الريح، زوّارهم العقبان والرّخم بِقيّ سبسب‏[[36]](#footnote-36).

ووضع الرأس بين يدي يزيد في طست، فجعل ينكت على ثناياه بقضيبه! وتمثّل بقول عبد اللّه بن الزّبعري:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ليت أشياخي ببدر شهدوا |  | جَزَع الخزرجِ مِن وقْعِ الأسل‏ |
| قد قتلنا القرم من أشياخهم‏ |  | وعدلناه ببدرٍ فاعتَدَل‏[[37]](#footnote-37)! |
|  |  |  |

وقال سبط ابن الجوزي: والمشهور عن يزيد في جميع الروايات: أنّه لمّا أحضر الرأس بين يديه كان قد جمع جمعاً من أهل الشام، وجعل ينكته بالخيزرانة ويقرأ الأبيات ... حتّى جاء في «كتاب الوجهين والروايتين» للقاضي أبي يعلى عن أحمد بن حنبل أنّه قال: إن صحّ ذلك عن يزيد فقد فسق! وقال مجاهد:

فقد نافق. وقال الشعبي: وزاد فيها يزيد، قال:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لعبتْ هاشمُ بالمُلْك فلا |  | خبرٌ جاء ولا وحيٌ نَزَل‏ |
| لستُ من خندف إنْ لم أنتقم‏ |  | من بني أحمد ما كان فَعَل‏[[38]](#footnote-38) |
|  |  |  |

ولمّا وُضِعَتْ رؤوس أهل بيت الحسين وأصحابه بين يدي يزيد تمثل بقول المرّي:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يفلّقن هاماً من رجال أعزّةٍ |  | علينا وهم كانوا أعقّ وأظلما! |
|  |  |  |

وكان يحيى بن الحكم أخومروان حاضراً فقال:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لهام بجنب الطفّ، أدنى قرابة |  | من ابن زياد العبد ذي الحسب الوغل‏ |
|  |  |  |

ص: 18

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| سميّة أمسى نسلها عدد الحصى‏ |  | وبنت رسول اللّه ليس لها نسل! |
|  |  |  |

فضرب يزيد في صدر يحيى وقال له: اسكت‏[[39]](#footnote-39).

ثمّ أذِن للناس فدخلوا والرأس بين يديه، وبيده قضيب ينكت به في ثغره!

وكان ممّن دخل عليه الصحابيّ أبوبرزة الأسلمي الأنصاري من أصحاب رسول اللّه (ص)، فلمّا رأى يزيد يفعل ذلك أنكره وقال: أتنكت بقضيبك في ثغر الحسين! أما لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً لربّما رأيت رسول اللّه (ص) يرشفه! أما إنّك يا يزيد (كذا بدون لقب) تجي‏ء يوم القيامة وشفيعك ابن زياد! ويجي‏ء هذا يوم القيامة وشفيعه محمّد (ص)! ثمّ قام فولّى.

وسمعَتْ دور الحديث هند بنت عبد اللّه بن عامر بن كريز زوجة يزيد، فتقنّعت بثوبها وخرجت فقالت:

يا أمير المؤمنين! أرأس الحسين بن فاطمة بنت رسول اللّه!

قال: نعم! فأعولي عليه وحُدّي على ابن بنت رسول اللّه! وصريخة قريش! عجّل عليه ابن زياد فقتله‏[[40]](#footnote-40).

ص: 19

أمُّ سلمة ونعي الحسين (ع)

روى اليعقوبي عن أمّ سلمة زوج رسول اللّه (ص): أنّه كان قد دفع إليها قارورة فيها تربة وقال لها: إنّ جبرئيل أعلمني أنّ أمّتي تقتل الحسين! وأعطاني هذه التربة. وقال النبيّ لي: إذا صارت دماً عبيطاً فاعلمي أنّ الحسين قد قتل! فلمّا (خرج الحسين (ع) إلى العراق) جعلت تنظر إلى القارورة في كلّ (يوم) فلمّا رأتها قد صارت دماً صاحت وا حسيناه! وا ابن رسول اللّه‏[[41]](#footnote-41)!

وروي عن سلمى بنت أبي رافع القبطي، قالت: ارتفعت واعية من حجرة أمّ سلمة، فكنت أوّل من أتاها ورأيت بين يديها قارورة تفور دماً، فقلت لها: يا أمّ المؤمنين! ما دهاك؟! قالت: رأيت رسول اللّه (ص) في المنام والتراب على رأسه! فقلت له: ما لك؟ فقال: وثب الناس على ابني فقتلوه، وقد شهدته الساعة قتيلًا! فاقشعرّ جلدي! فوثبتُ إلى هذه القارورة التي دفعها رسول اللّه إليّ وفيها رمل من الطفّ وقال لي: إذا تحوّل هذا دماً عبيطاً فعند ذلك يقتل الحسين. فوجدتها تفور دماً[[42]](#footnote-42)!

وروى الطوسي بسنده عن ابن عبّاس، قال: بينا أنا راقد في منزلي (بالمدينة) إذ سمعت من بيت امّ سلمة زوج النبيّ (ص) صراخا عاليا! فقلت لقائدي يقودني إليها، فخرج بي، وأقبلت إليها النساء الهاشميّات، فهي أقبلت عليهنّ وقالت لهنّ:

ص: 20

يا بنات عبد المطلب! أسعدنني وابكين معي، فقد واللّه قتل سيّدكنّ وسيّد شباب أهل الجنة! قد واللّه قتل سبط رسول اللّه وريحانته الحسين! فقلت لها: يا امّ المؤمنين! ومن أين علمت ذلك؟ قالت: رأيت رسول اللّه في المنام الساعة شعثاً مذعوراً! فسألته عن شأنه ذلك؟ فقال: قتل ابني الحسين وأهل بيته اليوم، والساعة فرغت من دفنهم!

قالت: فقمت حتّى دخلت البيت وأنا لا أكاد أن أعقل، فنظرت فإذا بتربة الحسين التي أتى بها جبرئيل من كربلاء وقال: إذا صارت هذه التربة دماً فقد قتل ابنك! وأعطانيها النبيّ فقال: اجعلي هذه التربة في قارورة أوزجاجة ولتكن عندك، فإذا صارت دماً عبيطاً فقد قتل الحسين! فرأيت القارورة الآن وقد صارت تفور دماً عبيطاً! وكانت امّ سلمة قد لطّخت بذلك الدم وجهها، واتّخذت ذلك اليوم مأتماً ومناحة على الحسين (ع)[[43]](#footnote-43).

واختار شيخه المفيد خبراً آخر عن امّ سلمة، قالت: خرج رسول اللّه (ص) من عندنا ذات ليلة فغاب عنّا طويلًا، ثمّ جاءنا ويده مضمومة وهوأشعث أغبر! فقلت له: يا رسول اللّه! ما لي أراك شعثاً مغبرّا؟! فقال: اسري بي في هذا الوقت إلى موضع من العراق يقال له: كربلاء، فاريت فيه مصرع الحسين ابني وجماعة من ولدي وأهل بيتي! فلم أزل ألقط (من) دمائهم! فها هي في يدي. وبسطها إليّ، وقال: خذيها واحتفظي بها. فأخذتها فإذا هي شبه تراب أحمر! فوضعتها في قارورة وشدّدت رأسها واحتفظت بها.

فلمّا خرج الحسين من مكّة متوجّها نحوالعراق، كنت أخرج القارورة في كلّ يوم وليلة وأنظر إليها وأشمّها ثمّ أبكي لمصابه! فلمّا كان اليوم العاشر من‏

ص: 21

المحرّم أخرجتها أوّل النهار فكانت بحالها، ثمّ عدت إليها آخر النهار فإذا هي دم عبيط! فصحت وبكيت.

قالت: (ولكنّي) كتمت غيظي مخافة أن يسمع أعداؤهم بالمدينة فيسرعوا بالشماتة! ولم أزل حافظة للوقت حتّى جاء الناعي ينعاه، فحقّق ما رأيت‏[[44]](#footnote-44).

قال: ولمّا أنفذ ابن زياد برأس الحسين (ع) إلى يزيد دعا عبد الملك بن أبي الحديث السلمي‏[[45]](#footnote-45).

وفي الطبري عن الكلبي: عبد الملك بن أبي الحارث السّلمي، وأعطاه دنانير وقال له: انطلق ولا تعتلّ ولا يسبقك الخبر، وإن قامت بك راحلتك فاشترَ راحلة، حتّى تقدم المدينة على أميرها عمرو بن سعيد بن العاص فتبشّره بقتل الحسين‏[[46]](#footnote-46)!

قال عبد الملك: فركبت راحلتي وسرت حتّى دخلت المدينة، فلقيني قرشيّ فسألني ما الخبر؟ فقلت له: تسمعه عند الأمير! فاسترجع وقال: قتل واللّه الحسين! ودخلت على عمرو بن سعيد فقال لي: ما وراءك؟ قلت له: ما يسرّ الأمير: قتل الحسين بن عليّ! فقال: فاخرج فناد بقتله! فخرجت فناديت بقتله!

فواللّه لم أسمع قطّ واعية مثل واعية نساء بني هاشم حين سمعوا النداء بقتله! فعدت إلى عمروبن سعيد، فلمّا رآني تبسّم ضاحكا ثمّ تمثّل بقول عمرو بن معدي كرب الزبيدي:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| عجّت نساء بني زياد عجّة |  | كعجيج نسوتنا غداة الأرنب‏ |
|  |  |  |

ثمّ قال: هذه واعية بواعية عثمان بن عفّان‏[[47]](#footnote-47).

وروى المعتزلي عن «المثالب» لأبي عبيد القاسم بن سلّام البصري، قال:

ص: 22

كتب ابن زياد إلى عمرو بن سعيد يبشّره بقتل الحسين (ع)، فقرأ كتابه على المنبر ثمّ أنشد:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا حبّذا بردك في اليدين‏ |  | وحمرة تجري على الخدّين‏ |
| كأنّما بتّ بمحشدين! |  |  |

ثمّ أومأ إلى القبر الشريف قائلًا: يوم بيوم بدر! فأنكر عليه ذلك قوم من الأنصار[[48]](#footnote-48)!

وحين سمعَتْ نعي الحسين (ع) أمّ لقمان بنت عقيل بن أبي طالب خرجت ومعها نساؤها وهي حاسرة وتلوي بثوبها على رأسها وهي تقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ماذا تقولون إن قال النبيّ لكم: |  | ماذا فعلتم! وأنتم آخر الأمم‏ |
| بعترتي وبأهلي بعدمفتقدي‏ |  | منهم اسارى ومنهم ضرّجوا بد[[49]](#footnote-49) |
| ماكان هذا جزائي إذ نصحت لكم‏ |  | أن تخلفونى بسوء فى ذوي رحمي‏[[50]](#footnote-50) |
|  |  |  |

ولمّا علم الناس بقتل ابني عبداللّه بن جعفر (محمّد وعون) مع الحسين (ع)، دخلوا عليه يعزّونه، وكان له مولى يدعى أبا اللسلاس فقال: هذا ما دخل علينا من الحسين! فخذفه عبداللّه بن جعفر بنعاله وقال له: ياابن اللخنا! أللحسين تقول هذا؟! واللّه لوشهدته لأحببت ألا افارقه حتّى أقتل معه! واللّه إنّه لمما يسخّي بنفسي عنهما ويهوّن عليّ المصاب بهما: أنّهما أصيبا مع أخي وابن عمّي مواسيين له صابرين معه. ثمّ أقبل على جلسائه وقال: الحمد للّه عزّ وجلّ على مصرع الحسين، إن لا تكن يدي آست حسينا فقد آساه ولدايّ‏[[51]](#footnote-51). أو قال: إن لا أكن آسيت حسيناً بيدي فقد آساه ولدي‏[[52]](#footnote-52).

ص: 23

السبايا في الشام‏

روى الصدوق بسنده عن حاجب ابن زياد عن من صحب السبايا إلى الشام، قالوا: دخلنا دمشق بالنساء السبايا بالنهار مكشّفات الوجوه! فقال بعض أهل الشام: ما رأينا سبايا أحسن من هؤلاء! فمن أنتم؟ فقالت سكينة بنت الحسين: نحن سبايا آل محمّد.

وكانوا من قبل يوقفون السبايا على درج المسجد الجامع بدمشق ليراهم الناس، فأقاموهم عليه، فأتاهم شيخ من أهل الشام فقال لهم: الحمد للّه الذي قتلكم وأهلككم وقطع قرن الفتنة! وما زال يشتمهم.

فلما انقضى كلامه قال له عليّ بن الحسين: أما قرأت كتاب اللّه عزّ وجل؟

قال: بلى قد قرأت. قال: أما قرأت هذه الآية: قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى‏[[53]](#footnote-53)؟ قال: بلى. قال: فنحن أولئك!

ثمّ قال: أما قرأت: وَ آتِ ذَا الْقُرْبى‏ حَقَّهُ‏[[54]](#footnote-54)؟ قال: بلى. قال: فنحن هم!

ثمّ قال: فهل قرأت هذه الآية: إِنَّما يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً[[55]](#footnote-55)؟ قال: بلى. قال: فنحن هم!

فرفع الشيخ الشامي يده إلى السماء وقال ثلاثاً: اللهمّ إنّي أتوب إليك. ثمّ قال: اللهمّ إنّي أبرأ إليك من عدوّآل محمّد ومن قتلة أهل بيت محمّد. لقد قرأت القرآن فما شعرت بهذا قبل اليوم.

ثمّ أدخل نساء الحسين (ع) على يزيد بن معاوية[[56]](#footnote-56).

ص: 24

السبايا والسجّاد (ع) عند يزيد:

وجلس يزيد بن معاوية وقد دعا أشراف أهل الشام وأجلسهم حوله، ثمّ دعا بعليّ بن الحسين (ع) وصبيانه ونسائه فأدخلوا عليه والناس ينظرون .. فرأى هيئته قبيحة فقال: قبّح اللّه ابن مرجانة! لوكانت بينه وبينكم رحم أو قرابة ما فعل هذا بكم، ولا بعث بكم هكذا! فرقّ لهم وأمر لهم بشي‏ء من الألطاف!

وقال لعليّ بن الحسين (ع): يا عليّ! أبوك الذي قطع رحمي! وجهل حقّي! ونازعني سلطاني! فصنع اللّه به ما قد رأيت! فتلا الإمام عليه قوله سبحانه: ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها[[57]](#footnote-57).

وكان خالد بن يزيد عند أبيه فقال له أبوه يزيد: اردد عليه! فما درى خالد بماذا يردّ عليه؟ فقال يزيد: قل: وَ ما أَصابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِما كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ[[58]](#footnote-58) ثمّ سكت.

فقام إليه رجل أحمر من أهل الشام وقال له: يا أمير المؤمنين! هب لي هذه الجارية، وأشار إلى فاطمة بنت الحسين (ع)! فخافت وأخذت بثياب عمّتها زينب، فالتفتت إليه زينب وقالت له: كذبت- واللّه- ولؤمت! ما ذلك لك ولا له!

فغضب يزيد وقال لها: كذبت واللّه! إنّ ذلك لي! ولو شئت أن أفعله لفعلت!

فقالت زينب: كَلا- واللّه- ما جعل اللّه ذلك لك! إلا أن تخرج من ملّتنا وتدين بغير ديننا!

ص: 25

فغضب يزيد واستطار غضباً وقال: أإيّاي تستقبلين بهذا! إنّما خرج من الدين أبوك وأخوك!

فقالت زينب: بدين اللّه ودين أبي وأخي وجدّي اهتديت أنت وأبوك وجدّك!

فقال لها: كذبت يا عدوّة اللّه!

فقالت: أنت أمير مسلّط تشتم ظالما وتقهر بسلطانك! فسكت!

فعاد الشامي فقال: يا أمير المؤمنين! هب لي هذه الجارية!

فقال له يزيد: اعزب! وهب اللّه لك حتفاً قاضيا[[59]](#footnote-59)!

خطبة العقيلة في مجلس يزيد:

أرسل ابن أبي طيفور البغدادي‏[[60]](#footnote-60) قال: لمّا جعل يزيد ينكت ثنايا الحسين (ع) بقضيبه وهوينشد شعره ...

قالت زينب: «صدق اللّه ورسوله يا يزيد! ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساؤُا السُّواى‏ أَنْ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ وَ كانُوا بِها يَسْتَهْزِؤُنَ‏[[61]](#footnote-61) أظننت يا يزيد! أنه حين أخذ علينا بأطراف الأرض وأكناف السماء، فأصبحنا نساق كما يساق الأسارى: أنّ بنا هواناً على اللّه وبك عليه كرامة! وأنّ هذا لعظيم خطرك! فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك جذلان فرحا! حين رأيت الدنيا مستوسقة لك والأمور متّسقة عليك، وقد أمهلت ونفّست! وهو قول اللّه تبارك وتعالى: وَ لا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ‏

ص: 26

كَفَرُوا أَنَّما نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّما نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدادُوا إِثْماً وَ لَهُمْ عَذابٌ مُهِينٌ‏[[62]](#footnote-62).

أمِنَ العدل- ياابن الطلقاء- تخديرك حرائرك وإماءك وسوقك بنات رسول اللّه سبايا! قد هتكت ستورهن، وأصحت أصواتهن! مكتئبات! تخدي بهنّ الأباعر، ويحدو بهنّ الأعادي من بلد إلى بلد، لا يراقبن ولا يؤوين، ويتشوّفهنّ القريب والبعيد، ليس معهنّ وليّ من رجالهنّ.

وكيف يستبطأ في بِغضتنا من نظر إلينا بالشنف والشنآن والإحَن والأظغان؟! وتقول: «ليت أشياخي ببدر شهدوا» غير متأثّم ولا مستعظم! وأنت تنكت ثنايا أبي عبد اللّه بمخصرتك!

ولِم لا تكون كذلك وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة، بإهراقك دماء ذريّة رسول اللّه (ص)، ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، ولترِدنّ على اللّه وشيكاً موردهم، ولتودّنّ أنّك عميت وبكمت وأنّك لم تقل: «لأهلّوا واستهلّوا فرحا»!

واللّه ما فريت إلا جلدك، ولا حززت إلا لحمك، وسترِد على رسول اللّه (ص) برغمك ... يوم يجمع اللّه شمل لحمته وعترته في حظيرة القدس ملمومين من الشعث، وذلك قول اللّه تبارك وتعالى: وَ لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أَحْياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ‏[[63]](#footnote-63).

وسيعلم من بوّأك ومكّنك من رقاب المؤمنين، إذا كان الحَكَم اللّه والخصم محمّد (ص)، وجوارحك شاهدة عليك! فبئس للظالمين بدلا ولتعلمنّ أيّكم‏ شَرٌّ مَكاناً وَ أَضْعَفُ جُنْداً[[64]](#footnote-64).

ص: 27

مع أنّي- واللّه يا عدواللّه وابن عدوّه- أستصغر قدرك وأستعظم تقريعك! غير أنّ العيون عبرى والصدور حرّى! وما يجزي ذلك أويغني عنّا وقد قتل الحسين (ع) ... يعطوهم أموال اللّه على انتهاك محارم اللّه! فهذه الأيدي تنطف من دمائنا، وهذه الأفواه تتحلّب من لحومنا، وتلك الجثث الزواكي يعتامها عسلان الفلوات! فلئن اتّخذتنا مغنما فلتجدنّ مغرما، حين لا تجد إلا ما قدّمت يداك، تستصرخ بابن مرجانة ويستصرخ بك! وتتعاوى وأتباعك عند الميزان، وقد وجدت أفضلَ زادٍ زوّدك معاوية قتلك ذريّة محمّد (ص)!

فواللّه ما اتّقيتَ اللّه، ولا شكواي إلا إلى اللّه، فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك! فواللّه لا ترحض عنك عار ما أتيتَ إلينا أبدا.

والحمد للّه الذي ختم بالسعادة والمغفرة لسادات شبّان الجنان وأوجب لهم الجنة، وأسأل اللّه أن يرفع لهم الدرجات وأن يوجب لهم المزيد من فضله، فإنّه وليّ قدير»[[65]](#footnote-65).

وأسكت يزيد حتّى سكتت زينب ثمّ تمثّل بقول القائل:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا صيحة تحمد من صوائح‏ |  | ما أهون النوح على النوائح‏[[66]](#footnote-66) |
|  |  |  |

ثمّ أمر بالنسوة أن ينزّلَن في دار على حدة متّصلة بدار يزيد، فافردت لهم، ومعهم عليّ بن الحسين (ع)[[67]](#footnote-67)، ومعهم ما يصلحهم، فاخرجوا إلى تلك الدار، واجتمع نساء آل معاوية فاستقبلنهنّ بالبكاء والنوح على الحسين (ع) ثلاثة أيام‏[[68]](#footnote-68).

ص: 28

ورأس الحسين (ع) إلى المدينة:

نقل البلاذري عن الكلبي قال: بعث يزيد رأس الحسين (ع) إلى المدينة[[69]](#footnote-69).

فصرخت نسوة آل أبي طالب، فسمعهنّ مروان بن الحكم فتمثّل وقال:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| عجّت نساء بني زياد عجّة |  | كعجيج نسوتنا غداة الأرنب‏ |
|  |  |  |

ثمّ تمثّل بقول ابن منقذ العدويّ في كتيبة «دوسر» للنعمان بن المنذر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ضربت دوسر فيهم ضربة |  | أثبتت أركان ملك، فاستقرّ[[70]](#footnote-70) |
|  |  |  |

وقال عمرو بن سعيد: وددت أنّ أمير المؤمنين! لم يبعث إلينا برأسه! فقال له مروان: بئسما قلت! هاته! ثمّ تناول منه الرأس فوضعه بين يديه، ثمّ أخذ بأرنبة أنفه وقال:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا حبّذا بردك في اليدين‏ |  | ولونك الأحمر في الخدّين‏[[71]](#footnote-71) |
|  |  |  |

لكأني أنظر إلى أيّام عثمان‏[[72]](#footnote-72).

وخطب عمرو الأشدق فتشدّق بقتل الحسين (ع)، فقام ابن أبي حبيش الأسدي القرشي فقال: رحم اللّه فاطمة! فقال له عمرو: وما أنت وفاطمة؟ قال:

ص: 29

أمّها خديجة- يريد أنّها أسدية من قومه- فقال عمرو: نعم واللّه، وابنة محمّد! أخذتها يمينا وأخذتها شمالا! ووددت واللّه أنّ أمير المؤمنين! كان نحّاه عنّي ولم يرسل به إليّ! ووددت واللّه أنّ رأس حسين كان على عاتقه، وروحه كان في جسده‏[[73]](#footnote-73).

ونصب الرأس على خشبة، ثمّ رُدّ إلى دمشق‏[[74]](#footnote-74).

خطبة السجّاد (ع) بالشام:

كان يزيد راوية للشعر وشاعرا كما مرّ، ولم نجد له فيما بأيدينا خطبة، وقد مرّ الخبر عن خطبة ابن زياد في المسجد الجامع بالكوفة بعد جلسة القصر، وكأنّ يزيد بدل أن يخطب أحضر الإمام السجّاد (ع) إلى المسجد الجامع بالشام ضُحى قبيل الزوال، واستحضر الناس، وخطيباً أمره أن يخطبهم فيذكر للناس مساوئ الحسين وأبيه عليّ (عليهماالسلام) ويقرّظ معاوية ويزيد.

فصعد الخطيب المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ أطنب في تقريظ معاوية ويزيد، وأكثر الوقيعة في عليّ والحسين (عليهماالسلام)! وكان الإمام السجّاد (ع) في هذه الفترة قد تماثل للشفاء، فصاح به:

ويلك أيّها الخاطب! اشتريت رضا المخلوق بسخط الخالق! فتبوّأ مقعدك من النار!

ثمّ التفت إلى يزيد وقال له: يا يزيد (كذا بدون لقب) إئذن لي حتّى أصعد هذه الأعواد فأتكلّم بكلمات فيهنّ للّه رضا، ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب! فأبى يزيد، فقال له بعض الناس: يا أمير المؤمنين! ائذن له ليصعد فلعلّنا نسمع منه شيئاً.

ص: 30

فقال لهم: إن صعد المنبر هذا لم ينزل إلا بفضيحتي وفضيحة آل أبي سفيان! فقالوا: وما قدر ما يحسن هذا؟! فقال: إنّه من أهل بيت قد زُقّوا العلم زَقّا! فلم يزالوا به حتّى أذن له بالصعود[[75]](#footnote-75).

وقال الإصفهاني الأموي: أمره أن يصعد المنبر فيخطب فيعتذر إلى الناس ممّا كان من أبيه! فصعد المنبر وخطب خطبة طويلة منها:

«أيّها الناس! من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي: أنا عليّ بن الحسين، أنا ابن البشير النذير، أنا ابن الداعي إلى اللّه بإذنه، أنا ابن السراج المنير» ثمّ قال: وهي خطبة طويلة كرهت الإكثار بذكرها ونظائرها[[76]](#footnote-76). ونقلها الحلبي عن الأوزاعي في) الكتاب الأحمر (: أنّه لما نزل الخطيب قام عليّ بن الحسين فقال‏[[77]](#footnote-77) وذكرها الخوارزمي أنّه قال:

) أيّها الناس! اعطينا ستّاً وفضّلنا بسبع:

اعطينا: العلم، والحلم، والسماحة، والفصاحة، والشجاعة، والمحبّة في قلوب المؤمنين.

وفضّلنا: بأنّ منّا النبيّ المختار محمّداً (ص)، ومنّا الصدّيق، ومنّا الطيّار، ومنّا أسد اللّه وأسد الرسول، ومنّا سيّدة نساء العالمين فاطمة البتول، ومنّا سبطا هذه الأمّة وسيّدا شباب أهل الجنة.

أيّها الناس! من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي:

أنا ابن مكّة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرِّداء، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حجّ ولبّى، أنا ابن من حُمل على البراق‏

ص: 31

في الهواء، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فسبحان من أسرى! أنا ابن من بلغ به جبرائيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دنا فتدلّى فكان من ربّه قاب قوسين أو أدنى! أنا ابن من صلّى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى.

أنا ابن محمّد المصطفى، أنا ابن عليّ المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا إله إلا اللّه! أنا ابن من ضرب بين يدي رسول اللّه بسيفين (ذي الفقار وغيره) وهاجر الهجرتين (إلى المدينة واليمن!) وبايع البيعتين (يوم الدار والرضوان) وصلّى إلى القبلتين (الكعبة وبيت المقدس) وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر باللّه طرفة عين.

أنا ابن «صالح المؤمنين» و «يعسوب الدين» ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكّائين، وأصبر الصابرين، وأفضل القائمين من آل طه وياسين ورسول ربّ العالمين.

أنا ابن المؤيَّد بجبرائيل، والمنصور بميكائيل.

أنا ابن المحامي عن حريم المسلمين، وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين! والمجاهِد أعداءه الناصبين! وأفضل من مشى من قريش أجمعين، وأوّل من أجاب واستجاب للّه من المؤمنين، وأقدم السابقين، وقاصم المعتدين، ومبير المشركين، وسهم من مرامي اللّه على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، ناصر دين اللّه، ووليّ أمر اللّه، ولسان حكمة اللّه، وعيبة علم اللّه. سمح سخيّ، بهلول زكيّ أبطحي، رضيّ مرضيّ، مقدام هُمام، صابر صوّام، مهذّب قوّام، شجاع قمقام. قاطع الأصلاب، ومفرّق الأحزاب. أربطهم جَنانا، وأطلقهم عنانا، وأجرأهم لسانا. وأمضاهم عزيمة، وأشدّهم شكيمة. أسد باسل وغيث هاطل. إذا ازدلفت في الحروب الأسنة وقربت الأعنّة يطحنهم طحن الرحى، ويذروهم ذرو الريح الهشيم! ليث الحجاز! وصاحب الإعجاز، وكبش العراق، والإمام بالنصّ والاستحقاق. مكّي مدني، أبطحي تهامي، خيفي عقبي،

ص: 32

بدري احدي، مهاجري شجري (بيعة الشجرة). من العرب سيّدها، ومن الوغى ليثها. وارث المشعرين (الحرام المزدلفة، والحلال عرفات) وأبوالسبطين الحسن والحسين (عليهم السلام). مظهر العجائب، ومفرّق الكتائب، والشهاب الثاقب، والنور العاقب (المتعاقب) أسد اللّه الغالب، مطلوب كلّ طالب، وغالب كلّ غالب. ذاك جدّي عليّ بن أبي طالب (ع).

أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيّدة النساء، أنا ابن الطهر البتول، أنا ابن بضعة الرسول».

ثمّ لم يزل يقول أنا أنا، حتّى ضجّ الناس بالبكاء والنحيب، وخشى يزيد أن تكون فتنة (وآن أوان الأذان) فأمر المؤذّن أن يؤذّن، فرفع المؤذّن صوته وقال:

اللّه أكبر! فقال عليّ بن الحسين: كبّرت كبيراً لا يقاس ولا يدرك بالحواس! لا شي‏ء أكبر من اللّه! فلمّا قال المؤذّن: أشهد أن لا إله إلا اللّه، قال عليّ: شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي ومخّي وعظمي! فلمّا قال المؤذّن: أشهد أنّ محمّداً رسول اللّه، ولم يزل عليّ على المنبر، فالتفت إلى يزيد وقال له: يا يزيد (بدون لقب) محمّد هذا جدّي أم جدّك؟! فإن زعمت أنّه جدّك فقد كذبت! وإن قلت: إنّه جدّي، فلم قتلت عترته؟! وأكمل المؤذّن الأذان والإقامة، فتقدّم يزيد وصلّى بهم الظهر[[78]](#footnote-78)، وإنّما صلّى معه بعضهم وتفرّق آخرون فلم يصلّوا معه‏[[79]](#footnote-79).

ثمّ قام إليه المنهال بن عمروالطائي الكوفي، وكان حاضراً بدمشق الشام فقال له: كيف أمسيت يابن رسول اللّه؟

فقال له: ويحك كيف أمسيت؟ أمسينا فيكم كهيئة بني إسرائيل في آل فرعون: يذبّحون أبناءهم ويستحيون نساءهم! وقد أمست العرب تفتخر على العجم بأنّ محمّداً منها! وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمّداً منها،

ص: 33

وأمسى آل محمّد مقهورين مخذولين! فإلى اللّه نشكوكثرة عدوّنا وتظاهر الأعداء علينا وتفرّق ذات بيننا[[80]](#footnote-80).

وكأن يزيد أراد استعادة هيبة حكمه، فأمر بحمل رأس الحسين (ع) والتطواف به في دمشق، وأمامه قارئ يقرأ من القرآن سورة الكهف حتّى بلغ قوله:

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً[[81]](#footnote-81) وكان المنهال الطائي الكوفي حاضرا قال: فأنطق اللّه الرأس فقال بلسان ذلق ذرب:

أعجب من أصحاب الكهف قتلي وحملي‏[[82]](#footnote-82).

ردّهم إلى أوطانهم‏

عرفنا تساهل النعمان بن بشير الأنصاري في التشديد على «شيعة» الحسين (ع) في الكوفة، فعزله يزيد بابن زياد، فعاد النعمان إلى أحضان حفيد أبي سفيان يزيد، فكأنّما اليوم أراد تأنيبه على ذلك فدعاه، فلمّا جاء قال له: كيف رأيت ما فعل عبيد اللّه بن زياد؟ فقال: الحرب دول! وكأنّه يريد أنَّ الأمر لم يكن مضموناً لهم. فقال يزيد: الحمد للّه الذي قتله! فأراد النعمان أن يبرّر تساهله فقال: قد كان أمير المؤمنين (معاوية!) يكره قتله!

فقال يزيد: ذلك قبل أن يخرج! ولوخرج على أمير المؤمنين (معاوية!) لقتله- واللّه- إن قدر عليه! فقال النعمان: ما كنت أدري ما كان يصنع‏[[83]](#footnote-83)!

ص: 34

ثمّ لما تبنّى يزيد على التظاهر بعدم التبنّي والالتزام بإجرام ابن زياد بقتل الحسين (ع)، تمايل إلى جانب النعمان يشاوره فيمن حضره من أهل الشام قال لهم: يا أهل الشام! ما ترون في هؤلاء؟

فقال النعمان: انظر ما كان يصنعه بهم رسول اللّه (ص) لو رآهم في هذه الحالة، فاصنعه بهم! فقال: صدقت، خلّوا عنهم، وكساهم‏[[84]](#footnote-84) وأمر بردّهم إلى المدينة[[85]](#footnote-85) وقال له:

يا نعمان بن بشير! جهّزهم بما يصلحهم، وابعث معهم من أهل الشام رجلًا صالحاً أميناً! وابعث معه أعواناً وخيلًا، فيسير بهم إلى المدينة[[86]](#footnote-86). وسمح لهم أن يحملوا معهم الرؤوس ولا سيما رأس الإمام (ع)[[87]](#footnote-87)، فكان عليهم أن يمرّوا بكربلاء في الراجح.

فخرج بهم، وكان يسايرهم من خلفهم وهم أمامه بحيث لا يفوتون طرفه، فإذا نزلوا تنحّى عنهم، وتفرّق هو وأصحابه حولهم يحرسونهم، بحيث إذا أراد أحدهم قضاء حاجة لم يحتشم، فلم يزل هكذا ينازلهم في الطريق ويسألهم عن حوائجهم‏[[88]](#footnote-88).

ص: 35

فزاروا الحسين (ع) في أربعينه‏

على ما مرّ من موافقة يزيد على حملهم معهم الرؤوس ولا سيّما رأس الحسين (ع)، كان من الراجح في غالب الظن أن يحملوها إلى مدفنهم بكربلاء،

ولمّا كانوا يسألونهم عن حوائجهم كما مرّ خبره، قالوا لدليلهم: مرّ بنا على طريق العراق إلى كربلاء. فزاروا قبور الحسين وأهل بيته وأصحابه عليهم السّلام ودفنوا رؤوسهم عندهم، ثمّ عرّجوا على مدينة جدّهم رسول اللّه (ص)[[89]](#footnote-89).

وأرسل ابن نما، قال: ولمّا ورد عيال الحسين (ع) إلى كربلاء وجدوا جابر بن عبد اللّه الأنصاري وجماعة من بني هاشم قدموا لزيارته في وقت واحد، فتلاقوا بالحزن والاكتئاب والنوح على ذلك المصاب‏[[90]](#footnote-90). ولعلّه عنه أخذ ابن طاووس وزاد: فتلاقوا بالبكاء والحزن واللطم، وأقاموا المآتم المقرّحة للأكباد، واجتمع إليهم نساء ذلك السواد فأقاموا على ذلك أيّاما[[91]](#footnote-91).

ولعلّه لذلك أمر الصادق (ع) صفوان بن مهران الجمّال بأن يزور الحسين (ع) في الأربعين‏[[92]](#footnote-92). وعدّها العسكري (ع) من علامات المؤمنين‏[[93]](#footnote-93).

ص: 36

ثمّ انفصلوا من كربلاء نحو المدينة حتّى قربوا منها فنزلوا:

لم يعرف مِن الرجال الذين أرسلهم يزيد مع آل الحسين (ع) ومع النعمان بن بشير الأنصاري المدني إلى المدينة، وأمرهم بالرفق بهم وباتّباعهم للإمام السجّاد (ع)، لم يعرف منهم سوى من سمّاه ابن طاووس ببشير بن حذام، ويظهر من الخبر أنّه كان قد تقرّب إلى الإمام وعرّفه بنفسه وأنّ أباه كان شاعرا، فهنا يقول: إنّ الإمام قال له: يا بشير، رحم اللّه أباك لقد كان شاعراً، فهل تقدر على شي‏ء منه؟ قال: بلى يابن رسول اللّه إنيّ لشاعر. فقال له: فادخل المدينة وانع أبا عبد اللّه (ع). ويظهر أنّ أمير ذلك الخيل والنعمان الأنصاري لم يأبيا ذلك عليه، فركب فرسه إلى المدينة حتّى بلغ المسجد النبويّ الشريف فرفع صوته قائلا:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| يا أهلَ يثرب لا مُقام لكم بها |  | قُتِلَ الحسينُ! فأدمعي مِدْرارُ |
| الجسمُ منهُ بكربلاء مُضَرَّجٌ‏ |  | والرأس منه على القناة يُدارُ |
|  |  |  |

ويظهر أنّه كرّر ذلك حتّى اجتمع الناس حوله فقال لهم: هذا عليّ بن الحسين مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم اعرّفكم مكانه. قال: فلم أر يوماً أمرّ على المسلمين منه! ولم أر باكياً أكثر من ذلك اليوم! وخرجنّ النساء يدعون بالويل والثبور، ويضربن الخدود ويخمشن الوجوه، وفيهنّ جواري نائحات ينحن على الحسين (ع). ثمّ عرّفهم مكان نزولهم، فبادروه.

قال: فضربت فرسي ورجعت إليهم، فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع، فنزلت عن فرسي وتخطّيتهم حتّى قربت من فسطاط عليّ بن الحسين (ع) وكأنّهم كانوا قد تجهّزوا بكرسيّ معهم، وبعض الموالي أو الخدم، فخرج الإمام وهويمسح دموعه بخرقة معه، وخلفه خادم يحمل معه كرسيّاً وضعه له فجلس عليه، ولمّا رآه الناس ارتفعت أصواتهم بالبكاء، وحنين النسوان والجواري، وتقدّم إليه الناس من كلّ ناحية يعزّونه بأبيه، ثمّ أومأ إليهم بيده أن اسكتوا ثمّ قال:

ص: 37

الحمد للّه ربّ العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين، بارئ الخلائق أجمعين، الذي بَعُدَ فارتفع في السماوات العُلى، وقَرُبَ فشهد النجوى. نحمده على عظائم الأمور وفجائع الدهور، وألم الفجائع ومضاضة اللواذع، وجليل الرزء وعظيم المصائب، الفاضعة الكاظّة، الفادحة الجائحة.

أيّها القوم! إنّ اللّه- وله الحمد- ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة: قُتِلَ أبو عبد اللّه الحسين وعترته، وسُبيَتْ نساؤه وصبيته! وداروا برأسه في البلدان، من فوق عالي السنان! وهذه الرزيّة التي لا مثلها رزيّة!

أيّها الناس! فأيّ رجالات منكم يُسرّون بعد قتله؟! أم أيّة عين تحبس دمعها وتضنّ (تبخل) عن انهمالها؟! فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها، والسماوات بأركانها، والأرض بأرجائها، والأشجار بأغصانها، والحيتان في لجج البحار والملائكة المقرّبون وأهل السماوات أجمعون.

يا أيّها الناس! أيّ قلب لا ينصدع لقتله؟! أم أيّ فؤاد لا يحنّ إليه؟! أم أيّ سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصمّ؟!

أيّها الناس! أصبحنا مطرودين مشرّدين مذودين، وشاسعين عن الأمصار، كأنّا أولاد ترك وكابل من غير جرمٍ اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها ما سَمِعْنا بِهذا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هذا إِلَّا اخْتِلاقٌ‏[[94]](#footnote-94) واللّه لوأنّ النبيّ تقدّم إليهم في قتالنا كما تقدّم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا! فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها، وأوجعها وأفجعها، وأكظّها وأفضعها، وأمرّها وأفدحها! فعند اللّه نحتسب ما أصابنا وما بلغ بنا، فإنّه عزيز ذو انتقام‏[[95]](#footnote-95).

ص: 38

وكأنّ الوصي (ع) كان قد رأى من اقتدائه بالنبيّ (ص) في زيجاته الائتلافية أن يصاهر أولاد الزبير وطلحة، فزَوّج الحسن (ع) ابنتَه أمّ الحسن لعبد اللّه بن الزبير، وتزوّج هو ابنة طلحة امّ إسحاق، ورزق منها طلحة[[96]](#footnote-96)، لكنّه مات صغيراً، وكانت امّ إسحاق حسنة السلوك مع الحسن (ع)، فأوصى أخاه الحسين (ع) أن يتزوّجها فتزوّجها بعده، فرزق منها ابنته فاطمة[[97]](#footnote-97).

وكانت في السبايا، فلمّا عادت إلى المدينة زارها أخوها إبراهيم بن طلحة، وكأنّه اغتنمها فرصة للشماتة بعليّ بن الحسين (عليهماالسلام)، فتجرّأ بسوء الأدب وقال له: يا عليّ بن الحسين، من غلب؟! فذكّره الإمام بما ذكّر به يزيد في كلامه له بالشام، قال: إذا أردت أن تعلم من غلب فإذا دخل وقت الصلاة فأذّن وأقم‏[[98]](#footnote-98) فيُعرف الغالب بالباقي ذكره فيهما!

ابن الزبير وقتل الحسين (ع):

روى الطبري عن أبي مِخْنف قال:

كان ابن الزبير يُظهر أنّه عائذ بالبيت ويبايع الناس سرّا، فلمّا قتل الحسين (ع) قام خطيبا فحمد اللّه وأثنى عليه وصلّى على محمّد (ص) ثمّ قال: إنّ أهل العراق غُدر فُجر إلا قليلًا، وإنّ أهل الكوفة شرار أهل العراق؛ فإنّهم دعوا حسيناً لينصروه ويولّوه عليهم، فلمّا قدم عليهم ثاروا إليه وقالوا له: إمّا أن تضع يدك في أيدينا فنبعث بك إلى ابن زياد بن سميّة سلماً فيُمضي فيك حكمه؛ وإمّا أن‏

ص: 39

تحارب! فرأى أنّه هو وأصحابه قليل في كثير ... ولكنّه اختار المِيتة الكريمة على الحياة الذميمة. فرحم اللّه حسيناً، وأخزى قاتل حسين!

ثمّ قال: أفبعد الحسين نطمئنّ إلى هؤلاء القوم ونصدّق قولهم ونقبل لهم عهدا؟! لا ولا نراهم أهلًا لذلك! أما واللّه لقد قتلوه طويلًا بالليل قيامه كثيراً في النهار صيامه، أحقّ بما هم فيه منهم وأولى به، في الدين والفضل! أما واللّه ما كان يبدّل بالقرآن الغناء! ولا بالبكاء من خشية اللّه الحداء! ولا بالصيام شرب الحرام! ولا بالمجالس في حلق الذكر الرّكض في تطلاب الصيد! فسوف يلقون غَيّا! يعرّض بيزيد.

وثار إليه أصحابه وقالوا له: أيّها الرجل؛ إذ هلك حسين فإنّه لم يبق أحد ينازعك هذا الأمر! فأظِهْر بيعتك! فقال لهم: لا تعجلوا.

ولمّا استقرّ عند يزيد ما جمع ابن الزبير حوله بمكّة، عاهد اللّه ليوثقنّه في سلسلة، ثمّ أعدّ سلسلة من فضّة وبرنس خزّ ودعا ابن عضاه الأشعري ومسعدة ومعهما جمع، وأرسلهم إليه ليأتوا به إليه في جامعة فضّة ليبرّ يمينه، فمرّوا بالمدينة فبعث معهم مروان بابنيه عبد الملك وعبد العزيز، فردّهم ردّاً رفيقاً[[99]](#footnote-99).

وقال اليعقوبي: إنّ ابن الزبير أجاب ابن عضاه الأشعري بجواب غليظ! فقال له ابن عضاه: إنّ الحسين بن عليّ كان أجلّ قدراً في الإسلام وأهله من قبل، وقد رأيت حاله! يهدّده بمصير الحسين، فقال له ابن الزبير: إنّ الحسين بن عليّ خرج إلى من لا يعرف حقّه! وإنّ المسلمين قد اجتمعوا عليّ! فقال له: فهذا ابن عبّاس وابن عمر لم يبايعاك. وانصرف عنه‏[[100]](#footnote-100).

ص: 40

وعمرو بن سعيد يومئذ عامل مكّة والمدينة، فكان مع شدّته عليه يداريه ويرفق به. فوفد الوليد بن عتبة وناس معه إلى يزيد وقالوا له: لوشاء عمرو بن سعيد لأخذ ابن الزبير وبعث به إليك. فسرّح الوليد أميرا على الحجاز وعزل عمراً لهلال ذي الحجّة موسم سنة إحدى وستّين‏[[101]](#footnote-101).

وكما تمرّد ابن الزبير بعد قتل الحسين (ع) كذلك تمرّد باليمامة نجدة بن عامر الحنفي في بني حنيفة من تميم، وحجّ بهم، وحجّ ابن الزبير بأصحابه، وحجّ الوليد، ولم يتّبعاه في الموسم‏[[102]](#footnote-102).

ص: 41

يزيد، بعد الحسين الشهيد

قال السيوطي الشافعي: لما قتل ابن زياد الحسين وبني أبيه وبعث برؤوسهم إلى يزيد، سرّ بقتلهم أوّلا، ثمّ لمّا مقته المسلمون وأبغضه الناس على ذلك ندم. ثمّ نَقَل عن «مسند أبي يعلى» عن النبيّ (ص)، قال: «لا يزال أمر أمّتي قائماً بالقسط حتّى يكون أوّل من يثلمه رجل من بني أميّة يقال له: يزيد» وضعّف سنده‏[[103]](#footnote-103)، ولكنّه قال: لعن اللّه قاتل الحسين وابن زياد معه ويزيد أيضاً[[104]](#footnote-104).

وروى البلاذري قال: كتب يزيد إلى ابن زياد: أمّا بعد، فزد أهل الكوفة أهل السمع والطاعة في أعطياتهم مئة مئة[[105]](#footnote-105).

وحكى المسعودي: أنّه بعد قتل الحسين (ع) جلس ذات يوم على شرابه وقد دعا إليه ابن زياد فأجلسه عن يمينه وأقبل على ساقيه وقال له:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| اسقني شربةً تروّي مشاشي‏ |  | ثمّ مر فاسْقِ مثلها ابن زيادِ |
| صاحب السرّ والأمانة عندي‏ |  | ولتسديد مغنمي وجهادي‏ |
|  |  |  |

ثمّ أمر المغنّين فغنّوا له بها.

وغلب على أصحاب يزيد وعمّاله ما كان يفعله من الفسوق، وفي أيّامه ظهر الغناء بمكّة والمدينة واستعملت الملاهي وأظهر الناس شرب الشراب!

وكان يزيد صاحب جوارح وكلاب، وفهود وقرود! وكان له قرد يكنّيه بأبي قيس! يحضره مجلس منادمته ويطرح له متّكئاً! وكان قرداً خبيثاً، وكان يحمله على أتان وحشيّة قد ريّضت وذلّلت لذلك بسرج ولجام، ويسابق بها الخيل يوم‏

ص: 42

حلبة السباق، وكان يُلبس قرده أبا قيس قباء مشمّرا من الحرير الأحمر والأصفر، ويجعل على رأسه قلنسوة بشقائق من الحرير ذات ألوان، وعلى الأتان سرج من الحرير الأحمر منقوش ملمّع بألوان، فسبق يوماً على الخيل فتناول قصب السباق ودخل في الحجرة، فقال في ذلك اليوم بعض شعراء الشام:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| تمسّك أبا قيس بفضل عنانها |  | فليس عليها إن سقطت ضمان! |
| ألا من رأى القرد الذي سبقت به‏ |  | جياد أمير المؤمنين! أتان‏[[106]](#footnote-106) |
|  |  |  |

ومع هذا لم يعدم من تَملّق له فنقل لعمر بن عبد العزيز قولًا عن يزيد ولقّبه بأمير المؤمنين! فأنكر عليه عمر وقال له: أتقول له أمير المؤمنين؟! ثمّ أمر أن يضرب عشرين سوطا! فضرب‏[[107]](#footnote-107).

يزيد، وبنو زياد:

إزداد زياد من الأزواج والأولاد، فقد ذكروا له أكثر من أربعين: أكثر من عشرين بنتا وعشرين إبناً[[108]](#footnote-108) عبيدُ اللّه على العراقين، وأخوه عبد الرحمان على خراسان، وأخوه عبّاد على سجستان في ثغر البلاد. وقد عرفنا تولية عبيد اللّه البصرة لمّا وفد على معاوية، فاليوم وفد أخوه سلم على يزيد بعد قتل الحسين (ع)، وهو ابن أربع وعشرين سنة، وكأنّ يزيد أحبّ أن يلقي بأسهم بينهم فقال له: اوّليك عمل أخويك عبد الرحمان وعبّاد؟ فقال: ما أحبَّ أمير المؤمنين! فولّاه خراسان وسجستان.

وكان ابن زياد كأنّه عاد من الشام بعد الكوفة إلى البصرة، فَقَدِم عليه أخوه سلم بكتاب يزيد إليه بنخبة ألفي رجل- إلى ستّة آلاف- لسلم، فكان سلم‏

ص: 43

ينتخب الوجوه والفرسان لديوانه، خلقاً كثيراً من فرسان البصرة وأشرافهم. ووجّه أخاه يزيد ابن زياد إلى سجستان، وكان عبيد اللّه يحبّ عبّاداً، فكتب إليه يخبره بولاية سلم، فقسّم عبّاد ما في بيت ماله وخرج من سجستان، وخرج منها إلى جيرفت ثمّ إلى فارس حتّى قدم على يزيد بن معاوية وأخبره بتقسيمه ما أصاب بين الناس، فلم يؤاخذه!

وتجهّز سلم وسار إلى خراسان، فأخذ الحارث بن قيس السّلمي عامل أخيه عبد الرحمان بن زياد وأقامه في سراويله يطالبه بالمال! وكان عمّال خراسان إذا دخل الشتاء عادوا من مغازيهم إلى بلدة مرو، ويجتمع ملوك خراسان في بلد من بلاد خوارزم، وكان مع سلم المهلّب بن أبي صفرة، فسأله أن يوجّهه إليهم، فوجّهه في أربعة آلاف، فحاصرهم وصالحهم على نيّف وعشرين ألف ألف، فبلغ قيمة ما أخذ منهم خمسين ألف ألف، فاصطفى سلم منه ما أعجبه وبعث بعمدته مع مرزبان مروفي وفد إلى يزيد بالشام، ثمّ عبر إلى سمرقند فصالحه أهلها[[109]](#footnote-109).

ولعلّه لهذا قال الأحوص الشاعر في تملّك يزيد وانقياد الناس لملكه وتجبّره:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| مَلكٌ تدين له الملوك، مبارك! |  | كادت لهيبته الجبال تزولُ‏ |
| تُجْبى له بلخ، ودجلة كلّها |  | وله الفرات وما سقى، والنيلُ‏[[110]](#footnote-110) |
|  |  |  |

وفي اليعقوبي: ولّى يزيد: سلم بن زياد خراسان فصار إليها ومعه عدّة من أشراف (البصرة) وأقام بنيسابور ثمّ صار إلى خوارزم ففتحها، ثمّ صار إلى بخارى.

ص: 44

وكان ملكهم امرأة تُدعى خاتون، فلمّا رأت كثرة جمع سلم هالها ذلك، فكتبت إلى ملك السغد طرخون: أقبل إليّ لتملك بخارى وتتزوّجني! فأقبل إليها في مائة وعشرين ألفا، فلمّا بلغ سلم بن زياد إقبال طرخون وجّه المهلّب بن أبي صفرة طليعة له، فخرج إليهم، فلمّا أشرفوا على عسكر طرخون زحف أصحاب طرخون إليهم والتحم القتال، فرشقهم المسلمون بالنبال فأصابوا طرخون فقتل وانهزموا فقتل منهم كثير، وغنم المسلمون كثيراً، حتّى بلغت سهامهم للفارس ألفين وأربعمائة، وللراجل ألفاً ومائتين.

ولم يزل سلم بخراسان حتّى بلغه موت يزيد (في 64 ه-)، فكتمه حتّى ذاع، فاستخلف على خراسان عبد اللّه بن خازم السلمي وعاد، وأقام ابن خازم بخراسان يفعل الأعاجيب! وسار سليمان إلى هراة، ووثب أوس بن ثعلبة بالطالقان يحاربهم وينتصر عليهم‏[[111]](#footnote-111).

إجلاء زينب ووفاتها

لمّا عادت زينب بنت عليّ (ع) إلى المدينة من الشام مع النساء والأيتام، كانت تؤلّب الناس بالمدينة على القيام بأخذ ثار الحسين (ع) فلمّا بدأ ابن الزبير بمكّة بحمل الناس على خلع يزيد والأخذ بثار الحسين (ع) وبلغ ذلك إلى أهل المدينة، أخذت زينب تخطبهم وتؤلّبهم على القيام بأخذ الثار، وبلغ ذلك عمروبن سعيد الأشدق، فثارت فتنة بينها وبين الأشدق والي المدينة من قبل يزيد، فكتب إلى يزيد يعلمه بالخبر ويشير عليه بنقلها من المدينة. فكتب يزيد إليه أن فرّق بينها وبينهم.

فأمر الأشدق أن ينادى عليها بالخروج من المدينة إلى حيث تشاء!

ص: 45

فأبت زينب وقالت: قد علم اللّه ما صار إلينا: قُتِلَ خيرنا، وسقنا كما تساق الأنعام! وحملنا على الأقتاب! فواللّه لا خرجنا وإن اهرقَتْ دماؤنا!

فاجتمع إليها نساء بني هاشم وتلطّفن معها في الكلام وواسينها، وكلّمتها منهنّ زينب بنت عقيل بن أبي طالب، قالت لها: يا ابنة عمّاه؛ قد صدَقَنا اللّه وعده، وأورثنا الأرض نتبوّأ منها حيث نشاء، فطيبي نفساً وقرّي عيناً، وسيجزي اللّه الظالمين! أتريدين هوانا بعد هذا! فاجلي إلى بلد آمن (؟) وواستْ معها للخروج والجلاء ابنتا أخيها الحسين (ع): سكينة وفاطمة.

فجهّز الأشدق لها ولمن أراد السفر معها من نساء بني هاشم، وتعيّن المصير إلى مصر. ولم يورّخ لخروجها وإنّما جاء: فقدمت (الفسطاط- القاهرة القديمة) لأيّام بقين من ذي الحجة الحرام لآخر عام إحدى وستين، وسيأتي عزل الأشدق لهلال ذي الحجّة فيعلم أنّ إخراجها كان قبله.

وروى العبيدلي الأعرجي الحسيني (م 277 ه-) بسنده عن رقيّة بنت عقبة ابن نافع الفهري أنّها كانت فيمن استقبل زينباً (سلام الله عليها) لمّا قدمت مصر، فتقدّم إليها مسلمة بن مخلّد الأنصاري الخزرجي (قاتل ابن أبي بكر) وعبد اللّه بن الحارث وأبوعميرة المزني، وعزّاها مسلمة وبكى فبكت وبكى الحاضرون وتلت قوله سبحانه: هذا ما وَعَدَ الرَّحْمنُ وَ صَدَقَ الْمُرْسَلُونَ‏[[112]](#footnote-112) ثمّ احتملها مسلمة الوالي إلى داره بالحمراء القصوى. فأقامت به أحد عشر شهراً وخمسة عشر يوماً ثمّ توفّيت، وصلّى عليها مسلمة بن مخلّد في جمع بالجامع، وكانت قد أوصت أن يدفنوها في مخدعها من دار مسلمة، ونفّذ مسلمة الوصيّة فرجعوا بها حتّى دفنوها بمخدعها من الدار بالحمراء القصوى، بوصيّتها، حيث بساتين عبد اللّه بن عبد الرحمان بن عوف الزهري.

ص: 46

وكان وفاتها عشيّة يوم الأحد لخمسة عشر يوماً مضت من رجب سنة (62) من الهجرة[[113]](#footnote-113).

الوليد وعمرو بن سعيد:

ثمّ إنّ الوليد بن عتبة وناساً معه من بني أميّة قالوا ليزيد: لوشاء عمرو بن سعيد لأخذ ابن الزبير، فلموسم الحجّ لسنة إحدى وستّين عيّن يزيد الوليد بن عتبة فحجّ ولم يتّبعه فيه ابن الزبير وأصحابه ونجدة الحنفي وأصحابه. ورجع من الحجّ إلى المدينة وخرج عمرو بن سعيد بعد ليلتين منها، وكان مواليه وغلمانه نحواً من ثلاثمئة رجل! فأخذهم الوليد وحبسهم وأبى أن يخلّيهم! فبعث عمرو رسولًا إلى المدينة بأموال ليشتري لكلّ رجل منهم جملًا وأداة وحقيبة فينيخ الجمال في السوق ثمّ يخبرهم فيكسروا باب سجنهم ويركبوا الجمال إلى عمرو، ففعل رسوله ذلك وخرجوا إليه، فخرج بهم إلى يزيد في الشام، واعتذر إليه فقبل عذره‏[[114]](#footnote-114).

يزيد، وابن عبّاس‏

عرفنا بيعة ابن عبّاس ليزيد[[115]](#footnote-115) فلعلّ ذلك هوالذي أطمع ابن الزبير فيها منه ولا سيّما بعد مقتل الحسين (ع)، فأرسل إليه: أنا أولى من يزيد الفاسق الفاجر وقد علمت سيرته وسوابق معاوية، وعلمت سيرتي وسوابق أبي الزبير مع رسول‏

ص: 47

اللّه! ودعاه إلى بيعته. فقال ابن عبّاس: ما لي ولهذا وإنّما أنا رجل من المسلمين، والفتنة قائمة وباب الدماء مفتوح! وامتنع عليه.

وبلغ ذلك إلى يزيد فكتب إليه: أمّا بعد؛ فقد بلغني أنّ الملحد في حرم اللّه دعاك لتبايعه فأبيت عليه وفاء منك لنا! فانظر من بحضرتك من أهل بيتك ومن يرد عليك من البلاد فأعلمهم حسن رأيك فينا وفي ابن الزبير! وأنّ ابن الزبير إنّما دعاك إلى طاعته والدخول في بيعته لتكون له على الباطل ظهيراً وفي المأثم شريكا! وقد اعتصمت ببيعتنا طاعة منك لنا ولما تعرف من حقّنا! فجزاك اللّه من ذي رحم خير ما جزى به الواصلين أرحامهم والموفين بعهدهم! فما أنسى من الأشياء فما أنا بناس برّك وتعجيل صلتك بالذي أنت أهله! فانظر من يطلع عليك من الآفاق فحذّرهم زخارف ابن الزبير وجنّبهم لقلقة لسانه! فإنّهم منك أسمع ولك أطوع، والسلام‏[[116]](#footnote-116).

جواب ابن عبّاس ليزيد

فكتب إليه ابن عبّاس: من عبد اللّه بن عباس إلى يزيد بن معاوية. أمّا بعد؛ فقد بلغني كتابك تذكر دعاء ابن الزبير إيّاي إلى نفسه وامتناعي عليه في الذي دعاني إليه من بيعته. فإن يك ذلك كما بلغك، فلست أردت حمدك ولا ودّك، واللّه بما أنوي عليم.

وزعمت أنّك لست بناسٍ ودّي! فلعمري ما تؤتينا ممّا في يديك من حقّنا إلا القليل، وإنّك لتحبس عنّا منه العريض الطويل.

ص: 48

وسألتني أن أحثّ الناس عليك وأخذّلهم عن ابن الزبير. فلا، ولا سرورا ولا حبورا! وأنت قتلت الحسين بن عليّ، بفيك الكثكث ولك الأثلب‏[[117]](#footnote-117)، إنّك- إن تمنّك نفسك ذلك- لعازب الرأي! وإنّك لأنت المفنّد المتهوّر! لا تحسبني- لا أباً لك- نسيت قتلك حسيناً وفتيان بني عبد المطلب: مصابيح الدجى ونجوم الأعلام، غادرهم جنودك مصرّعين في صعيد، مرمّلين بالتراب، مسلوبين بالعراء لا مكفّنين، تسفى عليهم الرياح، وتعاورهم الذئاب، وتنشي بهم عرج الضّباع! حتّى أتاح اللّه لهم أقواماً لم يشتركوا في دمائهم، فأجنّوهم (ستروهم) في أكفانهم، وبي- واللّه- وبهم عززت وجلست مجلسك الذي جلست يا يزيد!

وما أنسى من الأشياء فلست بناس تسليطك عليهم الدّعيّ العاهر ابن العاهر، البعيد رحما، اللئيم أباً وأمّاً، الذي في ادّعاء أبيك إيّاه ما اكتسب أبوك به إلا العار والخزي والمذلّة في الآخرة والأولى، وفي الممات والمحيا؛ فإنّ نبيّ اللّه قال:

«الولد للفراش وللعاهر الحَجَر»

فألحقه بأبيه كما يلحق بالعفيف النقيّ ولده الرشيد! وقد أمات أبوك السنّة جهلا، وأحيا البدع والأحداث المضلّة عمدا!

وما أنسى من الأشياء فلست بناسٍ اطّرادك الحسين بن عليّ من حرم رسول اللّه إلى حرم اللّه، ودسّك إليه الرجال تغتاله، فأشخصته من حرم اللّه إلى الكوفة، فخرج منها خائفاً يترقّب، وقد كان أعزّ أهل البطحاء بالبطحاء قديما، وأعزّ أهلها بها حديثا، وأطوع أهل الحرمين بالحرمين لو تبوّأ بها مقاما واستَحلّ بها قتالًا، ولكن كره أن يكون هوالذي يستحلّ حرمة البيت وحرمة الحرم، فأكبر من ذلك ما لم تُكْبر حيث دسست إليه الرجال فيها ليقاتل في الحرم، وما لم يُكْبر ابن الزبير، حيث ألحد بالبيت الحرام، وعرّضه للعائر وأراقل العالَم، وأنت- لأنت- المستحلّ فيما أظنّ بل لا شكّ فيه: إنّك للمحرّف العريف، فإنّك حليف نسوة

ص: 49

[[118]](#footnote-118)

وصاحب ملاه! فلمّا رأى (الحسين) سوء رأيك شخص إلى العراق ولم يبتغك ضرابا! وكان أمر اللّه قدراً مقدوراً.

ثمّ إنّك الكاتب إلى ابن مرجانة أن يستقبل حسيناً بالرجال، وأمرته بمعاجلته وترك مطاولته، والإلحاح عليه حتّى يقتله ومن معه من بني عبد المطلب: أهل البيت الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا! فنحن أولئك، لسنا كآبائك الأجلاف الجفاة الأكباد، الحمير.

ثمّ طَلبَ الحسين بن عليّ إليه (ابن مرجانة) الموادعة والرجعة، فاغتنمتم قلّة أنصاره واستئصال أهل بيته، فعدوتم عليهم، فقتلوهم كأنّما قتلوا أهل بيت من الترك والكفر!

فلا شي‏ء أعجب عندي من طلبك ودّي ونصري وقد قتلت بني أبي وسيفك يقطر من دمي، وأنت مأخذ ثأري، فإن يشأ اللّه لا يطلّ لديك دمي ولا تسبقني بثأري، وإن سبقتني به في الدنيا فقبلنا ما قتل النبيّون وآل النبيّين، وكان اللّه الموعد، وكفى به للمظلومين ناصراً ومن الظالمين منتقماً، فلا يعجبنّك إن ظفرت بنا اليوم فواللّه لنظفرنّ بك يوماً!

وأمّا ما ذكرت من وفائي وما زعمت من حقّي؛ فإن يك ذلك كذلك فقد واللّه بايعت أباك وإنّي لأعلم أنّ ابني عمّي (الحسنين) وجميع بني أبي أحقّ بهذا الأمر من أبيك! ولكنّكم- معاشر قريش- كاثرتمونا فاستأثرتم علينا سلطاننا ودفعتمونا عن حقّنا، فبُعداً لمن تحرّى ظلمنا واستغوى السفهاء علينا وتولّى الأمر دوننا، بُعداً لهم كما بعدت ثمود وقوم لوط وأصحاب مدين ومكذّبوا المرسلين.

ألا ومن أعجب العجب- وما عشت أراك الدهر العجيب- حملك بنات عبد المطلب وغلمة صغاراً من ولده إليك بالشام، كالسبي المجلوب! تري الناس أنّك قهرتنا وأنت تمنّ علينا! ولعمري لئن كنت تصبح وتمسي آمنا من جرح يدي إنّي لارجو أن يعظم جراحك بلساني ونقضي وإبرامي، فلا يستمرّ بك الجذل (الفرح) ولا يمهلك اللّه بعد قتلك عترة رسول اللّه إلا قليلًا حتّى يأخذك‏

ص: 50

أخذاً أليماً فيخرجك اللّه من الدنيا ذميماً أثيماً! فعش لا أبالك! فقد- واللّه- أرداك عند اللّه ما اقترفت! والسلام على من أطاع اللّه‏[[119]](#footnote-119).

وزاد السبط عن الواقدي، قال: فلمّا قرأ كتابه يزيد أخذته العزّة بالإثم وهمّ بقتل ابن عبّاس، ولكنّه شغله عنه أمر ابن الزبير[[120]](#footnote-120).

ص: 51

يزيد، وابن الحنفية

وطمع يزيد بعد اليأس من ابن عبّاس في محمّد بن الحنفيّة، وكان بالمدينة، فكتب إليه:

أمّا بعد، فإنّي أسأل اللّه لي ولك عملًا صالحاً يرضى به عنّا! فإنّي ما أعرف اليوم في بني هاشم رجلًا هوأرجح منك علماً وحلماً! ولا أحضر منك فهماً وحكماً، ولا أبعد منك عن كلّ سفه ودنس وطيش! وليس من يتخلّق بالخير تخلّقا وينتحل بالخير تنحّلا كمن جبله اللّه على الخير جبلا، وقد عرفنا ذلك كلّه منك قديماً وحديثاً شاهداً وغائباً.

غير أنّي قد أحببت زيارتك والأخذ بالحظّ من رويتك! فإذا نظرت في كتابي هذا فأقبل إليّ آمنا مطمئنا. أرشدك اللّه أمرك، وغفر لك ذنبك! والسلام عليك ورحمة اللّه وبركاته‏[[121]](#footnote-121).

وكان لابن الحنفيّة عشرة بنين‏[[122]](#footnote-122) لم يحضر أحد منهم مع عمّهم الحسين (ع)! سمّي أحدهم باسم جدّه لأمّه جعفر، والآخر عبد اللّه. فلمّا جاءه الكتاب وقرأه استشارهما في ذلك.

فقال له ابنه جعفر: يا أبة! إنّه قد طمأنك وألطفك في كتابه إليك! ولا أظنّه يكتب إلى أحد من قريش بأن «أرشدك اللّه أمرك وغفر ذنبك» فأنا أرجو أن يكفّ اللّه شرّه عنك.

ص: 52

فسار ابن الحنفية (ببنيه) حتّى قدم الشام على يزيد، فلمّا استأذن أذن له وقرّبه وأدناه حتّى أجلسه معه على سريره، ثمّ أقبل عليه بوجهه وقال له: يا أبا القاسم؛ آجرك اللّه وإيّاك في أبي عبد اللّه الحسين! فواللّه لئن كان أوجعك فقد أوجعني! ولوكنت أنا المتولّي لحربه لما قتلته بل لدفعت القتل عنه ولو بجزّ أصابعي وذهاب بصري! ولفديته بجميع ما ملكت يدي! وإن كان نازعني حقّي وقطع رحمي وظلمني! ولكن عبيد اللّه بن زياد لم يعلم رأيي فيه من ذلك فعجّل عليه وقتله ولم يستدرك ما فات! وبعد فإنّه لم يكن يجب (يجوز!) على أخيك أن ينازعنا في أمر خصّنا اللّه به دون غيرنا! وليس يجب علينا أن نرضى بالدنيّة في حقّنا! وعزيز عليّ ما ناله! وهات ما عندك الآن يا أبا القاسم!

فحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال: قد سمعت كلامك، ورحم اللّه حسينا وبارك اللّه له فيما صار إليه من ثواب ربّه والخلد الدائم الطويل في جوار المَلِك الجليل. وقد علمنا أنّ ما عرانا من ترح فقد عراك وأنّ ما نقصنا فقد نقصك! وكذا أظنّ أن لو شهدت ذلك بنفسك لاخترت أفضل الرأي والعمل! ولجانبت أسوأ الفعل والخطل!

والآن فإنّ حاجتي إليك ألا تسمعني فيه ما أكره؛ فإنّه ابن أبي وأخي وشقيقي؛ وإن زعمت أنّه كان عدوّا لك وظالمك كما تقول!

فقال له يزيد: فإنّك لا تسمع منّي فيه إلا خيراً، ولكن هلمّ فبايعني! ثمّ اذكر ما عليك من الدّين حتى أقضيه لك!

فقال محمّد: أمّا البيعة فقد بايعتك! وأمّا ما ذكرت من أمر الدّين فما عليّ بحمد اللّه دين، فإنّي من اللّه تبارك وتعالى في كلّ نعمة سابغة لا أقوم بشكرها!

وكان خالد بن يزيد بن معاوية عند أبيه فالتفت يزيد إليه وقال له: يا بنيّ! إنّ ابن عمّك هذا! بعيد من الدنس والخبّ واللؤم والكذب، ولوكان غيره كبعض من عرفت لقال: عليّ من الدّين كذا وكذا، ليستغنم أخذ أموالنا! ثمّ أقبل يزيد على ابن الحنفيّة وقال له: بايعتني يا أبا القاسم؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين! قال: فإنّي أمرت لك بثلاثمائة ألف درهم! فقال محمّد: لا حاجة لي في هذا المال ولا

ص: 53

جئت له! فقال يزيد: لا عليك أن تقبضه فتفرّقه فيمن أحببت من أهل بيتك! قال: قد قبلته يا أمير المؤمنين‏[[123]](#footnote-123)!

وفد المدينة عند يزيد

وفي موسم الحجّ لسنة اثنتين وستّين حجّ بالناس الوليد بن عتبة[[124]](#footnote-124) وكان يماكره ابن الزبير فمكر به وكتب إلى يزيد: إنّك بعثت إلينا رجلًا أخرق، لا يتّجه لأمر رشد، ولا يرعوي لعظة الحكيم! ولو بعثت إلينا رجلًا سهل الخلق ليّن الكتف رجوت أن يسهل من الأمور ما استوعر منها! وأن يجتمع ما تَفرَّق، فانظر في ذلك، فإنّ فيه صلاح خواصّنا وعوامّنا إن شاء اللّه، والسلام.

فدعا يزيد ابن عمّه الآخر: عثمان بن محمّد بن أبي سفيان، وبعث به إلى المدينة وعزل عنها الوليد، وكان عثمان فتى لم يحنّكه السنّ ولم يجرّب الأمور حدثاً غرّاً.

فدعا عثمان بن محمّد رجالًا كثيرين من الأشراف فيهم عبد اللّه بن حنظلة الغسيل الأنصاري، والمنذر بن الزبير، وعبد اللّه بن أبي عمرو المخزومي، وبعث بهم وفدا إلى يزيد[[125]](#footnote-125)، وزاد الخوارزمي: عبد اللّه بن عمر، فأقاموا عنده أيّاما، وقد أنزل ابن الحنفيّة في بعض منازله، ويلتقي بهم صباحاً ومساء، وأجاز كلّ واحد منهم بخمسين ألف درهم! والمنذر بن الزبير بمائة ألف!

ص: 54

فلمّا أرادوا الانصراف استأذنه ابن الحنفية ليكون معهم، فوصله بمائتي ألف درهم مع عروض بمائة ألف أخرى وقال له: كنت أحبّ ألا تفارقني وتأمرني بما فيه حظّي ورشدي! واللّه ما احبّ أن تنصرف عنّي وأنت ذامّ لشي‏ء من أخلاقي؟

فقال له محمّد: أمّا ما كان منك إلى الحسين (ع) فذلك شي‏ء لا يستدرك! وأمّا الآن ... فلو رأيت منك خصلة أكرهها لما وسعني السكوت دون أن أنهاك عنها واخبرك بما يحقّ للّه عليك منها (وذلك) للذي أخذ اللّه تبارك وتعالى على العلماء في علمهم أن يبيّنوه للناس ولا يكتموه ... فأنا أنهاك عن شرب هذا المسكر! فإنّه رجس من عمل الشيطان! وليس من ولي أمور الأمة ودعي له بالخلافة فوق المنابر على رؤوس الأشهاد كغيره من الناس! فاتّق اللّه في نفسك، وتدارك ما سلف من ذنبك!

فقال له يزيد: فإنّي قابل منك ما أمرتني به! ثمّ ودّعه وخرج معهم إلى المدينة ففرّق كلّ ذلك المال في الرجال والنساء والذريّة والموالي من بني هاشم وقريش، ثمّ خرج إلى مكّة مجاوراً[[126]](#footnote-126) محاذراً أمرهم.

وزاد الطبري قال: ولمّا عاد الوفد إلى المدينة قالوا لهم: إنّا قدمنا من عند رجل لا دين له، يشرب الخمر ويعزف بالطنابير ويضرب عنده القيان، ويلعب بالكلاب، ويسامر الخرّاب والفتيان! فنحن نشهدكم أنّا قد خلعناه!

وكان المنذر بن الزبير صديقاً لابن زياد، فقَدِم عليه بالبصرة، فلمّا بلغ يزيد أمر أصحابه بالمدينة كتب إلى ابن زياد بحبس المنذر، فأنذره ابن زياد فخرج إلى المدينة وأخذ يقول لهم: واللّه لقد أجازني يزيد بمائة ألف درهم ولا

ص: 55

يمنعني ذلك أن اخبركم خبره صادقا: واللّه إنّه ليشرب الخمر، وإنّه ليسكر حتّى يدع الصلاة! فاشتدّ عليه أكثر من أصحابه.

فدعا يزيد النعمان بن بشير الأنصاري وقال له: إنّ بالمدينة من عشيرتي من لا أحب أن ينهض في فتنتهم فيهلك، وقومك (الأنصار) إن لم ينهضوا في هذا الأمر لم يجترئ الناس على خلافي! فاذهب إليهم وفتّرهم عمّا يريدون. فجاءهم النعمان ودعاهم إلى لزوم الطاعة والجماعة وقال لهم: إنّه لا طاقة لكم بأهل الشام! فعصاه الناس فانصرف عنهم‏[[127]](#footnote-127) إلى الشام.

ص: 56

مقدمات واقعة الحَرّة[[128]](#footnote-128)

تمرّد أهل المدينة على يزيد

وكان معاوية قد اكتسب أموالًا ونخيلًا بالمدينة، وعليها قيّم يجبيها لهم يدعى ابن ميثاء، وكانت له نوق وجمال لذلك في حرّة المدينة، فأقبل بها يريد جباية الأموال ليزيد، وكانت نخيلًا يجذّ منها كلّ سنة مائة وستّين ألف وسق تمرا!

فاجتمع نفر من قريش والأنصار ودخلوا على عثمان بن محمّد فقالوا له: إنّ معاوية آثر علينا في عطائنا فلم يعطنا درهماً فما فوقه قطّ! حتّى مضّنا الزمان ونالتنا المجاعة! فاشترى منّا أموالنا بجزء من مائة من ثمنها! فهذه الأموال كلّها لنا!

فقال لهم عثمان: لأكتبنّ إلى أمير المؤمنين بسوء رأيكم وما أنتم عليه من الضغون القديمة والأحقاد التي لم تزل في صدوركم!

فتفرّقوا عنه، ثمّ اجتمع رأيهم على منع ابن ميثاء القيّم عليها. فكتب عثمان بن محمّد بأمرهم إلى يزيد.

فكتب يزيد كتاباً خطاباً لأهل المدينة وأمر عثمان بن محمّد أن يقرأه عليهم فقرأه فإذا فيه:

«وأيم اللّه لئن آثرت أن أضعكم تحت قدمي فلأطأنّكم وطأة أقلّ منها عددكم، وأترككم أحاديث تتناسخ كأحاديث عاد وثمود! فلا أفلح من ندم!

ص: 57

فلمّا قرئ الكتاب على أهل المدينة بدر عبد اللّه بن المطيع العدوي القرشي بكلام قبيح وأيّده رجال آخرون.

وأمّل يزيد في وساطة عبد اللّه بن جعفر وكان عنده، فأرسل إليه وقال له:

إنّ ابن الزبير حيث علمت من مكّة، وهو زعم أنّه قد نصب الحرب، فأنا أبعث جيوشاً وآمر صاحب أوّل جيش أبعثه أن يتّخذ المدينة طريقاً، فإن نزعوا عن غيّهم وضلالهم وأقرّوا بالطاعة فلهم عليّ عهد اللّه وميثاقه أنّ لهم في كلّ عام عطاءين: عطاء في الشتاء وعطاء في الصيف، ما لا أفعله لأحد من الناس طول حياتي؛ ولهم عليّ عهد أن أجعل الحنطة عندهم كسعر الحنطة عندنا! والعطاء الذي يذكرون أنّه احتبس عنهم في زمان معاوية فهو عليّ أن أخرجه لهم وافراً كاملًا! فإن قبلوا ذلك وأنابوا جاوزهم إلى ابن الزبير، وإن أبوا قاتلهم، ثمّ إن ظفر بها أنهبها ثلاثاً!

فروى ابن قتيبة عن ابن جعفر، قال: فرجعت إلى منزلي ليلًا وكتبت إليهم كتاباً أعلمهم فيه بقول يزيد وأحضّهم على القبول بما بذله لهم، وأنهاهم أن يتعرّضوا لجيوشه! وسلّمت الكتاب لرسولي وطلبت إليه أن يجهد السير إليهم، فوصل إليهم في عشرة أيّام، فما قبلوه»[[129]](#footnote-129).

نفي بني أميّة من المدينة

قال ابن قتيبة: فلمّا استبان لهم أنّ يزيد سيبعث إليهم بجيوشه اتّفقوا على تمرّدهم واختلفوا في رياستهم، فمنهم من قال: ابن مطيع، وقائل: إبراهيم بن نعيم، ثمّ اجتمعوا على عبد اللّه بن حنظلة فبايعوه‏[[130]](#footnote-130). وكان له ثمانية بنين كانوا

ص: 58

معه في وفودهم على يزيد، فأعطى كلّ واحد منهم عشرة آلاف درهم وأعطى أباه مائة ألف، فلمّا عاد وسأله الناس ما وراءك؟ قال لهم: أتيتكم من عند رجل لو لم أجد إلا بنيّ هؤلاء لجاهدته بهم! فقالوا: فقد بلغنا أنّه أكرمك وأعطاك! قال: أجل قد فعل ولكنّي ما قبلت ذلك منه إلا أن أتقوّى به عليه‏[[131]](#footnote-131). فلمّا بايعوه للخروج على يزيد قال لهم: واللّه ما خرجنا على يزيد حتّى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء! إنّه رجل ينكح أمهات الأولاد (أي أمّهات أولاد أبيه!) والأخوات والبنات! ويشرب الخمر حتّى يدع الصلاة[[132]](#footnote-132).

وكان ابن زياد لمّا قتل الحسين (ع) قالت له أمّه مرجانة: ويلك ماذا ركبت وماذا صنعت! فلمّا كتب يزيد إليه أن يغزو مكّة أبى عليه وقال: لا أجمعهما للفاسق أبداً! أقتل ابن بنت رسول اللّه وأغزو البيت‏[[133]](#footnote-133)! ولعلّه كان قد بلغه إلقاء يزيد عليه قتله (ع).

وتأهّب أهل المدينة لإخراج الأمويّين منها، وبلغهم ذلك فاجتمعوا إلى مروان بن الحكم وقالوا له: يا أبا عبد الملك! ما الرأي؟ فقال لهم: إنّما الخوف على الحريم فمن يقدر منكم أن يغيّب حريمه فليفعل! وبلغه أنّ عبد اللّه بن عمر يريد الخروج إلى مكّة ليغيب عن أمرهم هذا، فأتاه وقال له: احبّ أن أوجّه عيالي معك، وهي عائشة بنت عثمان بن عفّان. فقال: إنّي لا أقدر على مصاحبة النساء!

قال: فاجعلهم مع حرمك في منزلك! قال: فلا آمن أن يدخل على حريمي لمكانكم معهم‏[[134]](#footnote-134)!

ص: 59

وروى الطبري عن الواقدي نحوه وقال: فلجأ إلى عليّ بن الحسين (ع) وقال له: يا أبا الحسن! إنّ لي رحما! فتكون حرمي مع حرمك؟! قال: افعل! فبعث بحرمه إلى عليّ بن الحسين، فخرج بحرمه وحرم مروان إلى ينبع، فكان مروان شاكراً ذلك له‏[[135]](#footnote-135). ثمّ وثب أهل المدينة على واليهم عثمان بن محمّد بن أبي سفيان ومن بالمدينة من بني أميّة ومواليهم ومن كان معهم من قريش، فأخرجوهم حتّى أنزلوهم دار مروان بن الحكم وكانوا نحوألف رجل! وحاصروهم حصاراً ضعيفاً[[136]](#footnote-136)، وذلك ليخرجوهم من المدينة. فقالوا: نحن نريد الشام فالشقّة بعيدة ولنا عيال وصبية ولا بدّ لنا ممّا يصلحنا. فاستنظروهم عشرة أيّام، فأنظروا.

ثمّ أخرجوا كبراءهم إلى منبر رسول اللّه (ص) فحلّفوهم‏[[137]](#footnote-137). قالوا لهم: واللّه لا نكفّ عنكم حتّى نستنزلكم ونضرب أعناقكم أو تعطونا عهد اللّه وميثاقه أن لا تبغونا غائلة ولا تدلّوا لنا على عورة، ولا تظاهروا علينا عدوّا، فنكفّ عنكم ونخرجكم عنّا. فأعطوهم عهد اللّه وميثاقه‏[[138]](#footnote-138)، وشرطوا عليهم أن يخرجوا فيقيموا عشرة أيّام بذي خشب. فأخرجوهم من المدينة، وتبعهم السفهاء والصبيان يرمونهم بالحجارة حتّى انتهوا إلى ذي خشب‏[[139]](#footnote-139).

فبعث مروان إلى حبيب بن كرّة وكتب كتاباً إلى يزيد وسلّمه إلى ابنه عبد الملك فخرج مع ابن كرّة إلى ثنيّة الوداع فسلّم الكتاب إليه وقال له: قد أجّلتك اثنتي عشرة ليلة ذاهباً واثنتي عشرة ليلة مقبلًا، فوافني لأربع وعشرين ليلة في هذا المكان في هذه الساعة تجدني جالسا أنتظرك.

ص: 60

قال ابن كرّة: أخذت الكتاب ومضيت به حتّى دخلت به على يزيد وهو على كرسيّه وقدماه في ماء في طست من وجع النقرس، فقرأه فإذا فيه: أمّا بعد، فإنّه قد حصرنا في دار مروان، ورمينا بالجبوب (الأرض الغليظة) ومنعنا العذب! فيا غوثاه يا غوثاه! فلمّا قرأه قال لي: أما يكون بنو أميّة ومواليهم ألف رجل؟

قلت: بلى وأكثر! قال: فما استطاعوا أن يقاتلوا ساعة من نهار! قلت: أجمع الناس كلّهم عليهم فلم يكن لهم طاقة على الناس‏[[140]](#footnote-140).

ص: 61

جيش الشام إلى المدينة

فبعث يزيد- بعد إباء ابن زياد- إلى عمرو بن سعيد الأشدق وكان في الشام فأقرأه الكتاب، وطلب إليه أن يسير بالناس إليهم، فقال: إنّما هي دماء قريش فلا احبّ أن أتولّى أنا ذلك.

فروى الطبري عن حبيب بن كرّة قال: فبعثني يزيد بالكتاب إلى مسلم بن عقبة المرّي القرشي (في فلسطين) فسلّمت الكتاب إليه وهو شيخ كبير مريض، فقرأه وأخبرته الخبر فجاء حتّى دخل على يزيد.

فقال له: ويحك! إنّه لا خير في العيش بعدهم، فاخرج وسر بالناس.

فخرج مناديه ينادي: أن سيروا إلى الحجاز على أخذ أعطياتكم كاملة، ومعونة مائة دينار توضع في يد الرجل فورا! فانتدب له اثنا عشر ألف رجل‏[[141]](#footnote-141).

وخرج يزيد وخطب فقال: يا أهل الشام! إنّ أهل المدينة أخرجوا قومنا منها، واللّه لئن تقع الخضراء على الغبراء أحبّ إليّ من ذلك‏[[142]](#footnote-142). وأمر بقبّة ضربت له خارج قصره، وقطع البعوث على أهل الشام، فلم تمض أيّام ثلاثة حتّى فرغ، وعرضت الكتائب عليه في اليوم الثالث‏[[143]](#footnote-143).

وخرج مسلم وهو أعور فاستعرض الجنود، فلم يُخْرج معه أصغر من ابن عشرين ولا أكبر من ابن خمسين، على خيل عراب وأدوات كاملة، ووجّه يزيد معه عشرة آلاف بعير تحمل زاده.

وخرج إليه يزيد يودّعه فقال له: إن شئت أعفيتك، فإنّي أراك مدنفاً منهوكاً!

فقال الأعور: نشدتك اللّه ألا تحرمني أجراً ساقه اللّه إليّ! أوتبعث غيري!

ص: 62

فقال يزيد: فإن حدث بك حدث فأمر الجيوش إلى الحصين بن نمير السّكوني، فانهض بسم اللّه إلى ابن الزبير، واتّخذ المدينة طريقاً إليه، فإن صدّوك فاقتل من ظفرت به منهم، وأنهبها ثلاثاً ... فإذا قدمت المدينة فمن عاقّك عن دخولها أو نصب لك الحرب فالسيف السيف، أجهز على جريحهم واتّبع مدبرهم وإيّاك أن تبقي عليهم! وإن لم يتعرّضوا لك فامض إلى ابن الزبير[[144]](#footnote-144).

فأمره بقتال أهل المدينة، فإن ظفر بها أباحها للجند ثلاثة أيّام يسفكون فيها الدماء ويأخذون أموالهم، وأن يبايعهم على أنّهم خول وعبيد ليزيد[[145]](#footnote-145)، فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس. وانظر عليّ بن الحسين فاكفف عنه واستوص به خيراً وأدْنِ مجلسه، فإنّه لم يدخل في شي‏ء ممّا دخلوا فيه‏[[146]](#footnote-146).

وقال اليعقوبي: كان جيشه خمسة آلاف رجل: من فلسطين ألف رجل عليهم روح بن زنباغ الجذامي، ومن الأردن ألف رجل عليهم حبيش بن دلجة القيني، ومن دمشق ألف رجل عليهم عبد اللّه بن مسعدة الفزاري، ومن أهل حمص ألف رجل عليهم الحصين بن نمير السكوني، ومن قنّسرين ألف رجل عليهم زفر بن الحارث الكلابي‏[[147]](#footnote-147).

ص: 63

لقاء أهل المدينة بالأمويين‏

ولمّا أيقن أهل المدينة بقدوم الجيوش إليهم، قال بعضهم: لقد خندق رسول اللّه، فتشاوروا في ذلك وخندقوا المدينة من كلّ نواحيها[[148]](#footnote-148) أو في جانب منها[[149]](#footnote-149) وهوخندق النبيّ، وواصلوا سائرها بالحيطان‏[[150]](#footnote-150).

وخرج بنو أميّة بأثقالهم حتّى انتهوا إلى وادي القرى قرب خيبر في طريق الشام فالتقوا بجيش مسلم المرّي، وسمع أنّ فيهم عمرو بن عثمان بن عفّان، فدعا به أوّل الناس وقال له: أخبرني خبر ما وراءك وأشر عليّ. فقال عمرو: لقد أخذ علينا العهود والمواثيق ألا ندلّ على عورة ولا نظاهر عدوّا! فقال المرّي: واللّه لو لا أنّك ابن عثمان لضربت عنقك! وأيم اللّه لا أقيلها بعدك قرشيّا! وانتهره! فخرج إلى أصحابه وأخبرهم بما لقي عنده.

فدخل عليه عبد الملك بن مروان فقال له: أخبرني خبر الناس وكيف ترى؟

فقال له: أرى أن تسير بمن معك حتّى إذا انتهيت إلى أدنى نخل للمدينة نزلت، حتّى إذا أصبحت وصلّيت مضيت وتركت المدينة على يسارك ودرت حولها إلى الحرّة في مشرقها فتستدبر المشرق وتستقبل القوم فتشرق الشمس عليهم وبين أكتاف أصحابك فلا تؤذيهم، وتقع في وجوههم فيؤذيهم حرّها وأذاها، وما دمتم مشرّقين فهم يرون من بيضكم وحرابكم وأسنة رماحكم وسيوفكم ودروعكم وسواعدكم ما لا ترونه أنتم من شي‏ء من سلاحهم ماداموا

ص: 64

مغرّبين!

ثمّ دخل عليه مروان فأقنعه بولده عبد الملك واقتنع به‏[[151]](#footnote-151). هذا ما رواه الطبري، وزاد ابن قتيبة، قال:

قال له مروان: عددهم أكثر من الجيش الذي جئت به ولكن فيهم قوم قليل لهم نيّة وبصيرة، وعامّتهم ليس لهم نيّات ولا بصائر، ولا بقاء لهم مع السيف، وليس لهم سلاح ولا كراع، ولكنّهم قد خندقوا عليهم وحصّنوا! فقال مسلم: ولكنّا نردم عليهم خندقهم ونقطع عنهم مشربهم! فلم يرجع منهم مع مسلم غير مروان وابنه عبد الملك، وكان قد أصابه الجدري فخلّفه بذي خشب.

وجمع عبد اللّه بن حنظلة أهل المدينة عند المنبر فقال لهم: تبايعوني على الموت! وإلا فلا حاجة في بيعتكم! فبايعوه على الموت، ثمّ صعد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال لهم: أيّها الناس! إنّكم إنّما خرجتم غضباً لدينكم، فأبلوا إلى اللّه بلاءً حسناً ليوجب لكم به جنّته ومغفرته، ويحلّ بكم رضوانه، واستعدّوا بأحسن عدّتكم، وتأهّبوا بأكمل أهبّتكم، فقد أخبرت أنّ القوم قد نزلوا بذي خشب ومعهم مروان بن الحكم، واللّه إن شاء مهلكه بنقضه العهد والميثاق (ما أعطاه) عند منبر رسول اللّه (ص). فتصايح الناس بسبّه والنيل منه، فرفع عبد اللّه يديه إلى السماء وقال: اللهمّ إنّا بك واثقون وعليك متوكّلون، وإليك ألجأنا ظهورنا! ونزل. وكان صائماً ولا يزيد على شربة من سويق يفطر عليها إلى مثلها في غد، ولا يبيت إلا في المسجد الشريف‏[[152]](#footnote-152).

ص: 65

وقعة الحرّة

ولمّا انتهى الجيش إلى المدينة عسكر بالحرّة[[153]](#footnote-153) وخرج أهلها لحربه وعليهم عبد اللّه بن حنظلة الأنصاري الأوسي (على الأنصار) وعبد اللّه بن المطيع العدوي القرشي (على قريش)[[154]](#footnote-154).

فلمّا نزل مسلم المرّي أرسل إلى أهل المدينة، قال لهم: إنّ أمير المؤمنين! يقرأ عليكم السلام ويقول لكم:

أنتم الأهل والعشيرة، فاتّقوا اللّه واسمعوا وأطيعوا، فإنّ لكم عندي في عهد اللّه وميثاقه عطاءين في كلّ سنة: عطاء في الصيف وعطاء في الشتاء! ولكم عندي عهد اللّه وميثاقه أن أجعل سعر الحنطة عندكم كسعر الحنطة عندنا (في الشام) وكان عمرو بن سعيد قد أخذ عطاءهم واشترى به لنفسه عبيداً فقال لهم: وأمّا العطاء الذي ذهب به عمروبن سعيد فعليّ أن أخرجه لكم!

فقالوا له: لقد خلعنا يزيد كما نخلع نعالنا أوعمائمنا[[155]](#footnote-155).

فقال لهم: يا أهل المدينة! إنّ أمير المؤمنين يزيد بن معاوية! يزعم أنّكم الأهل، فأنا أكره إهراق دمائكم (ولذا) فإنّي أؤجّلكم ثلاثاً، فمن ارعوى وراجع الحقّ قبلنا منه، وانصرفت عنكم إلى هذا الملحد الذي بمكّة! وإن أبيتم كنّا قد أعذرنا إليكم!

ولمّا مضت الأيّام الثلاثة ناداهم: يا أهل المدينة! قد مضت الأيّام الثلاثة فما تصنعون؟ أتسالمون أم تحاربون؟ قالوا: بل نحارب! قال: بل ادخلوا في الطاعة

ص: 66

ونجعل حدّنا وشوكتنا على هذا الملحد الذي قد جمع إليه المرّاق والفسّاق من كلّ أوب!

فقالوا لهم: يا أعداء اللّه، واللّه لوأردتم أن تجوزوا إليهم ما تركناكم حتّى نقاتلكم، أنحن ندعكم أن تأتوا بيت اللّه الحرام وتخيفوا أهله وتلحدوا فيه وتستحلّوا حرمته! لا واللّه لا نفعل‏[[156]](#footnote-156)!

قتال يوم الحرّة

فأقبل مسلم المرّي من الحرّة بجمعه إلى طريق العراق حتّى ضرب فسطاطه هناك، ثمّ أوقف خمسمئة من حاملي الأسنّة الرجّالة دونه، وكان له غلام روميّ شجاع كان صاحب رايته. ووجّه بخيله نحو ابن حنظلة، فحمل ابن حنظلة في الرجال الذين معه عليهم حتّى انتهوا إلى ابن عقبة، فنهض برجاله في وجوههم وصاح بهم فانصرفوا إلى قتال شديد.

وكان مع الفضل بن العبّاس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي عشرون فارساً فقاتل بهم قتالًا شديدا، ثمّ قال لابن حنظلة: مر الفرسان معك ليقفوا معي فإذا حملت فليحملوا فواللّه لا أنتهي حتّى أبلغ مسلم المرّي. فأمر ابن حنظلة رجلًا أن ينادي في الخيل بذلك، فنادى فيهم وجمعهم إلى الفضل الهاشمي، فلمّا اجتمعت إليه الخيل حمل بهم على أهل الشام فكشفهم. ثمّ قال لهم: احملوا أخرى، ثمّ حمل وحمل معه أصحابه حتّى بلغوا الخمسمائة الرجالة جاثين على ركبهم شارعين أسنتهم نحو القوم، يقدمهم الغلام الروميّ حامل راية ابن عقبة، فمضى الفضل الهاشمي نحوحامل الراية وعلى رأسه المغفر، فكان الفضل يظنّه مسلم المرّي، فضرب بسيفه على مغفره فقطّ المغفر وفلق هامته، ونادى: خذها وأنا ابن عبد المطلب! قتلت طاغية القوم وربّ الكعبة!

ص: 67

وبادر مسلم المرّي فأخذ رايته بيده ونادى أهل الشام بالملام وقال لهم:

شدّوا مع هذه الراية، ثمّ مشى برايته وشدّت رجاله أمامه.

وقال عوانة بن الحكم: بل كان مسلم المرّي لا زال مريضاً على سريره، وأمرهم فحملوه ووضعوه في الصفّ أمام فسطاطه، فلمّا حمل عليه الفضل الهاشمي وأصحابه وانتهوا إلى سريره نادى ابن عقبة: أين أنتم يا بني الحرائر! اشجروه بالرماح، فطعنوه بالرماح حتّى سقط. هذا وبينه وبين أطناب مسلم المرّي نحو من عشرة أذرع، وقتل معه رجال كثير من أهل المدينة فيهم إبراهيم بن نعيم العدوي وزيد بن عبد الرحمان بن عوف.

ثمّ ركب مسلم المرّي فرسه وأخذ يسير في أهل الشام ويحرّضهم، وأمر الخيل أن تقدم على ابن حنظلة، فأقبلت خيل مسلم المرّي ورجاله نحو ابن حنظلة الغسيل ورجاله، فإذا أقدمت الخيل على الرجال ثاروا في وجوههم برماحهم وسيوفهم، فتنفر خيولهم وتحجم. فأمر ابن عقبة الحصين بن نمير السكوني أن ينزل بجنده من أهل حمص، فمشى براياتهم إليهم، ثمّ أمر مسلم المرّي عبد اللّه الأشعري أن يدنو برماته الخمسمائة نحو ابن حنظلة الغسيل وأصحابه، فأخذوا ينضحونهم بنبالهم.

فنادى ابن الغسيل: من أراد التعجّل إلى الجنّة فليلزم هذه الراية، فقام إليه المستميتون منهم، فاقتتلوا أشدّ قتال ساعة، وأخذ يقدّم بنيه أمامه واحداً فواحداً حتّى قتل ثمانيتهم بين يديه، وهو يقاتلهم بسيفه حتّى قتل هو وأخوه لأمّه محمّد بن ثابت ابن قيس بن شماس خطيب الأنصار، ومعهما محمّد بن عمرو بن حزم الأنصاري.

وانهزم الناس، وأخذ محمّد بن سعد بن أبي وقّاص يقاتلهم حتّى غلبت الهزيمة فذهب مع الناس‏[[157]](#footnote-157).

ص: 68

ولمّا دارت رحا الموت بين الفريقين توارى عبد اللّه بن المطيع العدوي وسئل عن ذلك فقال: رأيت ما رأيت من غلبة أهل الشام، وصنع بني حارثة الذي صنعوا من إدخالهم علينا (كما يلي) وولي الناس ... وعلمت أنّه لا يضرّ عدوي مشهدي (حضوري) ولا ينفعهم ولّتي (فراري) فتواريت، ثمّ لحقت بابن الزبير[[158]](#footnote-158).

اقتحام خندق المدينة

وهكذا ذكر الطبري خبر الحرّة بلا اختراق للخندق، بينما اختزل الدينوري خبر القتال في الحرّة إلى خبر اختراق الخندق عليهم فقال: لمّا انتهوا إلى المدينة عسكروا بالحرّة، ثمّ مشى رجال منهم فأطافوا بالمدينة من كلّ ناحية فلا يجدون مدخلا، والناس متلبّسون السلاح قد قاموا على أفواه الخنادق، فجعل أهل الشام يطوفون بها والناس يرمونهم بالنبل والحجارة من فوق الآكام والبيوت حتّى جرحوا منهم وفي خيلهم.

فخرج مروان إلى رجل من بني حارثة في ضيعته فقال له: افتح لنا طريقاً وأنا أكتب بذلك إلى أمير المؤمنين (يزيد) وأضمن لك عنه شطر ما كان بذل لأهل المدينة من العطاء وتضعيفه. فرغب فيما بذل له وقبل ما ضمن له عن يزيد، وفتح له طريقاً، فاقتحمت الخيل المدينة[[159]](#footnote-159) ولذا كان بنو حارثة آمنين ما قتل أحد منهم، وكان قصرهم أماناً لمن أراد أهل الشام أن يؤمّنوه، وكلّ من نادى باسم الأمان لأحدهم أمّنوه ثمّ ذبّوا عنه حتّى يبلّغوه قصر بني حارثة، فأجير يومئذ رجال كثير ونساء، لم يزالوا في قصرهم حتّى انقضت الثلاث‏[[160]](#footnote-160).

ص: 69

وكان ابن حنظلة في ناحية الطورين لمّا جاءه خبر دخولهم المدينة، فأقبل إليهم، وكان عبد اللّه بن مطيع العدوي في ناحية ذناب فأقبل إليهم، فاجتمعوا بمن معهم حيث اقتحم عليهم أهل الشام، فاقتتلوا حتّى عاينوا الموت؛ والنساء والصبيان يصيحون ويبكون على قتلاهم.

وجعل مسلم المرّي ينادي: من جاء برأس رجل فله كذا وكذا يغري بهم قوماً لا دين لهم، حتّى جاءهم ما لا طاقة لهم به، وظهروا على أكثر المدينة.

وكان على بشر بن حنظلة الغسيل درعان، فلمّا هزم القوم طرحهما ثمّ جعل يقاتلهم حاسراً حتّى ضربه شاميّ بسيفه على منكبه فوقع قتيلًا، فلمّا قتل ابن حنظلة الأمير صار أهل المدينة كالنعم شروداً بلا راع يقتلهم الشاميون في كلّ وجه.

وأقبل محمّد بن عمرو بن حزم الأنصاري فارساً يقاتل جريحاً فيحمل على كردوس من أهل الشام فيفضّ جماعتهم، فاجتمع جمع من أصحاب الرماح وحملوا عليه حملة واحدة وطعنوه برماحهم حتّى مال قتيلًا، فلمّا قتل انهزم باقي الناس في كلّ وجه، ودخل القوم المدينة تجول خيولهم فيها يقتلون وينهبون!

وقيل لعبد اللّه بن زيد بن عاصم: لو علم القوم باسمك وصحبتك لم يهيجوك بأذى فلو أعلمتهم! فقال: لا أفلح من ندم، لا واللّه لا أبرح حتّى اقتل ولا أقبل لهم أماناً! وكان أصلع حاسراً، فضربه شامي بفأس على رأسه فسقط قتيلًا صائماً[[161]](#footnote-161).

ص: 70

نهب المدينة وإباحتها

وأوّل دور انتهبت والحرب قائمة: دور بني عبد الأشهل، فما تركوا في المنازل من أثاث ولا حليّ ولا فراش إلا نقض صوفه، حتّى إنّهم كانوا يذبحون الدجاج والحمام!

ودخل عشرة منهم دار محمّد بن مسلمة الأنصاري فتصايحت النسوة، فسمعهنّ زيد بن محمّد ففزع لهنّ ومعه رجلان من أهله حتّى قتل جميع الشاميين، ثمّ أقبل نفر آخرون منهم فقاتلوهم أيضاً حتّى ضربه أربعة منهم بسيوفهم في وجهه فقتلوه بعد أن قتل أربعة عشر رجلًا منهم.

ولزم خدره أبو سعيد الخدري فهتكوا ستره وسألوه: من أنت أيّها الشيخ؟

قال: أنا أبو سعيد الخدري صاحب رسول اللّه (ص)! قالوا: ما زلنا نسمع عنك، فبحظّك أخذت في ترك قتالنا وكفّك عنّا ولزوم بيتك، ولكن أخرج إلينا ما عندك! قال: واللّه ما عندي مال. فضربوه حتّى نتفوا لحيته ثمّ أخذوا كلّ ما وجدوه في بيته حتّى الصواع والحمام!

ولزم سعيد بن المسيّب المسجد فكان لا يخرج منه إلا ليلًا، وأمن. وخرج جابر بن عبد اللّه الأنصاري وهو يومئذٍ أعمى إلى بعض زقاق المدينة وهو يقول:

تعس من أخاف اللّه ورسوله! فسئل: ومن أخاف اللّه ورسوله؟! قال: سمعت رسول اللّه (ص) يقول: من أخاف المدينة فقد أخاف ما بين جنبيّ! فسمعه شاميّ فحمل عليه بسيفه ليقتله،- وكان مروان بن الحكم حاضراً- فترامى عليه مروان وأجاره وأدخله منزله وأغلق عليه بابه، فسِلم، وأسروا كثيراً فغلّوهم‏[[162]](#footnote-162).

ص: 71

وأنهبها ثلاثاً فقتل الناس، وفضحت النساء، ونهبت الأموال‏[[163]](#footnote-163).

وقال اليعقوبي: وأباح مسلم المرّي المدينة لجنده فلم يبق بها كثير أحد نجا من القتل، وحتّى حملت الأبكار لا يعرف لمن‏[[164]](#footnote-164). وروى البيهقي عن الحسن البصري أنّه ذكر الحرّة فقال: واللّه ما كاد ينجو منهم أحد، ونهبت المدينة؛ وافتضّ فيها ألف عذراء، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون‏[[165]](#footnote-165).

ودخل شاميّ على امرأة ابن أبي كبشة الأنصاري، قالت: لقد بايعت معه رسول اللّه (ص) يوم الشجرة على ألا أزني ولا أسرق ولا أقتل ولدي، ولا آتي ببهتان أفتريه. وكانت قد نفست حديثاً بصبيّ، فقال الشامي لها: هل من مال؟

قالت: لا واللّه ما تركوا لي شيئاً! فقال لها: واللّه لتخرجنّ إليّ شيئاً أو لأقتلنّك وصبيّك هذا! فقالت له: ويحك إنّه ولد ابن أبي كبشة الأنصاري صاحب رسول اللّه ... فاتّق اللّه! ثمّ التفتت إلى الصبي وهي ترضعه وقالت له: يا بني! واللّه لوكان عندي شي‏ء لافتديتك به. وكان الصبيّ في حجرها وثديها في فمه، فأخذ برجله وجذبه من حجرها وضرب به الحائط فانتثر دماغه على الأرض! ثمّ خرج من البيت ولكنّه اسودّ وجهه نصفياً، وصار يضرب به المثل‏[[166]](#footnote-166).

أعداد القتلى في الحرّة:

قال المسعودي: وكانت وقعة عظيمة، قتل فيها خلق كثير من الناس، من بني هاشم وسائر قريش والأنصار وغيرهم من سائر الناس. فممّن قتل من آل أبي طالب: اثنان: جعفر بن محمّد (ابن الحنفية) بن عليّ وعبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب (كذا! وهو وهم) ومن بني هاشم: الفضل بن العبّاس بن ربيعة، وحمزة بن‏

ص: 72

عبد اللّه بن نوفل، والعباس بن عتبة بن أبي لهب. ومن سائر قريش بضع وتسعون رجلًا، ومثلهم من الأنصار، ومن سائر الناس ممّن أدركه الإحصاء: أربعة آلاف‏[[167]](#footnote-167).

ويبدو أنّ أقدم قائمة بتسميتهم هي قائمة الليثي العصفري البصري (م 240 ه-) وهذا بدأ ببني هاشم وبدأ منهم بعبد اللّه بن جعفر كما مرّ، وهو وهم، ثمّ سمّى سائر قريش حتّى قال: فجميع من أصيب من قريش سبعة وتسعون رجلًا، ثمّ سمّى الأوس ثمّ الخزرج حتّى قال: فجميع من اصيب من الأنصار مائة وثلاثة وسبعون رجلًا! وجميع من أصيب من قريش والأنصار: نحو ثلاثمائة رجل‏[[168]](#footnote-168) واكتفى بهذا.

وزاد المسعودي ثانياً عن الواقدي، قال: قتل عبد اللّه بن حنظلة الغسيل الأنصاري الأوسي في عدّة من المهاجرين والأنصار وأبنائهم ومواليهم وحلفائهم وغيرهم من قريش نحو من سبعمائة رجل، ومن سائر الناس من الرجال والنساء والصبيان! نحومن عشرة آلاف ... فكان ذلك من أعظم الأحداث في الإسلام وأجلّها وأفضعها رزءاً بعد قتل الحسين بن عليّ (ع)[[169]](#footnote-169).

وقال الدينوري: فبلغ عدّة قتلى الحرّة يومئذ من قريش والمهاجرين والأنصار ووجوه الناس ألفاً وسبعمائة، ومن سائر الناس عشرة آلاف، سوى النساء والصبيان‏[[170]](#footnote-170).

ص: 73

وقال ثانياً: وذكروا أنّه قتل يوم الحرّة من أصحاب النبيّ (ص) ثمانون رجلًا حتّى لم يبق بدري منهم بعد ذلك أبداً، وقتل من قريش والأنصار سبعمائة، ومن سائر الناس من التابعين والعرب والموالي عشرة آلاف‏[[171]](#footnote-171).

وقال ثالثاً: قال الزهري: بلغ القتلى يوم الحرّة من قريش والأنصار ومهاجرة العرب ووجوه الناس سبعمئة، ومن سائر الناس من الأخلاط والموالي والعبيد عشرة آلاف، واصيب نساء وصبيان. وقتل بها من أصحاب النبيّ ثمانون رجلًا ولم يبق بدريّ بعد ذلك. وكان قدومهم المدينة لثلاث بقين من ذي الحجّة سنة ثلاث وستّين، فانتهبوها ثلاثاً حتّى رأوا هلال المحرم فأمسكوا[[172]](#footnote-172).

وقال رابعاً: عن محمّد بن عمرو بن حزم: قتل بضعة وسبعون رجلًا من قريش منهم ابنان لعبد اللّه بن جعفر، وبضعة وسبعون رجلًا من الأنصار منهم خمسة أو أربعة من صلب زيد بن ثابت الأنصاري، ومن سائر الناس نحو من أربعة آلاف‏[[173]](#footnote-173). والأخير أولى.

وفي الجزري: كان في من قتل يوم الحرّة: ابنان لزينب بنت أبي سلمة المخزومية (بنت أمّ سلمة) فحملا مقتولين فوضعا بين يديها، فاسترجعت وقالت:

واللّه إنّ المصيبة فيهما عليّ لكبيرة، وهي عليّ في هذا أكبر من ذاك؛ لأنّه جلس في بيته فدخل عليه فقتل مظلوما! وأمّا الآخر فإنّه بسط يده وقاتل، فلا أدري على ما هو[[174]](#footnote-174)؟

ص: 74

وقالوا: لقد مكث النوح على أهل الحرّة في الدور سنة لا يهدؤون! وقال الأعرج: كان الناس قبل الحرّة لا يلبسون المصبوغ (الأسود) من الثياب فلمّا قتل الناس بالحرّة استحبّوا أن يلبسوها[[175]](#footnote-175).

ص: 75

كتاب ابن عقبة إلى ابن معاوية

مرّ عن الدينوري أنّه خالف المعروف في تسمية قتال أهل المدينة بالحرّة، فلم يذكر في الحرّة إلا نزول جيش الشام، ثمّ إحاطتهم بخندق المدينة ثمّ اقتحامه بدلالة رجل من بني حارثة، وانفرد- فيما نجد- بذكر كتاب لمسلم المرّي إلى أميره يزيد مع هذا الرجل الحارثي، وفيه أيضاً لم يذكر إلا مثل ذلك: «لعبد اللّه يزيد بن معاوية أمير المؤمنين! من مسلم بن عقبة، سلام عليك يا أمير المؤمنين! ورحمة اللّه وبركاته، فإنّي أحمد إليك اللّه الذي لا إله إلا هو. أمّا بعد تولّى اللّه حفظ أمير المؤمنين! والكفاية له: فإنّي أخبر أمير المؤمنين! أبقاه اللّه:

أنّي خرجت من دمشق ونحن على التعبئة التي رأى أمير المؤمنين! يوم فارقنا بالعافية، فلقينا أهل بيت أمير المؤمنين! بوادي القرى فرجع معنا مروان بن الحكم، وكان لنا عوناً على عدوّنا، وإنّا انتهينا إلى المدينة فإذا أهلها خندقوا عليها الخنادق، وأقاموا على أنقابها الرجال بالسلاح، وأدخلوا ماشيتهم وما يحتاجون لحصارهم سنة! فيما يقولون.

وإنّا أعذرنا إليهم وأخبرناهم بعهد أمير المؤمنين! وما بذل لهم، فأبوا، ففرّقت أصحابي على أفواه الخنادق: فولّيت الحصين بن نمير ناحية الذناب وما والاها، ووجّهت جيش دلجة على الموالي (كذا) إلى ناحية بني سلمة، ووجّهت عبد اللّه ابن مسعدة إلى ناحية بقيع الغرقد، وكنت- ومن معي من قوّاد أمير المؤمنين ورجاله في وجوه بني حارثة (ثمّ) بطريق فتحه لنا رجل منهم بما دعاه مروان بن الحكم إلى صنيع أمير المؤمنين! وما تضمّن له عنه من قرب المكانة وجزيل العطاء وإيجاب الحقّ وقضاء الذّمام، وقد بعثت به إلى أمير المؤمنين! وأرجو من‏

ص: 76

اللّه أن يلهم خليفته وعبده عرفان ما أولى من الصنع وأسدى من الفضل! وكان من محمود مقام مروان بن الحكم وجميل مشهده وسديد بأسه وعظيم نكايته لعدو أمير المؤمنين! ما لا أخال ذلك ضائعاً عند إمام المسلمين وخليفة ربّ العالمين إن شاء اللّه! فأدخلنا الخيل عليهم حين ارتفع النهار من ناحية بني عبد الأشهل ... وسلّم اللّه رجال أمير المؤمنين! فلم يصب أحد منهم بمكروه! ولم يقم لهم عدوّهم من ساعات نهارهم أربع ساعات، فما صلّيت الظهر- أصلح اللّه أمير المؤمنين- إلا في مسجدهم! بعد القتل الذريع والانتهاب العظيم! وأوقعنا بهم السيوف وقتلنا من أشرف لنا منهم! وأتبعنا مدبرهم! وأجهزنا على جريحهم! وانتهبناهم ثلاثاً كما قال أمير المؤمنين! أعزّ اللّه نصره، وجعلت دور بني الشهيد المظلوم عثمان بن عفّان في حرز وأمان!

فالحمد للّه الذي شفى صدري من قتل أهل الخلاف القديم والنفاق العظيم! فطالما عتواً وقديماً ما طغوا.

وكتبت إلى أمير المؤمنين! وأنا في منزل سعيد بن العاص مدنفاً مريضاً ما أراني إلا لما بي، وما أبالي متى متّ بعد يومي هذا! وكتب لهلال المحرم سنة ثلاث وستيّن».

جاءه الكتاب وعبد اللّه بن جعفر لا زال عنده بدمشق، فأرسل إليه وعنده ولده معاوية بن يزيد، فأقرأهما الكتاب، فاسترجع ابن جعفر وأكثر، فقال له يزيد:

ألم أجبك إلى ما طلبت وأسعفتك فيما سألت، فبذلت لهم العطاء وأجزلت لهم الإحسان، وأعطيت العهود والمواثيق على ذلك؟!

فقال عبد اللّه بن جعفر: فمن هنا استرجعت وتأسّفت عليهم إذ اختاروا البلاء على العافية والفاقة على النعمة، ورضوا بالحرمان دون العطاء!

ص: 77

وبكى ابنه معاوية فقال له: وما بكاؤك يا بنيّ؟! قال: أبكي على من قتل من قريش! وإنّما قتلنا بهم أنفسنا! فقال يزيد: هوذاك قتلت بهم نفسي وشفيتها[[176]](#footnote-176)!.

ص: 78

أخذه البيعة ليزيد

روى خليفة، قال: ثمّ دعا الناس الباقين إلى البيعة على أنّهم خوَلَ ليزيد بن معاوية! يحكم في أموالهم وأهليهم ودمائهم ما شاء! حتّى أتي بعبد اللّه بن زمعة (القرشي الأسدي من قوم ابن الزبير) وكان من قبل من أصفياء أصدقاء يزيد، فقال له المرّي: بايع على أنّك خول لأمير المؤمنين! يحكم في مالك وأهلك ودمك! قال: أبايعك على أنّي ابن عمّ أمير المؤمنين! يحكم في دمي وأهلي ومالي! قال: اضربوا عنقه! وكان مروان حاضراً فوثب وضمّه إليه وقال لمسلم: يبايعك على ما أحببت! قال: لا واللّه! لا أقيلها إيّاه أبدا، ثمّ قال لجلاوزته: إن تنحّى مروان وإلا فاقتلوهما جميعاً! فتركه مروان فضربوا عنقه!

ثمّ أتي بابنه يزيد بن عبد اللّه بن زمعة (وكان عبد اللّه زوج زينب بنت امّ سلمة زوج النبيّ، فيزيد ابن بنتها) فقال له مسلم: بايع وقال: أبايعك على كتاب اللّه وسنّة نبيّه! فأمر بقتله! فقتلوه‏[[177]](#footnote-177)!

وعاد بنو أميّة إلى المدينة. وقال ابن قتيبة: وانتقل مسلم من منزله (بالحرّة) إلى قصر بني عامر في دومة (من المدينة) ودعا من بقي من أهل المدينة للبيعة[[178]](#footnote-178)، وكان بنو أميّة أوّل من دعاهم إلى بيعة يزيد، وأوّلهم مروان بن الحكم، ثمّ سائر أكابرهم‏[[179]](#footnote-179).

وأتي بعمرو بن عثمان بن عفّان (وكان كاظماً غيظه عليه لوفائه بحلفه لأهل المدينة) ولا يعرفه من حضره من أهل الشام، فقال لهم: تعرفون هذا؟ قالوا: لا،

ص: 79

قال: هذا الخبيث ابن الطيّب: هذا عمرو بن عثمان أمير المؤمنين! ثمّ قال له: هيه يا عمرو؛ إذا ظهر أهل المدينة قلت: أنا رجل منكم! وإن ظهر أهل الشام قلت: أنا ابن أمير المؤمنين عثمان! (وكانت أمّ عمرو دوسيّة) فقال: وإن أمّ هذا كانت تدخل الجعل في فيها! ثمّ تقول لأبيه: يا أمير المؤمنين حاجيتك! ما في فيّ؟ وفي فيها ما أساءها! ثمّ أمر مسلم أن تنتف لحية عمرو فنتفوها! ثمّ خلّى سبيله‏[[180]](#footnote-180).

قال ابن قتيبة: بايع عمرو بن عثمان ثمّ ذهب إلى امّ سلمة زوج النبيّ (ص) (وكانت حيّة يومئذ) وقال لها: أرسلي معي ابن بنتك يزيد بن عبد اللّه بن زمعة (القرشي الأسدي وكأنّه كان لاجئاً مستجيراً بجدّته أمّ سلمة) فجاء به إلى مسلم المرّي.

فلمّا تقدّم يزيد قال له مسلم: تبايع لعبد اللّه يزيد أمير المؤمنين! على أنّكم ممّا أفاء اللّه عليه بأسياف المسلمين! خول له فإن شاء وهب وإن شاء أعتق وإن شاء استرقّ! فقال يزيد: لأنا أقرب إلى أمير المؤمنين منك! فقال مسلم: واللّه لا تستقيلها أبدا!

وكان مسلم قد أكرم عمرو بن عثمان هذه المرّة فأجلسه معه على سريره فقال لمسلم: أنشدك اللّه! فإنّي أخذته من أمّ سلمة بعهد اللّه وميثاقه أن أردّه عليها! فركضه مسلم برجله فرماه من سريره! وأمر بقتل يزيد[[181]](#footnote-181).

ولعلّ مروان كان حاضراً فوثب وضمّه إليه فكان ما مرّ من الخبر السابق.

ثمّ أتي بمعقل بن سنان الأشجعي حامل لوائهم يوم فتح مكّة، وكان معقل على الاستراحة إلى مسلم المرّي قد طَعن بعض الطعن على يزيد قبل هذا، فلمّا أدخل عليه قال له: يا معقل! أعطشت؟ قال: نعم، أصلح اللّه الأمير! قال لهم:

ص: 80

حيسوا له شربة من سويق اللوز الذي زوّدنا به أمير المؤمنين! فلمّا شربها قال له: رويت؟ قال: نعم، قال مسلم: أما واللّه لا تبولها أبدا! ما كنت لأدعك بعد كلام سمعته منك تطعن به على إمامك، فقدّم فضربت عنقه‏[[182]](#footnote-182).

ثمّ أتي بعبد اللّه بن الحارث مغلولًا، فقال له مسلم: أنت القائل: اقتلوا سبعة عشر رجلًا من بني أميّة لا تروا شرّا أبدا! قال: قد قلتها، ولكن لا يُسمع لأسير أمر، أرسل يدي وقد برئت منّي الذمة، إنّما نزلت بعهد اللّه وميثاقه، وأيم اللّه لو أطاعوني وقبلوا منّي ما أشرت به عليهم، ما تحكّمت أنت فيهم أبدا! فأمر به فضربت عنقه‏[[183]](#footnote-183).

ثمّ أمر بمحمّد بن أبي الجهم وجماعة من وجوه قريش والأنصار من خيار الصحابة والتابعين ... فجعل مروان يعتذر إلى القرشيّين منهم يقول: واللّه لقد أساءني قتل من قتل منكم!

فقالت له قريش: أنت واللّه الذي قتلتنا، ما عذرك اللّه والناس، لقد خرجت من عندنا وقد حلفت لنا عند منبر رسول اللّه (ص) لتردّنهم عنّا فإن لم تستطع لتمضينّ ولا ترجع معهم، فرجعت ودللت على العورة وأعنت على الهلكة، فاللّه لك بالجزاء.

فقال مروان للمرّي: قد واللّه شفيتني من دماء هؤلاء القوم إلا ما كان من قريش! فإنّك أفنيتها وأثخنتها! فقال مسلم: واللّه لا أعلم عند أحد غشّا لأمير

ص: 81

المؤمنين إلا سألت اللّه أن يسقيني دمه! فقال مروان: إنّ عند أمير المؤمنين! عفواً لهم وحلما عنهم ليس عندك‏[[184]](#footnote-184)!

وفي اليعقوبي: ثمّ أخذ الناس على أن يبايعوا على أنّهم عبيد يزيد بن معاوية، فكان الرجل من قريش يؤتى به فيقال له: بايع أنّك عبد قنّ ليزيد، فيقول: لا. فتضرب عنقه‏[[185]](#footnote-185).

وقال المسعودي: بايعَ من بقي من أهلها على أنّهم قنّ ليزيد! والقنّ: العبد الذي ملك أبواه. والذي ملك في نفسه دون أبويه فهو عبد مملكة[[186]](#footnote-186) وقال:

وبايع الناس على أنّهم عبيد ليزيد، ومن أبى ذلك أمرّ على السيف‏[[187]](#footnote-187).

ص: 82

الإمام السجّاد ومسرف بن عقبة

قال ابن قتيبة: لم يكن أحد من بني هاشم نصب للحرب، ولزموا بيوتهم فسلموا، إلا ثلاثة منهم تعرّضوا للقتال فأصيبوا.

وقبل أن يرتحل مسلم بن عقبة عن المدينة (لشهر صفر) سأل عن عليّ بن الحسين (ع) أحاضر هو؟ فقيل: نعم (فقيل لعليّ) فأتاه عليّ بن الحسين مع ابنيه (؟) فرحّب وسهّل، وقرّبهم، وقال: إنّ أمير المؤمنين! أوصاني بك.

فقال عليّ بن الحسين: وصله اللّه وأحسن جزاءه! ثمّ انصرف عنه‏[[188]](#footnote-188).

ولم يتحقق اليعقوبي في النقل فقال: أتاه عليّ بن الحسين (عليهماالسلام) فقال: علام يريد يزيد (كذا بلا لقب) أن أبايعك؟! قال: على أنّك أخ وابن عمّ! فقال:

وإن أردت أن أبايعك على أني عبد قنّ فعلت! فقال: ما أجشّمك هذا! فلمّا رأى الناس ذلك قالوا: هذا ابن رسول اللّه بايعه على ما يريد فبايعوه على ما أراد[[189]](#footnote-189)!

بينما جاء في المسعودي: كان عليّ بن الحسين السجّاد (ع) قد لاذ بالقبر (قبر رسول اللّه) وهويدعو، فأتي به إلى المسرف وهومغتاظ عليه يبرأ منه ومن آبائه! ولكنّه لمّا أشرف عليه ورآه ارتعد وقام له وأقعده إلى جانبه وقال له: سلني حوائجك، فلم يسأله في أحد ممّن قدّم إلا شفّعه فيه، ثمّ انصرف عنه!

فقيل لمسلم: رأيناك تسبّ هذا الغلام وسلفه فلمّا أتي به إليك رفعت منزلته؟!

ص: 83

فقال: ما كان ذلك لرأي منّي! لقد ملئ قلبي رعباً منه!

وقيل لعليّ (ع): رأيناك تحرّك شفتيك فما الذي قلت؟ قال: قلت: «اللهمّ ربّ السماوات السبع وما أظللن، والأرضين السبع وما أقللن، وربّ العرش العظيم، ربّ محمّد وآله الطاهرين، أعوذ بك من شرّه وأدرأ بك في نحره، وأسألك أن تؤتيني خيره وتكفيني شرّه»[[190]](#footnote-190).

هذا ما ذكره أوّلًا، ثمّ قال ثانياً: وبايع من بقي على أنّهم قنّ ليزيد ... غير عليّ بن الحسين بن عليّ (عليهم السلام) لأنّه لم يدخل فيما دخل فيه أهل المدينة. وعليّ بن عبد اللّه بن العبّاس فإنّ أخواله من كندة في جيش مسلم منعوه‏[[191]](#footnote-191). وقد مرّ عن الطبري عن الكلبي عن الأزدي عن حبيب بن كرّة الراوي الأموي: أنّ يزيد استوصى المرّي به خيراً وقال له: فإنّه لم يدخل في شي‏ء ممّا دخلوا فيه. وقد كان عليّ بن‏

الحسين لا يعلم بشي‏ء ممّا أوصى به يزيد[[192]](#footnote-192) فلا ينافي ما رواه المسعودي من دعائه وإجابته (ع).

وأفاد المفيد: أنّه (ع) بلغه توجّه مسرف بن عقبة إلى المدينة فحفظوا عنه دعاء في ذلك وذكره أكثر ممّا مرّ ثمّ قال: فقدم مسرف بن عقبة المدينة وقيل: لا يريد غير عليّ بن الحسين (ع) فسلم منه وأكرمه وحباه ووصله‏[[193]](#footnote-193).

وعبّر عن الخبر الحلبي بقوله: أنهي إليه (ع) أن مسرفاً استعمل على المدينة وأنّه يتوعّده! فجعل يكثر من الدعاء لما اتّصل به عن المسرف. ثمّ ذكر الدعاء ثمّ قال: فلمّا قدم المسرف المدينة (كذا) اعتنقه وقبّل رأسه وجعل يسأل عن حاله‏

ص: 84

وحال أهله وعن حوائجه، وأمر أن تقدّم له دابّته وعزم عليه أن يركبها فركب وانصرف إلى أهله‏[[194]](#footnote-194).

وأفاد المفيد أيضاً بأن: جاء الحديث من غير وجه: أنّ مسرف بن عقبة لمّا قدم المدينة (كذا) أرسل إلى عليّ بن الحسين عليهما السّلام فأتاه! فلمّا صار إليه قرّبه وأكرمه وقال له: وصّاني أمير المؤمنين! ببرّك وتمييزك من غيرك! فجزّاه خيرا! ثمّ قال: أسرجوا له بغلتي، وقال له: انصرف إلى أهلك فإنّي أرى أن قد أفزعناهم! وأتعبناك بمشيك إلينا، ولوكان بأيدينا ما نقوى به على صلتك بقدر حقّك لوصلناك! فقال له عليّ بن الحسين (عليهماالسلام): ما أعذرني للأمير (أي ما أقبلني لقبول عذره) ثمّ ركب.

فقال المرّي لجلسائه: هذا الخير لا شرّ فيه! مع موضعه من رسول اللّه ومكانه منه‏[[195]](#footnote-195). وروى الطبري عن الكلبي عن عوانة، قال: لما أتي بعليّ بن الحسين (ع) إلى مسلم قال: من هذا؟! قالوا: هذا عليّ بن الحسين. فقال: أهلا ومرحبا، ثمّ أجلسه على طنفسته على السرير ثمّ قال: إنّ أمير المؤمنين! أوصاني قبلا بك وهويقول لك: إنّ هؤلاء الخبثاء شغلوني عنك وعن صلتك! ثمّ قال له:

لعلّ أهلك فزعوا؟! قال: إي واللّه! فأمر بدابّته فاسرجت فردّه عليها[[196]](#footnote-196).

ولعلّه مختصر الخبر السابق فيه عن الكلبي عن أبي مخنف، وهو الوحيد المتضمّن لذكر من أتى به (ع)، وفيه: أنّ مروان ومعه ابنه عبد الملك أراد أن يشكر له (ع) إيواءه أهلهم، فجاء بعليّ بن الحسين يمشي بينه وبين ابنه عبد الملك حتّى جلسوا عنده كذلك، ثمّ دعا مروان بماء ليشربوا منه فيتحرّموا به منه فاتي به له فشرب منه يسيراً ثمّ ناوله عليّاً (ع) ولكنّه لمّا أمسك بالقدح ليشرب منه قال له مسلم: لا تشرب من شرابنا! فأمسك لا يشربه ولا يضعه، فقال له: إنّك إنّما جئت (كذا) تمشي بين هؤلاء لتأمن عندي! وواللّه لوكان هذا الأمر إليهما

ص: 85

لقتلتك! ولكنّ أمير المؤمنين أوصاني بك ... فذلك نافعك عندي! ثمّ قال له: فإن شئت فاشرب شرابك وإن شئت دعونا لك بغيره. فشربها، ثمّ قال له: إليّ هاهنا. فأجلسه معه‏[[197]](#footnote-197). وهو كما ترى أجمع الأخبار.

وهنا- قال المقرّم- يسأل عن قعود السجّاد (ع) عن المشاركة مع الثائرين الناقمين على يزيد، ويجيب عنه‏[[198]](#footnote-198)، وأكثر منه تحليلًا وتفصيلًا السيد الحسينيّ الجلالي‏[[199]](#footnote-199).

ولمّا فرغ مسلم المرّي من أمر المدينة خلّف عليها روح بن زنباغ الجذامي، ثمّ شخص بمن معه من جنده إلى مكّة[[200]](#footnote-200).

خوارج البصرة

مع تمرّد ابن الزبير بمكّة وابن الغسيل بالمدينة، تمرّد مرداس بن أديّة من البصرة فخرج على ولاية ابن زياد بها في أربعين رجلًا، فبعث إليهم ابن زياد جيشاً عليهم عبد اللّه بن حصن الثعلبي، فقتله الخوارج في أصحابه وهزموهم، فبعث إليهم جيشا آخر عليهم عبّاد بن أخضر فقاتلهم على شاطئ ميسان فقتلهم أجمعين.

فخرج بعده نافع بن الأزرق في نحو من خمسمائة سُمّوا الأزارقة، فخرج إليهم ابن عبيس في ألفين، والتقوهم في موضع يدعى دستواء، فتقاتلوا، فقتل الأميران من العسكرين وأمسوا فأمسكوا، ووصلهم من اليمامة أمداد ورأّس‏

ص: 86

الخوارج الزبير بن ماحوز، فهزموا أهل البصرة وساروا إلى المدائن، ثمّ غلبوا على الأهواز وفارس، وجبوا الأموال‏[[201]](#footnote-201).

مسير ابن النمير إلى ابن الزبير:

انتهى مسلم المرّي من أمر المدينة مع آخر ذي الحجّة من آخر السنة الثالثة والستين، إلى أواسط شهر المحرم من أوّل السنة الرابعة والستّين، ثمّ خرج منها بجنده إلى مكّة متفرّغا لأمر ابن الزبير.

قال خليفة: سار بالناس نحو مكّة، حتّى إذا خرج من الأبواء ثقل بالأوباء والأدواء، ولمّا عرف أنّ الموت نازل به دعا الحصين بن نمير الكندي السّكوني فقال له: قد دعوتك وما أدري أقدّمك فأضرب عنقك أو أستخلفك على الجيش! قال: أصلحك اللّه، سهمك فأرمِ بي حيث شئت!

قال: إنّك أعرابي جلف جاف، وإنّ هذا الحيّ من قريش لم يمكّنهم أحد من اذنيه إلا غلبوه على رأيه! فسر بهذا الجيش، فإذا لقيت القوم فإيّاك أن تمكّنهم من أذنيك، لا يكوننّ إلا الوقاف ثمّ الثقاف ثمّ الانصراف‏[[202]](#footnote-202).

وقال اليعقوبي: لمّا صار في ثنيّة المشلّل احتضر فأحضر الحصين بن نمير وقال له:

يا برذعة الحمار! لولا (وصيّة) حبيش بن دلجة القيني لما ولّيتك! فإذا قدمت مكّة فلا يكونّن عملك إلا الوقاف ثمّ الثقاف ثمّ الانصراف! ثمّ قال: اللهمّ إن عذّبتني بعد طاعتي لخليفتك يزيد بن معاوية وقتل أهل الحرّة! فإنّي إذن لشقيّ؟ ثمّ خرجت نفسه، فدفن هناك. وتقدّم الحصين بهم إلى مكّة.

ص: 87

وجاءت أمّ ولد ليزيد بن عبد اللّه بن زمعة فنبشت قبره وأخرجته وصلبته، وجاءه ناس فرجموه! وبلغ الخبر الحصين بن نمير فرجع ودفنه، ودفن معه جماعة من أهل ذلك الموضع، وقيل: لم يدع أحدا منهم‏[[203]](#footnote-203)! فأثبت جدارته! وكان ذلك في منتصف شهر محرّم لسنة (64 ه-).

حصار الحصين على مكّة

وسمع ابن الزبير بإقبال ابن نمير إليه، فأحكم مراصد مكّة وجعل عليها المقاتلين. ونزل ابن نمير على مكّة فأرسل خيلًا إلى أسفلها، ونصب عليها العرّادات والمجانيق، وفرض على أصحابه أن يرموا مكّة كلّ يوم بعشرة آلاف صخرة! وبدأ الحصار للعشرين من المحرّم، فحاصروهم بقيّة المحرّم وصفر وشهري الربيع يغدون للقتال ويروحون‏[[204]](#footnote-204).

وتغلّب الحصين على مكّة تدريجاً حتّى نصب مجانيقه على جبل قعيقعان وعلى جبل أبي قبيس، فأشكل على الطائفين، وكان طول الكعبة في السماء ثماني عشرة ذراعاً، فأسند ابن الزبير ألواحاً من الساج إلى البيت وألقى عليها فرشاً وقطائف فكانوا يطوفون تحت تلك الألواح، فكان إذا وقع عليها الحجر نبا عن البيت، وكان الطائفون إذا سمعوا صوت الحجر على الفرش والقطائف يكبّرون.

وكان ابن الزبير قد ضرب فسطاطاً في ناحية المسجد فكلّما جرح أحدهم حمل إلى ذلك الفسطاط.

ص: 88

وكان مع ابن الزبير من وجوه قريش: أخوه المنذر بن الزبير وأخوان آخران، ومصعب بن عبد الرحمان بن عوف، والمسور بن مخرمة بن نوفل، وعبد اللّه بن المطيع العدوي، والمختار بن أبي عبيد الثقفي في آخرين منهم‏[[205]](#footnote-205)، وكان ابن نمير قد غلب على مكّة إلا المسجد، وهبّت رياح، فقال المختار: واللّه إنّي لأجد النصر في هذه الريح فاحملوا عليهم، فحملوا عليهم وقتل المختار رجلًا وقتل ابن المطيع آخر حتّى أخرجوهم من مكّة.

وفي الثالث من ربيع الأوّل وقعت النيران على الكعبة فاحترقت الفرش والقطائف والخشب وأستار الكعبة وتساقطت إلى الأرض وانصدع الحجر الأسود فالتحمت الحرب مرّة ثانية عند باب بني شيبة، فقتل المنذر بن الزبير واثنان من إخوته، ومصعب بن عبد الرحمان بن عوف والمسور بن مخرمة[[206]](#footnote-206).

وفي اليعقوبي: وأراد ابن الزبير أن يغضب المسلمون للكعبة لذلك لمّا قال له أصحابه: نطفئ النار؟ منعهم! وكان ابن الزبير قد نصب عبد اللّه بن عمير الليثي للقضاء بمكّة، فكان إذا تواقف الفريقان قام على الكعبة ونادى بأعلى صوته:

يا أهل الشام! هذا حرم اللّه الذي كان مأمنا في الجاهلية يأمن فيه الطير والصيد، فاتّقوا اللّه، فيجيبه الشاميون: الطاعة الطاعة! الكرّة الكرّة! ولمّا أحرقوا الكعبة قالوا: اجتمعت الحرمة والطاعة فغلبت الطاعة الحرمة[[207]](#footnote-207)!

ص: 89

وقال المسعودي: تواردت أحجار المجانيق والعرّادات على البيت ملفوفة بخرق الكتان مغمّسة بالنفط مشعلة بالنار، فاحترقت البنية وانهدمت الكعبة وذلك يوم السبت لثلاث خلون من شهر ربيع الأوّل من السنة المذكورة، ووقعت صاعقة فأحرقت من أصحاب المجانيق أحد عشر رجلًا، وقيل أكثر من ذلك‏[[208]](#footnote-208).

وحاول الواقدي أن ينسب الحريق إلى إيقاد النار من قبل الزبيريين أنفسهم‏[[209]](#footnote-209).

هلاك يزيد وتبدّد الجنود

كان ابن الزبير قبل حريق البيت العتيق يجلس بأصحابه في فسطاطه، واحترق فسطاط بلاطه مع احتراق المطاف، فأخذوا يجلسون في ناحية حجر إسماعيل يحتمون بالبيت أو بما بقي منه، وكان الشاميّون لا يتركون أن يرموهم بالنبال، ووقعت نبلة بين يدي الزبير فأخذوها ووجدوها مكتوبة كذا: مات يزيد بن معاوية يوم الخميس لأربع عشرة ليلة خلت من ربيع الأوّل.

فلما قرأها ابن الزبير قام يناديهم: يا أهل الشام! يا مستحلّي حرم اللّه! يا محرقي بيت اللّه! علام تقاتلون وقد مات طاغيتكم يزيد بن معاوية[[210]](#footnote-210)؟!

ووافق هذا الخبر سائر الأخبار في سبق خبر موت يزيد إلى ابن الزبير دون ابن النمير بلا ذكر كيفيّة وصوله إليه، وإنّما جاء في خبر عوانة: أنّه أخذ يناديهم:

ص: 90

علام تقاتلون وقد هلك طاغيتكم؟! وهم لا يصدّقونه. وكان لابن النمير مصاهرة مع ثابت بن قيس النخعي الهمداني الكوفي، وكان يلتقي به عند معاوية، فقدم هذا من الكوفة إلى مكّة فأخبره بهلاك يزيد، فصدّقه.

ثمّ بعث ابن النمير إلى ابن الزبير قال له: موعد ما بيننا وبينك الليلة الأبطح.

فالتقيا، فقال له الحصين: إن يك هذا الرجل قد هلك فأنت أحقّ الناس بهذا الأمر! فهلمّ فلنبايعك ثمّ أخرج معي إلى الشام، فإنّ هذا الجند الذين معي هم وجوه أهل الشام وفرسانهم، فواللّه لا يختلف عليك اثنان، وتؤمن الناس، وتهدر هذه الدماء التي كانت بيننا وبينك والتي كانت بيننا وبين أهل الحرّة.

فقال ابن الزبير: أنا اهدر تلك الدماء! أما واللّه لا أرضى أن أقتل بكلّ رجل منهم عشرة! وأخذ الحصين يكلّمه سرّاً وهو يجهر جهرا: لا واللّه لا أفعل! فقال له الحصين: قبّح اللّه من يعدّك بعد هذه داهياً أوأديباً، قد كنت أظنّ أنّ لك رأياً، ألا أراني أكلّمك سرّاً وتكلّمني جهرا وأدعوك إلى الخلافة وتعدني القتل والهلكة!

ثمّ قام وانصرف إلى جمعه ... وأقبل بهم نحو المدينة وهو يقول: من أين نجد هنا علفا لدوابّنا؟! فاستقبله عليّ بن الحسين (ع) ومعه شعير وعلف رطب، فسلّم على الحصين وقال له: هذا علف عندنا فاعلف منه دابّتك! ثمّ أمر له بما كان من علف معه وعنده!

واجترأ أهل المدينة والحجاز على جند الشام وهم ذلّوا حتّى كان لا ينفرد رجل منهم إلا أخذوا بلجام دابّته ونكسوه عنها! فكانوا يجتمعون ولا يفترقون خوفا. وخاف بنو أميّة فقالوا لهم: لا تبرحوا حتّى تحملونا معكم إلى الشام، ففعلوا، ومضوا حتّى بلغوا الشام، وقد أوصى يزيد بالبيعة لابنه معاوية[[211]](#footnote-211).

ص: 91

وفي اليعقوبي: توفّي يزيد بموضع يقال له حوّارين (من بلاد حمص) وحمل إلى دمشق وصلّى عليه ابنه معاوية بن يزيد (وله عشرون سنة) وله ثلاثة إخوة: خالد وأبو سفيان وعبد اللّه. وبلغ الخبر إلى مكّة وذاع في العسكر فانكسرت شوكتهم، وأرسل الحصين بن نمير إلى ابن الزبير أن نلتقي الليلة على الأمان. فالتقيا، فقال له الحصين: إنّ يزيد قد مات وابنه صبيّ، فهل لك أن أحملك إلى الشام فليس به أحد! فأبايع لك فليس يختلف عليك اثنان؟!

فرفع ابن الزبير صوته: لا والذي لا إله إلا هو، أو نقتل بقتلى الحرّة أمثالهم من أهل الشام! فقال له الحصين: من زعم أنّك داهية فهوأحمق! أقول لك ما هو لك سرّا؛ وتقول لي ما هوعليك علانية! ثمّ انصرف‏[[212]](#footnote-212) بجنوده نحو المدينة ثمّ الشام.

موت يزيد واستخلاف معاوية وموته:

قال خليفة: في ليلة البدر من شهر ربيع الأول من سنة (64) مات يزيد بن معاوية بحوّارين من بلاد حمص، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، وصلّى عليه واستخلفه ابنه معاوية بن يزيد مريضا وهوابن عشرين سنة، إلى أربعين يوماً

ص: 92

أوشهراً ونصفاً[[213]](#footnote-213) إلى آخر شهر ربيع الآخر. وروى البلاذري: أنّه خرج يتصيّد بحوّارين وهو سكران، وحمل قرده على أتان وركب يطاردها فسقط فاندقت عنقه فمات‏[[214]](#footnote-214).

وقال المسعودي: هلك يزيد بحوارين من أرض دمشق مما يلي قارا والقطيفة في طريق حمص .. وكان أأ دم شديد الأدمة عظيم الهامة، بوجهه أثر جدريّ بيّن، يبادر بلذّته ويجاهر بمعصيته؛ ويستحسن خطأه، ويهوّن الأمور على نفسه في دينه إذا صحّت له دنياه. وكتب له كاتب أبيه سرجون بن منصور الرومي وآخرون ... وبويع لابنه معاوية بن يزيد لأربعين يوماً. وكان رجلًا ربعة نحيفاً به صفار، وكتب له كاتب أبيه سرجون الرومي‏[[215]](#footnote-215).

وكأنّ ابن زياد لم يرض بمعاوية بن يزيد فلم يَدْعُ إليه، وكان بالبصرة فخطب الناس ونعى إليهم يزيد وقال: اختاروا لأنفسكم. فبادر الأحنف بن قيس التميمي وقال له: نحن بك راضون حتّى يجتمع الناس! وشكرهم ابن زياد فقال:

أغدوعلى أعطياتكم. فوضع ديوان العطاء وأعطى‏[[216]](#footnote-216).

ثمّ أرسل رسولًا إلى الكوفة يدعوهم إلى مثل ما فعل أهل البصرة، فحصبوه وأبوا عليه، فلمّا بلغ ذلك أهل البصرة خالفوه كذلك فهاجت بها فتنة على ابن زياد[[217]](#footnote-217).

وإلى ما بعد (45) يوماً من هلاك يزيد؛ أي في آخر شهر ربيع الآخر تأخّر لحوق ابنه معاوية بأبيه.

ص: 93

قال المسعودي: ولمّا حضرته الوفاة اجتمعت إليه بنو أميّة فقالوا له: اعهد إلى من ترى من أهل بيتك! فقال: لا واللّه ما ذقت حلاوة خلافتكم فكيف أتقلّد وزرها وتتعجّلون أنتم حلاوتها وأتعجّل مرارتها؟! اللهمّ إنّي بري‏ء منها ومتخلّ عنها، اللهمّ إنّي لا أجد نفراً كأهل الشورى فأجعلها إليهم، ينصبون لها من يرونه أهلًا لها.

وكانت أمّه ابنة خال أبيه: أمّ هاشم بنت أبي هاشم بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس واقفة تسمعه فقالت له: ليت أنّي خرقة حيضة ولم أسمع منك هذا الكلام!

فقال لها: يا أمّاه! وليتني كنت خرقة حيض ولم أتقلّد هذا الأمر، أتفوز بنو أميّة بحلاوتها وأبوء أنا بوزرها ومنعها عن أهلها؟! كلّا إنّي لبري‏ء منها[[218]](#footnote-218)!

إلا أنّ ابن قتيبة قال: جمع الناس فخرج إليهم، فحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال لهم: أيّها الناس! إنّي نظرت لكم فيما صار إليّ من أمركم وتقلّدته من ولايتكم، فوجدت فيما بيني وبين ربّي أنّه لا يسعني أن أتقدّم على قوم فيهم من هو خير منّي وأحقّهم بذلك وأقوى على ما تقلّدته، فاختاروا منّي إحدى خصلتين:

إمّا أن أخرج منها واستخلف عليكم من أراه رضاً لكم ومقنعا، ولكم عليّ اللّه أن لا آلوكم نصحاً في الدين والدنيا.

وإمّا أن تختاروا لأنفسكم وتخرجوني منها.

قال: فخافت بنو أميّة أن تزول الخلافة منهم فقالوا له: ننظر في ذلك يا أمير المؤمنين ونستخير اللّه، فأمهلنا. فقال لهم: لكم ذلك وعجّلوا عليّ.

فلم يلبثوا بعدها إلا أيّاما حتّى طعن، فدخلوا عليه فقالوا: استخلف على الناس من تراه لهم رضا. فقال لهم: عند الموت تريدون ذلك؟! لا واللّه لا أتزوّدها، ما سعدت بحلاوتها فكيف أشقى بمرارتها؟! فهلك ولم يستخلف أحداً[[219]](#footnote-219).

ص: 94

هذا، وانفرد اليعقوبي بخطبة أخرى تختلف كلّ الاختلاف عمّا سلف، قال:

خطب فقال:

أمّا بعد حمد اللّه والثناء عليه، أيّها الناس! فإنّا قد بلينا بكم وبليتم بنا، فما نجهل كراهتكم لنا وطعنكم علينا! ألا وإنّ جدّي معاوية بن أبي سفيان نازع الأمر من كان أولى به منه في القرابة برسول اللّه وأحقّ في الإسلام، سابق المسلمين وأوّل المؤمنين وابن عمّ رسول ربّ العالمين وأبا بقيّة خاتم المرسلين! ركب منكم ما تعلمون وركبتم ما لا تنكرون، حتّى أتته منيّته وصار رهناً بعمله.

ثمّ قلّد أبي، وكان غير خليق للخير! فركب هواه! واستحسن خطاه، وعظم رجاؤه، فأخلفه الأمل وقصر عنه الأجل، فقلّت منعته وانقطعت مدّته، وصار في حفرته رهناً بذنبه وأسيراً بجرمه! وإن أعظم الأمور علينا علمنا بسوء مصرعه وقبح منقلبه، وقد قتل عترة الرسول، وأباح الحرمة، وحرّق الكعبة!

فما أنا المتقلّد أموركم ولا المتحمّل تبعاتكم! فشأنكم أمركم! فواللّه لئن كانت الدنيا مَغْنماً لقد نلنا منها حظّاً، وإن تكن شرّا فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها! وكان مروان حاضراً فناداه: سُنّها فينا عمريّة!

فقال: ما كنت أتقلّدكم حيّاً وميّتاً، ومتى صار يزيد بن معاوية مثل عمر؟! ومن لي برجال مثل رجال عمر[[220]](#footnote-220)؟!

أجل، هذا ما قاله اليعقوبي.

وقريب منه بل أقرب إلى التصديق ما رواه الورّام بن أبي فرّاس المالكي الحلّي (605 ه-) في مجموعته: أنّه لمّا نزع معاوية بن يزيد نفسه من الخلافة قام خطيباً فقال:

ص: 95

أيّها الناس! ما أنا الراغب في التأمّر عليكم، ولا بالآمن مِن كرهتكم، بل بلينا بكم وبليتم بنا، ألا إنّ جدّي معاوية نازع الأمر من كان أولى بالأمر منه في قدمه وسابقته: عليّ بن أبي طالب، فركب جدّي منه ما تعلمون، وركبتم معه ما لا تجهلون، حتّى صار رهين عمله وضجيع حفرته (تجاوز اللّه عنه).

ثمّ صار الأمر إلى أبي، ولقد كان خليقاً ألا يركب سننه، إذ كان غير خليق بالخلافة، فركب ردعه واستحسن خطأه، فقلّت مدّته وانقطعت آثاره وخمدت ناره! ولقد أنسانا الحزن به الحزن عليه! فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون! ثمّ أخفت يترحّم على أبيه! ثمّ قال:

وصرت أنا الثالث من القوم، الزاهد في ما لديّ أكثر من الراغب، وما كنت لأتحمّل آثامكم، شأنكم وأمركم فخذوه، ومن شئتم ولايته فولّوه!

فقام إليه مروان بن الحكم وقال له: يا أبا ليلى! أفسنّة عمر سيّئة؟!

فقال له: يا مروان! أتخدعني عن ديني! ائتني برجال كرجال عمر أجعلها شورى.

ثمّ قال: واللّه إن كانت الخلافة مغنماً لقد أصبنا منها حظّاً، ولئن كانت شرّاً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها. ثمّ نزل، فلمّا دخل ...

قالت له أمّه: ليتك كنت حيضة! فقال: وأنا وددت ذلك ولم أعلم أن للّه نارا يعذّب بها من عصاه وأخذ غير حقّه‏[[221]](#footnote-221)!

وهذا كما ترى أنسب به وأقرب إلى تصديق صدوره من مثله في تلك البيئة والجوّ والمحيط.

قال المسعودي: ثمّ قبض وهو ابن اثنتين وعشرين سنة، وتقدّم للصلاة عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان على أمل أن يكون له الأمر بعده، ولكنّه لمّا كبّر الثانية طعن أيضاً فسقط قتيلًا!

ص: 96

وتقدّم أخوه عثمان بن عتبة بن أبي سفيان فصلّى عليه فقالوا له: نبايعك؟! قال: على ألا اباشر قتالًا ولا احارب! فأبوا عليه، فلحق بابن الزبير[[222]](#footnote-222).

وقال ابن قتيبة: فلمّا دفن معاوية بن يزيد وسوّي عليه التراب، وبنو أميّة حول قبره، قال مروان: أما واللّه يا بني أميّة إنّه لأبو ليلى، والملك بعد أبي ليلى لمن غَلبا[[223]](#footnote-223) وإنّما كنّاه بأبي ليلى؛ لأنّ العرب كانت تكنّي به المستضعف، قال الشاعر:

إنّي أرى فتنة هاجت مرَاجلها

والمُلك بعد أبي ليلى لمن غَلبا[[224]](#footnote-224) وكان مؤدّبه عمر بن نُعيم العنسي المقصوص، فأخذه المروانيون وقالوا له: أنت علّمت معاوية الصغير ذلك! ولقّنته إيّاه وصددته عن الخلافة، وزيّنت له حبّ عليّ بن أبي طالب وأولاده، وحملته على ما وسمتنا به من الظلم، وحَسنت له البدع حتى نطق بما نطق وقال ما قال!. فقال المقصوص: والله ما فعلت؛ ولكنّه كان مطبوعاً مجبولًا على حبّ عليّ. فدفنوه حيّاً![[225]](#footnote-225).

ص: 97

أحوال البلاد بعد يزيد

وما دعا إليه مروان من الشورى هو ما كان يدعو إليه ابن الزبير حتّى بعد موت يزيد إلى ثلاثة أشهر[[226]](#footnote-226) ومال إليه من دمشق الضحّاك بن قيس الفهري ومعه القيسيّون، فاستخلفه ابن الزبير على الشام‏[[227]](#footnote-227) وكان النعمان بن بشير الأنصاري في حمص ومال إليه، وبقنّسرين والعواصم زفر بن الحارث الكلابي، وبفلسطين ناتل بن قيس الجذامي، وبمصر عبد الرحمان بن جحدم الفهري. وبقي بالأردن حسّان بن بجدل الكلبي‏[[228]](#footnote-228) وفيّا لمصاهرته لمعاوية والأمويين.

وفي البصرة وإن كان الأحنف التميمي تمّ على الرضا بابن زياد حتّى يروا اجتماع الناس، لكنّ بني الرياح بناحية المربد من بني تميم البصرة وعليهم سلمة بن ذؤيب الرياحي ارتاح للدعوة إلى ابن الزبير في شهر جمادى الآخرة، فتنحّى ابن زياد من دار الإمارة إلى دار مسعود بن عمرو الأزدي وأقام عنده أربعين يوماً أو شهرين أو ثلاثة أشهر، وقام الأحنف التميمي ببني تميم فحمى دار ابن زياد، وبعث إلى بيت المال والديوان والسجن فحصّنها، واجتمع أهل البصرة ليؤمّروا عليهم أميرا، فاجتمعوا على عبد اللّه بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب، وامّه بنت أبي سفيان بن حرب ... فأقرّه ابن الزبير أربعين يوماً، ثمّ كتب إلى أنس بن مالك الأنصاري أن يكون لهم إمام الصلاة، لشهر رمضان سنة (64 ه-) ولحق ابن زياد بالشام‏[[229]](#footnote-229).

ص: 98

إعلان البيعة لابن الزبير، ولمروان:

مرّ الخبر أنّ ابن الزبير كان يدعو إلى أن يعود الأمر شورى بين الأمّة، حتّى بعد موت يزيد إلى أكثر من ثلاثة أشهر، بل إلى سبع أو تسع خلون من رجب حيث بويع له بالخلافة[[230]](#footnote-230)، وكان واليه على الشام بدمشق الضحّاك بن قيس في ستّين ألفاً[[231]](#footnote-231) من القيسيّة.

وقام روح بن زنباغ الجذامي في رؤوس قريش وأميّة وأشرافهم يقول لهم:

كان الملك فينا أهل الشام، أفينتقل ذلك إلى الحجاز؟ لا نرضى بذلك! فتوافقوا على ثاني أبناء يزيد وهو خالد وهو حدث السنّ، فجاءوا إليه وقالوا له أن ينتصب للأمر، فتردّد وقال: سأنظر في ذلك!

فتوافقوا ثانية على عمرو بن سعيد الأشدق وجاءوا إليه وقالوا له: يا أبا أميّة! انتصب للأمر! فوعدهم القبول، ولكنّهم انصرفوا فأعرضوا عنه!

فلمّا أصبح واجتمع الناس خرج إليهم عبد العزيز بن مروان وقام فحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال: ما أحد أولى بهذا الأمر من مروان بن الحكم؛ إنّه لكبير قريش وشيخها! وأفرطها عقلًا وكمالًا! وديناً وفضلًا! والذي نفسي بيده لقد شاب شعر ذراعيه من الكبر! فصدّقه الجذاميّون، وكان خالد بن يزيد حاضراً فقال: أمر قضي بليل‏[[232]](#footnote-232)!

وعقّب اليعقوبي عقوبة ابن الزبير لمروان وبني أميّة بإخراجهم ثانية من المدينة إلى ما بعد عودة جنود ابن نمير، قال: إنّ ابن الزبير أخذ مروان بالخروج من المدينة، وكان ابنه عبد الملك مصاباً بالجدري، فقال له مروان: كيف‏

ص: 99

اخرجك وأنت على هذا الحال؟ فقال له: لفّني في القطن! فخرجوا، ثمّ علم ابن الزبير بالخطأ فوجّه يردّهم ففاتوه إلى دمشق وقد مات معاوية.

واجتمع الناس بالجابية بجانب دمشق يتناظرون في الأمر ... وكان روح بن زنباغ الجذامي يميل إلى مروان، فقام خطيباً فقال: يا أهل الشام! هذا مروان بن الحكم شيخ قريش والطالب بدم عثمان! والمقاتل لعليّ بن أبي طالب يوم الجمل ويوم صفّين! فبايعوا الكبير واستنيبوا للصغير، ثمّ لعمرو بن سعيد! فتبايعوا كذلك.

وإنّما اجتمعوا في الجابية (بين دمشق وطبريّة) لأن الضحّاك بن قيس كان قد تغلّب على دمشق ومعه أهلها وجماعتهم‏[[233]](#footnote-233).

وقال خليفة: كان أهل الشام قد بايعوا ابن الزبير ما خلا أهل الجابية ومن كان من بني أميّة ومواليهم ومنهم ابن زياد، فهؤلاء بايعوا بالجابية مروان ابن الحكم ومن بعده لخالد بن يزيد، وذلك للنصف من ذي القعدة[[234]](#footnote-234).

وقال اليعقوبي: فلمّا عقدوا البيعة جمعوا من كان في ناحيتهم وتناظروا أيّ بلد يقصدون، واتّفقوا أن يقصدوا دمشق. واستمدّ الضحّاك الفهري بدمشق فأمدّه النعمان ابن بشير الأنصاري من حمص بشرحبيل بن ذي الكلاع في جند حمص، وأمدّه زفر ابن الحارث الكلابي من قنّسرين والعواصم بقيس بن طريف الهلالي في جند العواصم، وتلاقوا في مرج راهط[[235]](#footnote-235).

ثمّ أتوا إلى مروان بن الحكم فأستأذنوا عليه ودخلوا إليه وقالوا له: يا أبا عبد المَلك! انتصب للمُلك! فأبدى القبول، فقال له روح بن زنباغ: إنّ معي أربعمائة رجل من جذام، وسآمرهم أن يبادروا غدا إلى المسجد، فيقوم ابنك عبد العزيز فيخطبهم ويدعوهم إليك، فيصدّقه الجذاميّون، فيظنّ الناس أن أمرهم واحد.

ص: 100

[[236]](#footnote-236)

فتوافقوا على ذلك.

قال خليفة: وكان مع مروان ثلاثة عشر ألفاً، والضحّاك في ستّين ألفا، فأقاموا يقتتلون كلّ يوم حتّى عشرين يوماً. وكان ابن زياد مع مروان فقال له: إنّ الضحّاك في فرسان قيس، ولن ننال منهم ما نريد إلا بمكيدة! فاسألهم الموادعة واكفف عن القتال وأعدّ الخيل، فإذا كفّوا فارمهم بها. فمشى السفراء بينهم حتّى كفّ الضحّاك عن القتال، ثمّ شدّ عليهم مروان بخيله، ففزعوا إلى راياتهم في غير تعبئة، فقتل جماعة من فرسان قيس والضحّاك بن قيس، وفيهم ثلاثة من أبناء زفر بن الحارث الكلابي‏[[237]](#footnote-237) وقتل خلق من أصحابهم وهرب من بقي منهم.

وبلغ الخبر النعمان بن بشير في حمص فخرج هارباً بأهله وولده وثقله، فتبعه قوم من باهلة وحمير إلى البريّة فقتلوه بها واحتزّوا رأسه ووجّهوا به إلى مروان بن الحكم (قتله خالد بن خلي الكلاعي).

وهرب زفر بن الحارث الكلابي وتبعه خيل، حتّى لجأ إلى حصن قرقيسا[[238]](#footnote-238).

ودخل مروان دمشق فاتحاً، وأشار عليه أصحابه أن يتزوّج امرأة يزيد أمّ خالد ليكسره، فخطبها وتزوّجها[[239]](#footnote-239) ودخل دار معاوية بن أبي سفيان‏[[240]](#footnote-240).

وبعد عودة جنود ابن النمير عن مكّة وقد هدموا أطراف الكعبة، بعدهم بشهرين في شهر جمادى الآخرة سنة (64 ه-) هدم ابن الزبير الكعبة حتّى ألصقها

ص: 101

بالأرض. وكان الحجر الأسود لمّا أصابه الحريق تصدّع بثلاث قطع، فشدّه ابن الزبير بالفضّة وجعله في داره.

فقال له ابن عبّاس: اضرب حوالي الكعبة الخشب لا يبقى الناس بغير قبلة! ثمّ خرج هو من مكّة إعظاماً للمقام بها! وفعل ابن الزبير ما قال له.

فلمّا بلغ ابن الزبير بالهدم إلى قواعد إبراهيم أدخل الحجر في البناء ورفعه.

وروى عن خالته عائشة زوج النبيّ أنّها قالت: قال لي رسول اللّه: يا عائشة إنْ بدأ لقومك أن يهدموا الكعبة ثمّ يبنوها فليصيّروا لها بابين ولا يرفعوها عن الأرض. وكان لباب الكعبة الأوّل مصراع واحد، فجعل ابن الزبير لها بابين من الأرض شرقيّاً وغربيّاً بمصراعين بطول إحدى عشرة ذراعاً، وكان ارتفاع الكعبة ثماني عشرة ذراعاً فجعلها تسعاً وعشرين ذراعاً! وكساها كسوة قباطية (مصرية سوداء) ودهّن داخلها بالخلوق والطيب، وأمر أن يحفر في الأحجار موضع الحجر الأسود، وأراد قطع النزاع فأمر ابنه عبّاداً أن يأتي بالحجر ظُهراً إذا صلّى بالناس فيضعه في موضعه، ثمّ صلّى بالناس وكان يوماً شديد الحرّ، فجاء عبّاد بالحجر وشقّ الصفوف حتّى صار إلى موضع الحجر، وطوّل ابن الزبير صلاته حتّى وضعه ثمّ وقف على رأس أبيه وكبّر، فسلّم ابن الزبير! فلمّا رأت قريش ذلك غضبت وقالت: واللّه أهكذا فعل رسول اللّه! ولقد حكّمَتْه قريش فجعل لكلّ القبائل نصيباً[[241]](#footnote-241).[[242]](#footnote-242)

ص: 103

حوادث السنة الخامسة والستّين وثورة التوّابين‏

استخلاف مروان لعبد الملك‏

ما أن استقر الأمر لمروان- من دون العراقين ومصر والحجاز- وخرج من السنة (64 ه-) ودخل في سنة (65 ه-) وقد كسر رقيبه خالد بن يزيد بزواجه بأمّ خالد، لم يعبأ به حتّى جدّد البيعة لنفسه ولابنه بعده عبد الملك ثمّ ابنه الآخر عبد العزيز[[243]](#footnote-243) غير آبه بعمرو بن سعيد الأشدق. ثمّ وجّه ابن زياد إلى العراق في ستّين ألفا في شهر ربيع الأوّل‏[[244]](#footnote-244).

استيلاؤه على فلسطين ومصر

ثمّ أراد استرداد مصر إلى طاعة المروانية من أميّة، وكان لدى خالد بن يزيد سلاح لأبيه يزيد فقال له مروان: أعرني سلاحاً كان عندك، فأعاره إيّاه، فخرج إلى مصر[[245]](#footnote-245) من فلسطين، وكان مروان أرسل عليها روح بن زنباغ الجذامي فوجد ناتل بن قيس الجذامي قد تغلّب عليه وأخرجه، فحاربه مروان فهرب إلى ابن الزبير[[246]](#footnote-246).

ص: 104

وخرج إلى مصر فقاتلهم وأسر منهم ناساً كثيراً فافتدوا أنفسهم منه بأموال استعان بها[[247]](#footnote-247). وكانت مصر قد دانت لابن الزبير، فكانت لمروان معهم حروب عظيمة قُتل فيها خلق كثير من الفريقين، إلى أن أخرجوا عامل ابن الزبير عبد الرحمان بن جحدم الفهري عنهم‏[[248]](#footnote-248)، ودخلها فصالحه أهلها وأطاعوه. واغتال الفهريّ عامل ابن الزبير، وقتل أكيدر بن حمام اللخمي، ثمّ استعمل عليها ابنه عبد العزيز وانصرف‏[[249]](#footnote-249).

دخلها في أوّل شهر ربيع الثاني، فمكث بها أكثر من شهرين، وخرج في جمادى الثانية (65 ه-)[[250]](#footnote-250).

ووجّه مروان حبيش بن دلجة القيني إلى الحجاز لمحاربة ابن الزبير بدءاً بالمدينة، وكان عليها لابن الزبير جابر بن الأسود بن عوف الزهري، وعلى البصرة لابن الزبير الحارث بن عبد اللّه المخزومي، فلمّا توجّه القينيّ إلى المدينة كتب ابن الزبير إلى الحارث بالبصرة أن يوجّه بجيش إلى جيش الشام مع القينيّ، فلقي أهل البصرة حبيشاً وجيشه فقاتلوهم فقتلوهم، وكان فيهم الحجّاج بن يوسف الثقفي مع أبيه يوسف بن الحكم فأفلتا مع من شرد منهم‏[[251]](#footnote-251).

ص: 105

بداية وثبة التوّابين عن تقصيرهم في شأن الحسين (ع)

الكوفة بعد موت يزيد

كان يزيد قد جمع لابن زياد العراقين؛ الكوفة والبصرة، فكان يتردّد بينهما كلّ ستة أشهر ويستنيب في الأخرى، وفي أوائل سنة (64 ه-) في منتصف شهر ربيع الأوّل حين هلاك يزيد كان ابن زياد بالبصرة وخليفته على الكوفة عمرو بن حريث المخزومي، فلمّا رضي البصريون بإمارته حتّى يجتمع أمر الناس، أرسل وافدين من قبله إلى الكوفة: عمرو بن مسمع وسعيد بن القرحا المازني التميمي، ليعلما أهل الكوفة بما صنع أهل البصرة ويسألانهم له مثلها حتّى يصطلح الناس على أحد.

فجمع عمرو بن حريث الناس ثمّ حمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال لهم: إنّ هذين الرجلين قد أتياكم من قبل أميركم يدعوانكم إلى أمر يجمع اللّه به كلمتكم ويصلح به ذات بينكم، فاسمعوا منهما واقبلوا عنهما.

فقام عمرو بن مسمع فحمد اللّه وأثنى عليه (ونعى إليهم يزيد) وذكر اجتماع رأي أهل البصرة على تأمير عبيد اللّه بن زياد حتّى يرى الناس رأيهم فيمن يولّون عليهم وقال: وقد جئناكم لنجمع أمرنا وأمركم فيكون أميرنا وأميركم واحدا، فإنّما الكوفة من البصرة والبصرة من الكوفة! وقام ابن القرحا فقال مثل صاحبه. فقام يزيد بن الحارث بن رويم الشيباني- من قوّاد ابن زياد في قتل الحسين (ع)- فقال: الحمد اللّه الذي أراحنا من ابن سميّة، لا ولا كرامة! أو: حصبهما وقال لهما: أنحن نبايع لابن مرجانة! لا ولا كرامة! ثمّ حصبهما الناس بعده، فأمر عمرو الشرطة أن يذهبوا به إلى السجن، فقام بنو بكر بن وائل وعاقوهم عنه وانطلقوا به إلى أهله. وصعد عمرو المنبر فحصبوه، فدخل داره.

واجتمع ناس في المسجد، قالوا: نؤمّر رجلًا إلى أن يجتمع الناس على خليفة، ثمّ توافقوا على عُمر بن سعد! فمضى محمّد بن الأشعث الكندي إلى ابن‏

ص: 106

سعد فجاء به حتّى أصعده المنبر! وجاء الخبر إلى همدان فاجتمع نساؤهم وخرجن مع رجال منهم متقلّدين سيوفهم، وهنّ يندبن ويبكين حسيناً (ع) حتّى دخلوا المسجد وأطافوا بابن سعد وابن الأشعث فأخذ يقول: جاء غير ما كنّا عليه! وانصرفوا. وإنّما كان ابن الأشعث وكندة تقوم بأمر ابن سعد؛ لأن أمّه منهم فهم أخواله.

ثمّ اجتمع جمع من أهل الكوفة على عامر بن مسعود الجمحي، وكتبوا بذلك إلى ابن الزبير فأقرّه.

وعاد الوافدان إلى البصرة فأعلموا الناس الخبر، فقال رجال منهم فيما بينهم: أهل الكوفة يخلعونه وأنتم تولّونه وتبايعونه؟! فوثب الناس على ابن زياد فخافهم وخرج من قصره مستجيراً بدار مسعود بن عمرو شيخ الأزد بالبصرة، فأجاره ومنع الناس عنه ثلاثة أشهر، ثمّ استخلف مسعود بن عمرو على البصرة وشايعه رجال منهم إلى الشام‏[[252]](#footnote-252).

فصلّى بالكوفة عامر الجمحي إلى ثلاثة أشهر، ثمّ قدم عليهم للصلاة والحرب عبد اللّه بن يزيد الأنصاري، وعلى الخراج: إبراهيم بن محمّد بن طلحة التيمي‏[[253]](#footnote-253) بعد أن بويع ابن الزبير بالخلافة لسبع أوتسع خلون من شهر رجب‏[[254]](#footnote-254).

وفي أيّام عامر بن مسعود الجمحي جمح أهل الريّ برئاسة البرجان، والريّ من ثغور الكوفة، فوجّه عامر الجمحي- باسم ابن الزبير- جيشاً بإمرة محمّد بن عمير بن عطارد فهزمه البرجان، فوجّه بعده آخر بإمرة عتّاب بن ورقاء التميمي الرياحي فهزموا المتمرّدين وقتلوا البرجان‏[[255]](#footnote-255).

ص: 107

أوائل أقاويل الشيعة بالكوفة

كانت لسليمان بن صرد الخزاعي صحبة معروفة مع النبي (ص)، ثمّ كان هو والمسيّب بن نجبة الفزاري، وعبد اللّه بن سعد بن نفيل الأزدي، وعبد اللّه بن وال التّيمي، ورفاعة بن شدّاد البجلي، من خيار أصحاب عليّ (ع) ومعهم اناس من وجوه «الشيعة» وخيارهم. وقد عرفنا اجتماعهم في دار سليمان الخزاعي بعد موت معاوية ونزوح الحسين (ع) إلى مكّة، وتداعيهم إلى أن يكتبوا إليه باقتدائهم به في إباء بيعة يزيد ودعوته إليهم ليبايعوه ويتابعوه.

وعليه فمن الطبيعي ما رواه أبو مخنف الأزدي عن عبد اللّه بن عوف الأزدي: أنّ أولئك «الشيعة» بعد قتل الحسين (ع) إلى جانبهم ولم ينصروه، تلاقوا فيما بينهم بالندم والتلاوم! وأنّهم أخطؤوا خطأ كبيراً بدعوتهم إيّاه لنصرته ثمّ تركهم إجابته لذلك! وأنّ عليهم في ذلك الإثم والعار! وأنّ ذلك لا يغسل عنهم إلا بقتال قاتليه أو يُقتلوا في سبيل ذلك. وكان من الطبيعي أن يعودوا للاجتماع في دار سليمان الخزاعي، فاجتمعوا إليه‏[[256]](#footnote-256).

وإنّ منهم من كان تائباً ليس من خذلانه وترك نصرته للحسين (ع)، بل من نصرته عليه كحميد بن مسلم الأزدي، حيث يروي عنه أبو مخنف الأزدي قال: واللّه لقد كنت شاهداً معهم ذلك اليوم وإنّا يومئذ لأكثر من مائة رجل من وجوه «الشيعة» وفرسانهم في دار سليمان الخزاعي‏[[257]](#footnote-257) سنة قتل الحسين (ع) سنة إحدى وستّين‏[[258]](#footnote-258) وجلّهم في نحو الستّين من أعمارهم، كما يأتي آنفاً، وكان يوم جمعة[[259]](#footnote-259).

ص: 108

مؤتمر امراء التوّابين الخمسة

فلمّا اجتمعوا بدأ الكلام المسيّب بن نجبة: فحمد اللّه وأثنى عليه، وصلّى على نبيّه (وآله) ثمّ قال:

«أمّا بعد، فإنّا قد ابتلينا بطول العمر والتعرّض لأنواع الفتن، فنرغب إلى ربّنا ألا يجعلنا ممّن يقول لهم غدا: أَ وَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ[[260]](#footnote-260) وقد قال أمير المؤمنين (علي (ع)): «العمر الذي أعذر اللّه فيه إلى ابن آدم (أي قطع به عذره): ستّون سنة» وليس فينا رجل إلا وقد بلغه.

وقد كنّا مغرمين بتزكية أنفسنا وتقريظ «شيعتنا» حتّى بلا اللّه أخبارنا فوجدنا كاذبين في مَوطنَين من مواطن ابنَي ابنة نبيّنا صلّى اللّه عليه (وآله) وسلّم‏[[261]](#footnote-261).

وقد بلغتنا قبل ذلك كتبه وقدمت علينا رسله، وأعذر إلينا (قطع عذرنا) يسألنا نصره، عوداً وبدءاً وعلانية وسرّاً! فبخلنا عنه بأنفسنا حتّى قتل إلى جانبنا، لا نحن نصرناه بأيدينا ولا جادلنا عنه بألسنتنا، ولا قوّيناه بأموالنا ولا طلبنا له النصرة من عشائرنا! فما عذرنا إلى ربّنا وعند لقاء نبيّنا (ص) وقد قتل فينا ولده وحبيبه وذريّته‏

ونسله! لا واللّه لا عذر! دون أن تقتلوا قاتله والمؤلّبين عليه أو تُقتلوا في طلب ذلك، فعسى ربّنا أن يرضى عنّا عند ذلك، وما أنا بعد لقائه بآمن من عقوبته!

أيّها القوم! ولُّوا عليكم رجلًا منكم فإنّه لا بدّ لكم من أمير تفزعون إليه وراية تحفّون بها. أقول قولي هذا وأستغفر اللّه لي ولكم». ومن دون اقتراح لأمير خاصّ.

ثمّ بادر رفاعة بن شدّاد البجلي فحمد اللّه وأثنى عليه وصلّى على النبيّ (ص) ثمّ قال:

أمّا بعد، فإنّ اللّه قد هداك لأصوب القول، ودعوت إلى أرشد الأمور:

ص: 109

دعوت إلى التوبة من الذنب العظيم وإلى جهاد الفاسقين، فمسموع منك مستجاب لك مقبول قولك.

وقلت: «ولّوا عليكم رجلًا منكم تفزعون إليه وتحفّون برايته» وذلك رأي رأيناه مثل الذي رأيت، فإن تكن أنت ذلك الرجل تكن عندنا مرضيّاً وفينا متنصّحاً وفي جماعتنا محبوباً. وإن رأى أصحابنا ولّينا هذا الأمر «شيخ الشيعة» صاحب رسول اللّه، وذا السابقة والقِدَم سليمان بن صرد، المحمود في بأسه ودينه والموثوق بحزمه، أقول قولي هذا واستغفر اللّه لي ولكم.

ثمّ تكلّم عبد اللّه بن وال التيمي فذكر المسيّب بن نجبة بفضله ثمّ سليمان بن صرد بسابقته، والرضا بتوليته. ثمّ تكلّم عبد اللّه بن سعد بنحوه.

فقال المسيّب بن نجبة: أصبتم ووفّقتم، وأنا أرى مثل الذي رأيتم فولّوا أمركم سليمان بن صرد[[262]](#footnote-262).

ص: 110

بيان سليمان الخزاعي‏

فلمّا ولّوا عليهم سليمان بن صرد تكلّم فقال: «أثني على اللّه خيراً وأحمد آلاءه وبلاءه، وأشهد أن لا إله إلا اللّه وأن محمّداً رسوله. أمّا بعد، فإنّي واللّه لخائف ألا يكون آخرنا (آخر أمرنا) في هذا العصر- الذي نكدت فيه المعيشة، وعظمت فيه الرزية، وشمل فيه الجور أولي الفضل من هذه الشيعة- إلى ما هوخير! فإنّا كنّا نمدّ أعناقنا إلى قدوم «آل نبيّنا» ونمنّيهم النصر، ونحثّهم على القدوم، فلمّا قدموا ونينا وعجزنا! وادّهنّا وتربّصنا وانتظرنا ما يكون! حتّى قتل فينا ولد نبيّنا وسلالته وعصارته! وبضعة من لحمه ودمه! إذ جعل يَستصرخ فلا يُصْرَخ وَيسأل النصف فلا يُعطاه! اتّخذه الفاسقون غرضاً للنّبل، ودريئة للرماح حتّى أقصدوه، وعدوا عليه فسلبوه‏[[263]](#footnote-263).

ألا فانهضوا! فقد سخط ربّكم! ولا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتّى يرضى اللّه! وما أظنه راضياً دون أن تناجزوا مَن قتَلَه أوتَبيدوا! ألا لا تهابوا الموت! فواللّه ما هابه امرؤٌ قط إلا ذلّ! كونوا كالأُولىَ من بني إسرائيل إذ قال لهم نبيّهم: إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلى‏ بارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بارِئِكُمْ‏[[264]](#footnote-264) فما فعل القوم؟ جَثوا على الركب ومدّوا الأعناق، ورضوا بالقضاء حين علموا أنّه لا ينجيهم من عظيم الذنب إلا الصبر على القتل! فكيف بكم لوقد دُعيتم إلى مثل ما دعوا إليه؟! اشحذوا السيوف وركّبوا الأسنة وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ‏[[265]](#footnote-265) حتّى تدعوا حين تدعون وتستنفرون».

فقام خالد بن سعد بن نفيل أخو عبد اللّه وقال: أمّا أنا فواللّه لو أعلم أنّ قتلي‏

ص: 111

نفسي يخرجني من «ذنبي» ويرضي ربّي لقتلتها! ولكن هذا أمر به قوم كانوا قبلنا ونُهينا عنه، فاشهد اللّه ومن حضر من المسلمين أنّ كلّ ما أصبحت أملكه- سوى سلاحي الذي أقاتل به عدوّي- صدقة على المسلمين! أقوّيهم به على قتال القاسطين!

فلمّا تصدّق خالد بن سعيد الأزدي بما له على المسلمين قال له سليمان:

أبشر بجزيل ثواب اللّه للذين لأنفسهم يمهّدون. فقام حنش بن ربيعة الكناني وقال: وأنا أشهدكم على مثل ذلك.

فقال سليمان: من أراد شيئاً من مثل هذا فليأت بماله إلى عبد اللّه بن وال من تيم بكر وائل، فإذا اجتمع عنده كلّ ما أردتم إخراجه من أموالكم جهّزنا به ذوي الخلّة والمسكنة من أشياعكم‏[[266]](#footnote-266).

فلم يزل القوم في جمع آلة الحرب والاستعداد للقتال ودعاء الناس من «الشيعة» وغيرهم في السرّ إلى الطلب بدم الحسين (ع)، فكان يجيبهم النفر بعد النفر والقوم بعد القوم‏[[267]](#footnote-267).

خطبة عبيد اللّه المزني‏

وكان من أبلغ دعاتهم في منطقه ووعظه: عبيد اللّه بن عبد اللّه المزني، وكان إذا اجتمع إليه جمع من الناس يبدأ بحمد اللّه والثناء عليه والصلاة على رسول اللّه (ص) ثمّ يقول:

«أمّا بعد، فإنّ اللّه اصطفى محمّداً بنبوّته على خلقه، وخصّه بالفضل كلّه، وأعزّكم باتّباعه وأكرمكم بالإيمان به، فحقن به دماءكم المسفوكة، وأمّن به‏

ص: 112

سبلكم المخوفة: وَ كُنْتُمْ عَلى‏ شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْها كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آياتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ‏[[268]](#footnote-268).

فهل خلَقَ ربّكم في الأولّين والآخرين أعظم حقّاً على هذه الأمّة من نبيّها؟! وهل «ذريّة» أحد من النبيّين والمرسلين أو غيرهم أعظم حقّاً على هذه الأمّة من «ذريّة» رسولها؟! لا واللّه ما كان ولا يكون!

للّه أنتم، ألم تروا ويبلغكم ما اجترم إلى ابن بنت نبيّكم! أما رأيتم انتهاك القوم حرمته؟ واستضعافهم وحدته! وترميلهم إيّاه بالدم وجرّهم إيّاه على الأرض! لم يرقبوا فيه ربّهم ولا قرابته من الرسول، اتّخذوه للنبل غرضاً، وغادروه للضباع جزراً (ذبيحاً) فللّه عينا من رأى مثله! وللّه حسين بن عليّ ماذا غادروا به ذا صدق وصبر، وذا أمانة ونجدة وحزم! ابن «أوّل المسلمين» إسلاماً وابن بنت رسول ربِّ العالمين، قلّت حماته وكثرت حوله عداته، فقتله عدوّه و «خذله وليّه» فويل للقاتل وملامة للخاذل.

إنّ اللّه لم يجعل لقاتله حجّة «ولا لخاذله معذرة» إلا أن يناصِح للّه في «التوبة» فيجاهد القاتلين وينابذ القاسطين، فعسى اللّه عند ذلك أن يقبل «التوبة» ويقيل العثرة.

إنّا ندعوكم إلى كتاب اللّه وسنّة نبيّه، و «الطلب بدماًء أهل بيته» وإلى جهاد المحلّين والمارقين، فإن قتلنا فما عند اللّه خير للأبرار، وإن ظفرنا «رددنا هذا الأمر إلى أهل بيت نبيّنا»[[269]](#footnote-269).

ص: 113

فلمّا مات يزيد بن معاوية

لم يزل هؤلاء على هذا حتّى مات يزيد لأربع عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل سنة أربع وستّين.

فجاء جماعة من «الشيعة» إلى سليمان الخزاعي وقالوا له: قد مات هذا الطاغية، والأمر الآن ضعيف، فإن شئت وثبنا على عمرو بن حريث فأخرجناه من القصر- وكان خليفة ابن زياد بالكوفة- ثمّ أظهرنا الطلب بدم الحسين (ع) وتتبّعنا قتلته «ودعونا الناس إلى أهل هذا البيت» المستأثَر عليهم و «المدفوعين عن حقّهم» فأكثَروا من هذا القول ومثله.

فقال لهم سليمان الخزاعي: إنّي قد نظرت فيما تذكرون فرأيت أنّ قَتَلة الحسين هم أشراف أهل الكوفة، وفرسان العرب هم المطالَبون بدمه، ومتى علموا ما تريدون وأنّهم هم المطلوبون كانوا هم أشدّ عليكم. ونظرت في من تبعني منكم فعلمت أنّهم لو خرجوا لم يدركوا «ثأرهم» ولم يشفوا أنفسهم ولم ينكوا في عدوّهم وكانوا لهم جزرا (ذبائح)، ولكن بثّوا دعاتكم في المصر فادعوا إلى أمركم هذا «شيعتكم» وغيرهم، فإنّي أرجو أن يكون الناس اليوم حيث هلك هذا الطاغية أسرع إلى أمركم استجابة منهم قبل هلاكه.

فخرجت طائفة منهم دعاة يدعون الناس، فاستجاب لهم ناس كثير بعد هلاك يزيد بن معاوية، أضعاف من كان استجاب لهم قبل ذلك‏[[270]](#footnote-270)، ولم يزل أصحاب سليمان يدعون «شيعتهم» وغيرهم من أهل مصرهم، حتّى كثر تبعهم، وكان الناس بعد هلاك يزيد أسرع إلى اتباعهم منهم قبل ذلك‏[[271]](#footnote-271).

بلا تضمين لتعيين موعد لوثبتهم في هذا الخبر كما مرّ، ونجد الأجل لأوّل شهر ربيع الآخر لسنة خمس وستّين في رسالة سليمان إلى سعيد بن حذيفة بن‏

ص: 114

اليمان بلا تاريخ لها، ولعلّها كانت نحو سنة قبل الموعد وبعد موت يزيد في أواخر ربيع الآخر لسنة (64 ه-) فإليك نصّها:

رسالة سليمان إلى سعيد بن حذيفة

كان حذيفة بن اليمّان الأنصاري عاملًا على المدائن حتّى أوائل عهد الإمام عليّ (ع)، وقُتل ابنه سعيد شهيداً بصفّين مع الإمام (ع)، وكان أخوه سعد بعد بالمدائن. وكان بها أقوام من أهل الكوفة قد أعجبتهم فتوطّنوا بها، وكانوا في حين توزيع العطاء وتقسيم الأرزاق يعودون إلى الكوفة فيأخذون حقوقهم ويعودون إلى أوطانهم في المدائن‏[[272]](#footnote-272).

فكتب سليمان الخزاعي كتابين نسخة واحدة، بعث بواحدة مع ظبيان بن عمارة السعدي التميمي إلى المثنّى بن مخربة العبدي (البصري) فكتب إليه المثنّى: أمّا بعد، فقد قرأت كتابك، وأقرأته إخوانك، فحمدوا رأيك واستجابوا لك، فنحن موافوك للأجل الذي ضربت وفي الموطن الذي ذكرت، والسلام عليك، وكتب في أسفل الكتاب أربعة أبيات من شعر الحماسة[[273]](#footnote-273).

وبعث بنسخة أخرى منه مع عبد اللّه بن مالك الطائي إلى سعد بن حذيفة بن اليمّان، وفيه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم، من سليمان بن صرد إلى سعد بن حذيفة ومن قبله من المؤمنين، سلام عليكم.

أمّا بعد؛ فإنّ الدنيا قد أدبر منها ما كان معروفا، وأقبل منها ما كان منكرا، وأزمع الترحال عباد اللّه الأخيار، وباعوا قليلًا من الدنيا لا يبقى بجزيل مثوبة عند

ص: 115

اللّه لا تفنى‏[[274]](#footnote-274).

إنّ أولياءكم من إخوانكم و «شيعة آل نبيّكم» نظروا لأنفسهم فيما ابتلوا به من أمر ابن بنت نبيّهم، الذي دعي فأجاب ودعا فلم يجب، وأراد الرجعة فحُبس، وسأل الأمان فمُنع، وترك الناس فلم يتركوه، وعدوا عليه فقتلوه ثمّ سلبوه وجرّدوه ظلماً وعدواناً، وغرّة باللّه وجهلًا. وبعين اللّه ما يعملون وإلى اللّه يرجعون‏ وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ‏[[275]](#footnote-275).

فلما نظروا إخوانكم وتدبّروا عواقب ما استقبلوا رأوا أن قد أخطؤوا بخذلان الزكيّ الطيّب، وإسلامه وترك مواساته والنصر له خطأ كبيراً، ليس لهم منه مخرج ولا «توبة» دون قتل قاتليه أوقتلهم، حتّى تفنى على ذلك أرواحهم، وقد جدّ إخوانكم فجدّوا، وأعدّوا واستعدّوا.

وقد ضربنا لإخواننا أجلًا يوافوننا إليه، وموطناً يلقوننا فيه:

فأمّا الأجل فغرّة شهر ربيع الآخر سنة خمس وستّين، وأمّا الموطن الذي تلقوننا فيه: فالنخيلة.

أنتم الذين لم تزالوا لنا «شيعة» وإخواناً، ألا وقد رأينا أن ندعوكم إلى هذا الأمر الذي أراد اللّه به إخوانكم فيما يزعمون، ويظهرون لنا أنّهم «يتوبون» وإنّكم جدراء بتطلاب الفضل والتماس الأجر، و «التوبة» إلى ربّكم من الذنب، ولوكان في ذلك حزّ الرقاب وقتل الأولاد واستيفاء الأموال وهلاك العشائر.

ما ضرّ «أهل عذراء» (حِجْراً وأصحابه) الذين قُتلوا أن يكونوا اليوم أحياء عند ربّهم يرزقون، شهداء قد لقوا اللّه صابرين محتسبين، فأثابهم ثواب الصابرين.

ص: 116

وما ضرّ إخوانكم المقتّلين صبراً المصلّبين ظلماً، والممثّل بهم والمعتدى عليهم ألا يكونوا أحياء مبتلين بخطاياكم، قد خير لهم فلقوا ربّهم ووفّاهم اللّه أجرهم إن شاء اللّه!

فاصبروا- رحمكم اللّه- على البأساء والضرّاء وحين البأس وتوبوا إلى اللّه عن قريب، فواللّه إنّكم لأحرياء ألا يكون أحد من إخوانكم صبر على شي‏ء من البلاء إرادة ثوابه، إلا صبرتم التماس الأجر فيه على مثله، ولا يطلب رضا اللّه طالب بشي‏ء من الأشياء إلا طلبتم رضا اللّه به ولو أنّه القتل!

إنّ التقوى أفضل الزاد في الدنيا، وما سوى ذلك يبور ويفنى، فلتعزف عنها أنفسكم، ولتكن رغبتكم في دار عاقبتكم، وفي جهاد عدو اللّه وعدوّكم وعدو «أهل بيت نبيّكم» حتّى تقدموا على اللّه «تائبين» راغبين.

أحيانا اللّه وإياكم حياةً طيّبة، وأجارنا وإيّاكم من النار، وجعل منايانا قتلًا في سبيله على يدي أبغض خلقه إليه وأشدّهم عداوة له، إنّه القدير على ما يشاء، والصانع لأوليائه في الأشياء، والسلام عليكم.

ولمّا قرأ سعد بن حذيفة الكتاب بعث إلى «الشيعة» بالمدائن فقرأه عليهم، ثمّ حمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال:

أمّا بعد؛ فإنّكم قد كنتم مجتمعين مزمعين على نصر الحسين وقتال عدوّه، فلم يفجأكم شي‏ء قبل قتله، واللّه مثيبكم على حسن النيّة، وعلى ما أجمعتم عليه من النصر، بأحسن المثوبة. وقد بعث إخوانكم يستنجدونكم ويستمدّونكم، ويدعونكم إلى الحقّ، وإلى ما ترجون لكم به عند اللّه أفضل الأجر والحظّ، فماذا تريدون وماذا تقولون؟!

فقالوا بأجمعهم: رأينا في ذلك مثل رأيهم، فنجيبهم ونقاتل معهم!

فقال: استعدّوا للعدوّ وأعدّوا له الحرب، ثمّ نسير وتسيرون‏[[276]](#footnote-276).

ص: 117

واختار المختار أن يعود للديار

عرفنا في أخبار خروج مسلم بن عقيل: أنّ المختار بن عبيد الثقفي خرج براية لنصرته، وكان عمروبن حريث المخزومي يحمل راية أمان لابن زياد، فدعا المختار إليه وأجاب المختار فشتر عينه ابن زياد وحبسه. وكان عبد اللّه بن عمر قد بايع ليزيد وكان هو زوج اخت المختار: صفيّة، فبعث المختار ابن عمّه زائدة بن قدامة الثقفي إلى ابن عمر يسأله أن يكتب إلى يزيد ليكتب إلى ابن زياد بإطلاقه، ففعل وأطلقه ابن زياد ولكنّه أخرجه من الكوفة، فخرج إلى مكّة.

فروى الطبري عن الكلبي عن أبي مخنف عن عبّاس بن سهل بن سعد الساعدي، وكان مع ابن الزبير، وتواعد مع المختار الثقفي في حجر إسماعيل بعد العتمة، فالتقى به وذهب به إلى منزل ابن الزبير فقال له المختار:

إنّي قد جئتك لأبايعك على ألا تقضي الأمور دوني وإذا ظهرت استعنت بي على أفضل عملك! ولا ابايعك أبداً إلا على هذه الخصال! فقال له ابن الزبير:

فلك ما سألته! فبسط يده فبايعه‏[[277]](#footnote-277) وأقام معه خمسة أشهر، فلمّا رآه لا يستعمله جعل لا يقدم عليه أحد من الكوفة إلا سأله عن حالهم.

فمّمن قدم مكّة يريد عمرة رمضان هانئ بن أبي حيّة الوادعي الهمداني فسأله المختار عن حال الناس، فأخبره أنّهم تصالحوا واتّسقوا على طاعة ابن الزبير، ولكن طائفة من أهل المصر لو كان لهم رجل يجمعهم على رأيهم لأكل بهم الأرض إلى يوم مّا! فقال المختار: أنا واللّه لهم! أنا أجمعهم على مُرِّ الحقّ‏

ص: 118

وأنفي بهم ركبان الباطل وأقتل بهم كلّ جبّار عنيد! أما وإنّي لا أدعوإلى الفتنة وإنّما أدعوإلى الهدى والجماعة! ثمّ ركب رواحله وخرج نحوالكوفة[[278]](#footnote-278).

ودخل المختار الكوفة

قدم المختار الكوفة يوم الجمعة النصف من شهر رمضان (64 ه-)[[279]](#footnote-279) فمرّ بمسجد السّكون وجبّانة كندة فسلّم عليهم وقال لهم: أبشروا فقد أتاكم ما تحبّون من النصر والفلج! ثمّ أقبل حتّى مرّ بمسجد بني ذهل وبني حجر فوجدهم قد راحوا إلى الجمعة.

فأقبل حتّى مرّ ببني بدّاء من كندة فوجد منهم عبيدة بن عمرو شاعراً شجاعاً وأشدّهم حبّاً لعليّ (ع) ولكنّه لا يصبر عن الشراب، فسلّم عليه المختار ثمّ قال له:

يا أبا عمرو! إنّك على رأيٍ حسن لن يدع اللّه معه مَأثماً إلا غفره ولا ذنباً إلا ستره! أبشر بالنصر واليسر والفلج! فقال عبيدة: بشّرك اللّه بخير، فهل تفسّره لنا؟ قال:

نعم، الليلة في رحلي! فالقني في رحلي، وبلّغ أهل مسجدكم هذا عنّي: أنّهم قوم أخذ اللّه ميثاقهم على طاعته، يقتلون المحلّين، ويطلبون بدماء أولاد النبيّين، ويهديهم للنور المبين! ثمّ قال: أين الطريق إلى بني هند؟ فدعى عبيدة بفرسه وركبه ومضى معه إلى بني هند إلى منزل إسماعيل بن كثير فقال له: القني أنت وأخوك الليلة فإنّي قد أتيتكم بكلّ ما تحبّون. ثمّ مضى إلى باب الفيل فأناخ راحلته ودخل المسجد فقام إلى جنب سارية من سواري المسجد فصلّى النوافل‏

ص: 119

حتّى اقيمت الصلاة فصلّى (بصلاة عامر بن مسعود الجمحي) ثمّ صلّى النوافل حتّى صلّى العصر ثمّ انصرف حتّى مرّ على حلقة همدان فقال لهم: أبشروا فإنّي قد قدمت عليكم بما يسرّكم. ثمّ مضى حتّى نزل داره.

وأتاه (أي المختار) عبيدة بن عمرو البدّي الكندي وإسماعيل بن كثير من بني هند فسألهما عن حال «الشيعة».

فقالا له: إنّهم قد اجتمعوا لسليمان بن صرد الخزاعي فهو لا يلبث كثيراً حتّى يخرج.

فحمد اللّه وأثنى عليه وصلّى على النبيّ (ص) ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّ «المهديّ ابن الوصيّ»: محمّد بن عليّ (ابن الحنفية) بعثني إليكم أميناً ووزيراً ومنتخباً وأميرا، وأمرني بقتال الملحدين والطلب بدماء أهل بيته، والدفع عن الضعفاء.

ثمّ أخذ يبعث إلى «الشيعة» فيقول لهم: إنّي قد جئتكم من قِبَل «وليّ الأمر» ومعدن الفضل، و «وصيّ الوصي والإمام المهدي» بأمر فيه الشفاء وكشف الغطاء وقتل الأعداء وتمام النعماء! فأنا إنما أعمل على مثال قد مثّل لي وأمر قد بيّن لي، فيه عزّ وليكم وقتل عدوّكم وشفاء صدوركم، فاسمعوا منّي قولي وأطيعوا أمري، ثمّ أبشروا وتباشروا، فإنّي لكم بكلّ ما تأملون خيرُ زعيم. وإنّ سليمان بن صرد يرحمنا اللّه وإيّاه إنّما هو يابس من الهزال ليس بذي تجربة للأمور ولا له علم بالحروب، فهو إنّما يريد أن يخرجكم فيقتل نفسه ويقتلكم‏[[280]](#footnote-280)!

وبعد قدوم المختار إلى الكوفة بثمانية أيّام في يوم الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان سنة أربع وستّين قدم عبد اللّه بن يزيد الأنصاري الخطمي من قِبَل ابن الزبير أميراً على الكوفة لحربها وثغرها، ومعه إبراهيم بن محمّد بن طلحة بن عبيد اللّه التيمي الأعرج أميراً على جزية الكوفة وخراجها[[281]](#footnote-281).

ص: 120

ابن زياد إلى العراق، والكوفة

وفي شهر ربيع الأول توجّه مروان إلى مصر، ووجّه ابن زياد في ستّين ألفاً إلى العراق‏[[282]](#footnote-282)، وكان سليمان الخزاعي قد وعد أصحابه لأوّل شهر ربيع الثاني.

وكان يزيد بن الحارث بن رويم الشيباني من قوّاد ابن زياد، ولكنّه أوّل من أعلن رفض فرض إمرة ابن زياد بعد موت يزيد، ولمّا سمع الناس يتحدّثون بخروج «الشيعة» مع الخزاعي لثار الحسين (ع) خاف على نفسه، فأتى إلى عبد اللّه بن يزيد الأنصاري عامل ابن الزبير في الكوفة وقال له: إنّ الناس يتحدّثون أنّ «الشيعة» ستخرج عليك مع سليمان بن صرد ... وقد اجتمع له أمره فهو خارج في هذه الأيّام ... وإنّي أخاف إن أقررته حتّى يخرج عليك أن تشتدّ شوكته ويتفاقم أمره.

قال عبد اللّه: حدّثني ماذا يريد هؤلاء الناس؟ قال: يذكر الناس أنّهم يطلبون بدم الحسين بن عليّ (ع).

قال: فأنا قتلت الحسين! لعن اللّه قاتل الحسين!

وكان عبد اللّه بن يزيد أمير الحرب والثغور، وكان ابن زياد قد توجّه إلى العراق وبلغ خبره إلى ابن يزيد الأنصاري أنّه على مسيرة ليلة من جسر منبج في ثغور الشام إلى العراق، وعزم أن يجعل بأس التوّابين على الأمويّين، ولم يكن أخبر عامل ابن الزبير على خراج الكوفة: إبراهيم بن محمّد بن طلحة بشي‏ء، حتّى خرج وصعد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال:

أمّا بعد، فقد بلغني: أنّ طائفة من أهل هذا المصر أرادوا أن يخرجوا علينا، فسألت عن الذي دعاهم إلى ذلك ما هو؟ فقيل لي: زعموا أنّهم يطلبون بدم الحسين بن عليّ (ع).

ص: 121

وقد دُلِلْتُ على أماكنهم وأمرت بأخذهم وأن أبدأهم قبل أن يبدؤوني! فأبيت ذلك وقلت: إن قاتلوني قاتلتهم وإن تركوني لم أطلبهم، وعلام يقاتلونني! فواللّه ما أنا قتلت حسيناً ولا أنا ممّن قاتله، بل لقد اصبت بمقتله رحمة اللّه عليه! ورحم اللّه هؤلاء القوم، وإنّ هؤلاء القوم آمنون، فليخرجوا ولينتشروا ظاهرين ليسيروا إلى من قاتل الحسين، وأنا لهم ظهير!

هذا ابن زياد قاتل الحسين، وقاتل خياركم وأماثلكم قد توجّه إليكم، عهد العاهد به على مسيرة ليلة من جسر منبج، فقتاله والاستعداد له أولى وأرشد من أن تجعلوا بأسكم بينكم فيقتل بعضكم بعضاً ويسفك بعضكم دماء بعض، فيلقاكم ذلك العدو غداً وقد رققتم، وتلك أمنية عدوّكم.

إنّه قد أقبل إليكم أعدى خلق اللّه لكم؛ من ولّي عليكم هو وأبوه سبع سنين (كذا) لا يُقْلِعان عن قتل أهل العفاف والدين. هوالذي قتلكم ومن قبله أتيتم، والذي قتل من تثأرون بدمه (الحسين) قد جاءكم فاستقبلوه بحدّكم وشوكتكم، واجعلوها به ولا تجعلوها بأنفسكم، إنّي لم آلكم نصحا. جمع اللّه لنا كلمتنا وأصلح لنا أئمّتنا!

وكان عامل ابن الزبير على خراج الكوفة: إبراهيم بن محمّد بن طلحة بن عبيد اللّه التيمي حاضراً وغير مشاوَر في الأمر، فأبى وقام وقال: أيّها الناس! واللّه لو استقينا (أو: استيقنّا) أنّ قوماً يريدون الخروج علينا لنأخذنّ الوالد بولده والمولود بوالده والحميم بالحميم والعريف بما في عرافته، حتّى يدينوا للحقّ ويذلّوا للطاعة! واللّه لئن خرج علينا خارج لنقتلنّه! فلا يغرّنكم مقالة هذا المداهن الموادع عن السيف والغشم (الظلم).

وكان ثاني أمراء التوّابين: المسيّب بن نجبة الفزاري حاضراً فوثب إليه قاطعاً عليه منطقه وقال له: ياابن «الناكثين» أنت تهدّدنا بسيفك وغشمك! أنت واللّه أذلّ من ذلك! وإنّا لا نلومك على بغضنا وقد قَتَلْنا أباك (محمّداً) وجدّك (طلحة بن‏

ص: 122

عبيد التيمي في الجمل بالبصرة) واللّه إنّي لأرجو ألا يخرجك اللّه من بين ظهرانيّ أهل هذا المصر حتّى يثلّثوا بك جدّك وأباك!

ثمّ التفت إلى الأمير عبد اللّه بن يزيد الأنصاري وقال له: وأمّا أنت- أيّها الأمير- فقد قلت قولا سديدا، وإنّي واللّه لأظنّ من يريد هذا الأمر مستنصحاً لك قابلًا لقولك.

فقال إبراهيم التيمي: إي واللّه! ليقتلنّ وقد أدهن ثمّ أعلن!

وكان ثالث أمراء التوّابين؛ عبد اللّه بن وال حاضراً أيضاً فقام وقال لمحمّد:

يا أخا بني تيم بن مرّة! ما اعتراضك فيما بيننا وبين أميرنا! فواللّه ما أنت علينا بأمير ولا لك علينا سلطان! إنّما أنت أمير الجزية! فأقْبَل على خراجك؛ ولعمر اللّه لئن كنت مفسداً فما أفسد أمر هذه الأمة إلا والدك وجدّك «الناكثان» فكانت عليهما دائرة السوء!

ثمّ أقبل عبد اللّه بن وال على عبد اللّه بن يزيد وقال له: أمّا رأيك- أيها الأمير- فواللّه إنّا لنرجو أن تكون به عند العامّة محمودا، وأن تكون عند من عنيت مقبولا. فنزل الأنصاري ودخل إلى دار الإمارة.

وخرج أصحاب سليمان الخزاعي بعد هذا يتجهّزون ويجاهرون بذلك.

ومشى شبث بن ربعي اليربوعي ويزيد بن الحارث الشيباني فيما بين الأنصاري وإبراهيم التيمي فأصلحوا بينهما[[283]](#footnote-283).

ص: 123

خروج التوّابين إلى النّخيلة

كان الشيخ سليمان الخزاعي قد أعدّ لمن تابعه وبايعه ديواناً، فكانوا ستة عشر ألفا[[284]](#footnote-284) وكان واعدهم هلال ربيع الثاني في معسكر الكوفة بالنخيلة. وحين أراد هو الشخوص إليهم بعث إلى وجوه أصحابه فخرج معهم حتّى أتى المعسكر فدار معهم في الناس فوجد قلة في عدّتهم (ألفين)!

فبعث حكيم بن منقذ الكندي والوليد بن غصين الكناني كلًا في خيل إلى الكوفة يناديان بها: يالثارات الحسين! حتّى يبلغا المسجد الأعظم.

وسمعهما من بني كثير من الأزد عبد اللّه بن خازم لم يكن قد استجاب لهم من قبل، فوثب ودعا بسلاحه وأمر بإسراج فرسه ولبس ثيابه، وكانت امرأته سهلة بنت سبرة من أجمل النساء فقالت له: ويحك أجننت! قال: لا واللّه ولكنّي سمعت داعي اللّه فأنا مجيبه! أنا مطالب بدم هذا الرجل (الحسين) حتّى أموت أويقضي اللّه من أمري ما هو أحبّ إليه! وكان له ابن منها يدعى عزرة، فقالت له: وإلى من تدع بنيّك هذا؟ قال: إلى اللّه وحده لا شريك له، اللهم إنّي أستودعك أهلي وولدي، اللهمّ احفظني فيهم. وخرج ليلحق بهم، وقعدت امرأته تبكيه.

وطاف أولئك في الكوفة حتّى وصلوا المسجد بعد العتمة وفيه ناس يصلّون، فنادوا: يا لثارات الحسين! وكان فيهم أبو عزة القابضي فنادى معهم:

يا لثارات الحسين! أين جماعة القوم؟ قيل: بالنخيلة. فخرج إلى أهله فأخذ سلاحه ودعا بفرسه ليركبه، فجاءته ابنته الرّوّاع وقالت له: يا أبة! ما لي أراك قد

ص: 124

تقلّدت سيفك ولبست سلاحك؟ قال لها: يا بنيّة! إنّ أباك يفرّ من ذنبه إلى ربّه! فأخذت تنتحب وتبكي، وجاءه أصهاره وبنو عمّه فودّعهم ثمّ خرج فلحق بهم.

فلم يصبح سليمان الخزاعي حتّى أتاه مثل عسكره البارحة (أي صاروا أربعة آلاف)! فدعا بديوانه لينظر فيه إلى عدّة من بايعه فوجدهم ستة عشر ألفاً فقال: سبحان اللّه! ما وافانا من ستة عشر ألفا إلا أربعة آلاف! وكان حميد بن مسلم الأزدي حاضرا فقال له: كنت عند المختار قبل ثلاث ليال فسمعت نفراً من أصحابه يقولون: قد كملنا ألفي رجل! فهو يثبّط الناس عنك! فقال سليمان: وهب أنّه كان ذلك فهل قعد عنّا عشرة آلاف! أما هؤلاء بمؤمنين! أمَا يخافون اللّه! أمَا يذكرون اللّه وما أعطونا من أنفسهم من العهود والمواثيق لينصرنّ وليجاهدنّ!

فأخذ يبعث ثقات أصحابه إلى من تخلّف عنه يذكّرهم اللّه وما أعطوه من أنفسهم إلى الثالث من ربيع الثاني، فخرج إليه نحو من ألف رجل‏[[285]](#footnote-285) (أي كانوا خمسة آلاف شخصٍ من ستّة عشر ألفاً).

في الكوفة أو إلى الشام‏

مرّ الخبر أنّ عبد اللّه بن يزيد الأنصاري أمير الكوفة لابن الزبير، كان قد علم باتّجاه ابن زياد في ستّين ألفا إلى العراق، فلمّا أنذره يزيد بن الحارث بن رويم الشيباني بأمر التوّابين، ألقى إليهم الخبر ليصرفهم عن الكوفة فيصرف بهم شرّ جيش الشام وينتصر بهؤلاء على أولئك.

وكان من امراء التوّابين: عبد اللّه بن سعد بن نفيل الأزدي وكأنّه كان حاضراً في خطبة الأنصاري ومتأثّراً بكلامه، وأشار بذلك على سليمان الخزاعي وقَبِل منه‏

ص: 125

ذلك سليمان وأجمع على المسير إلى ابن زياد. ولكنّه لعلّه لمّا رأى أنّ من حضر ممّن بايع لا يصل إلى ثلث العدد بدا له في ذلك، فدخل مع بعض أصحابه على سليمان الخزاعي في معسكر النخيلة ورؤوس أصحابه جلوس عنده وحوله، فقال له:

إنّي قد رأيت رأياً (جديداً) إن يكن صوابا فاللّه وفّق، وإن لم يكن صوابا فمن قبلي، وإنّي ما آلوكم ونفسي نصحاً، صواباً كان أو خطأ: إنّما خرجنا نطلب بدم الحسين، وقتلة الحسين كلّهم بالكوفة، منهم عمر بن سعد[[286]](#footnote-286)- وكان في الأيّام التي كان سليمان معسكراً بالنخيلة لا يبيت إلا مع الأمير في قصر دار الإمارة! مخافة أن يأتيه القوم في داره وبيته وهو قايل لا يعلم فيقتل‏[[287]](#footnote-287)- ورؤوس الأرباع وأشراف القبائل، فأنى نذهب هاهنا (إلى الشام) وندع الأوتار؟!

فأبى سليمان وقال: لكنّي ما أرى لكم ذلك، فإنّ الذي عبّأ الجنود إلى صاحبكم (الحسين (ع)) وقال: لا أمان له عندي حتّى يستسلم فأمضي فيه حكمي: هذا الفاسق ابن الفاسق: ابن مرجانة عبيد اللّه بن زياد، فسيروا إلى عدوّكم على اسم اللّه، فإن يظهركم اللّه عليه رجونا أن يكون مَن بعده أهون شوكة منه، ورجونا أن يدين لكم مَن وراءكم مِن أهل مصركم في عافية! فتنظرون إلى كلّ من شرك في دم الحسين فتقاتلونه ولا تظلموا، وإن تستشهدوا فإنّما قاتلتم المحلّين، وما عند اللّه خير للأبرار والصدّيقين! واللّه لو قاتلتم غدا أهل مصركم ما عُدِمَ رجل أن يرى رجلًا قد قتل أخاه وأباه وحميمه! أو رجلًا لم يكن يريد قتله! فاستخيروا اللّه وسيروا[[288]](#footnote-288).

ص: 126

ليس للدنيا خرجنا، فلا ننتظر

وقام المسيّب الفزاري إلى سليمان وقال له: رحمك اللّه، إنّه لا ينفعك الكاره، ولا يقاتل معك إلا من أخرجَتْه النيّة (الصادقة) فلا تنتظرنّ أحدا وأسرع في أمرك.

فقام سليمان في الناس متوكِّئاً على قوسه العربيّة وقال لهم: أيّها الناس؛ من كان إنّما أخرجَتْه إرادة وجه اللّه وثواب الآخرة فذلك «منّا ونحن منه» ورحمة اللّه عليه حيّا وميّتا! ومن كان إنّما يريد الدنيا وحرثها فواللّه ما نأتي فيئاً نستفيئه، ولا غنيمة نغنمها إلا رضوان اللّه ربّ العالمين، وما معنا من ذهب ولا فضة ولا خزّ ولا حرير، ما هي إلا سيوفنا في عواتقنا ورماحنا في أكفّنا، وزاد قدر البُلْغة إلى لقاء عدوّنا، فمن كان ينوي غير هذا فلا يصحبنا!

فقام للكلام صخير بن حذيفة المزني فقال: آتاك اللّه رشدك ولقّاك حجّتك؛ واللّه الذي لا إله غيره ما لنا خير في صُحبة مَن الدنيا نيّتُه وحمّتُه! ثمّ التفت إلى الناس وقال لهم: أيّها الناس، إنّما أخرجتنا «التوبة» من «ذنبنا» والطلب بدمٍ من نبيّنا (ص)، ليس معنا دينار ولا درهم، وإنّما نُقْدِم على حدّ السيوف وأطراف الرماح! وسكت.

فتنادى الناس من كلّ جانب: إنّا لا نطلب الدنيا وليس لها خرجنا[[289]](#footnote-289)!

ص: 127

محاولات أمير الكوفة

مرّ الخبر أنّ عبد اللّه الأنصاري هو الذي وجّه التوّابين إلى جيش الشام، وفوجئ إبراهيم التيمي بذلك فاتّهمه بالمداهنة والموادعة، وكأنّه بدا له فاقتنع بوجهة نظر الأمير، واليوم لمّا بلغهما خروجهم إلى المعسكر وتهيّؤهم للشخوص إلى الشام بثلث عددهم المتوقّع خمسة آلاف لأكثر من خمسين ألفاً، وقد بلغهما إقبال ابن زياد نحو العراق، نظر الأميران في ذلك فرأيا أن يأتياهم فيعرضا عليهم الإقامة فيكونوا يداً واحدة! وإلا فيعبّئوا معهم جيشاً يجبر لهم قلّة عددهم فيكثروا.

فبعثا إليهم سويد بن عبد الرحمان يقول لهم عنهما: إنّا نريد أن نجيئك الآن لأمر عسى أن يجعل اللّه فيه صلاحاً لك ولنا. وقَبِلَ ذلك سليمان، وقال لرفاعة البجلي: قم فأحسن تعبئة الناس فإنّ هذين بَعثا بكذا، ثمّ دعا رؤوس أصحابه ليكونوا حوله، وجاء الأمير الزبيريّ الأنصاري في أشراف أهل الكوفة والشُّرّط وكثير من مقاتليهم، ولكنّه استثنى منهم الرجال المعروفين بالمشاركة في دم الحسين (ع) وقال لهم: لا تصحبنّي إليهم مخافة أن ينظروا إليهم فيبدؤوا بهم، وعلى رأسهم عمر بن سعد حيث كان معه في القصر مخافة أن يأتيه القوم في داره وبيته فيقتل، واستناب بصلاة الظهر إن أبطأ خليفة ابن زياد: عمرو بن حريث المخزومي المعزول! وتبعه إبراهيم التيمي في جماعة من أصحابه.

فلمّا انتهيا إليه دخلا عليه، فحمد اللّه عبدُ اللّه وأثنى عليه ثمّ ذكر الحديث:

«إنّ المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يغشّه» ثمّ قال: وأنتم إخواننا وأهل بلدنا وأحبّ أهل المصر إلينا، فلا تفجعونا بأنفسكم ولا تستبدّوا علينا برأيكم! ولا تنقصوا عددنا بخروجكم من جماعتنا. أقيموا معنا حتّى نتيسّر ونتهيّأ، فإذا علمنا

ص: 128

أنّ عدوّنا قد شارف بلدنا خرجنا إليهم بجماعتنا، وقال إبراهيم مثله، وانتظرا جواب سليمان.

فحمد اللّه سليمان الخزاعي وأثنى عليه ثمّ قال لهما: إنّي علمت أنّكما قد محضتما في النصيحة، واجتهدتما في المشورة، وقد خرجنا لأمر ونحن نسأل اللّه العزيمة على الرشد والتسديد لأصوبه، ولا نرانا إلا شاخصين إن شاء اللّه.

فقال عبد اللّه الأنصاري: فأقيموا حتّى نعبّئ معكم جيشاً كثيفاً فتلقوا عدوّكم بجمع كثيف وحدّ! يخوّفهم بقلّة عددهم.

فقال سليمان: تنصرفون عنّا ونرى رأينا فيما بيننا وسيأتيكم ذلك إن شاء اللّه.

فعرضا عليه أن يقيم معهما حتّى يلقوا جموع أهل الشام معاً، فيخصّاه وأصحابه بخراج جوخى!

فقال لهما: إنّا ليس للدنيا خرجنا! فانصَرَفا عنهم بجمعهما إلى الكوفة.

وقد مرّ أنّهم كانوا قد كتبوا إلى «الشيعة» بالمدائن والبصرة، ولم يأتهم هؤلاء للموعد، فحاول ناس من أصحاب سليمان أن يلتزموا بانتظارهم.

فأبى سليمان كذلك وقال لهم: لا تلتزموا (انتظارهم) فإنّي لا أراهم أقعدهم ولا خلّفهم إلا سوء العدّة وقلّة النفقة، فأقاموا ليتيسّروا ويتجهّزوا فيلحقوا بكم وبهم قوّة، وما أسرع القوم في آثاركم، فإنّي لا أراهم إلا سيسرعون إليكم لو قد انتهى إليهم خبركم ومسيركم‏[[290]](#footnote-290).

ص: 129

خطبة سليمان ورحيلهم إلى كربلاء

ثمّ قام سليمان في الناس خطيباً (الجمعة)، فحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال:

أمّا بعد، أيّها الناس! فإنّ اللّه قد علم بما تنوون وما خرجتم تطلبون، وإنّ للدنيا تجاراً وللآخرة تجّاراً؛ فأمّا تاجر الآخرة فساع إليها متنصّب (متعب) بتطلابها، لا يشتري بها ثمناً، لا يرى إلا قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً، لا يطلب ذهباً ولا فضّة ولا دنياً ولا لذّة. وأمّا تاجر الدنيا، فمكبّ عليها راتع فيها لا يبتغي بها بدلًا.

فعليكم- يرحمكم اللّه- في وجهكم هذا بطول الصلاة في جوف الليل، وبذكر اللّه كثيراً على كلّ حال، وتقرّبوا إلى اللّه بكلّ خير قدرتم عليه، حتّى تلقوا هذا العدو والمُحِلّ «القاسط» فتجاهدوه؛ فلن تتوسّلوا إلى ربّكم بشي‏ء هوأعظم عنده ثواباً من الجهاد والصلاة، فإنّ الجهاد سنام العمل.

جعلنا اللّه وإيّاكم من العباد الصالحين المجاهدين، الصابرين على اللأواء.

وإنّا مدلجون الليلة من منزلنا هذا إن شاء اللّه، فادلجوا.

وفي عشيّة الجمعة لخمس مضين من شهر ربيع الآخر سنة (65 ه-) دعا سليمان: حكيم بن منقذ أن ينادي في الناس بالرحيل وألا يبيتنّ أحد حتّى نبلغ دير الأعور، فنادى بذلك وارتحل أكثر من معه وتخلّف كثير منهم! وباتوا بدير الأعور، متّجهين إلى كربلاء في طريقهم إلى الشام.

ثمّ سار حتّى نزل منزل أقساس مالك على شاطئ الفرات، وهناك استعرضهم، فتبيّن تخلّف نحو ألف رجل! فقال سليمان لهم: ما أحبّ أن كان‏

ص: 130

معكم من تخلّف عنكم و لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ ما زادُوكُمْ إِلَّا خَبالًا[[291]](#footnote-291) وَ لكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ‏[[292]](#footnote-292) وخصّكم بفضله فاحمدوا ربّكم.

وخرجوا من منزل أقساس مساءً فأصبحوا في كربلاء[[293]](#footnote-293).

زيارة الثوّار لقبر أبي الأحرار

لمّا انتهى الناس إلى قبر الحسين (ع)، معلوماً، صاحوا صيحة واحدة وبكوا حتّى ما رئي يوم كان أكثر باكياً منه، بكوا كلّهم وتمنّى جلّهم أنّه لوكان أصيب معه، تقدّمهم شيخهم سليمان وقد ناهز أو جاوز الثمانين من السنين رافعاً يديه إلى ربّه لدى قبر وليّه باكياً داعياً:

«اللهمّ ارحم حسيناً الشهيد ابن الشهيد، المهديّ! بن المهديّ، والصدّيق ابن الصدّيق: اللهمّ إنّا نشهدك أنّا على دينهم وسبيلهم، وأعداء قاتليهم وأولياء محبّيهم» (الولاية والبراءة).

ونادوا صيحة واحدة تائبين: «يا ربّ إنّا قد «خذلنا» ابن بنت نبيّنا، فاغفر لنا ما مضى منّا، وتب علينا، إنّك أنت التوّاب الرحيم. وارحم حسيناً وأصحابه الشهداء الصدّيقين. وإنّا نشهدك- يا ربّ- أنّا على «مثل ما قتلوا عليه» فإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننّ من الخاسرين».

ثمّ انصرف سليمان وأصحابه عن القبور ونزلوا، فأقاموا عنده يومهم ذلك وليلتهم يصلّون ويبكون ويتضرّعون ويستغفرون، وما انفكّوا يترحّمون عليه وعلى أصحابه، حتّى صلّوا الفجر عند القبر.

ص: 131

ثمّ أمر سليمان الناس بالمسير، فكانوا لا يمضون حتّى يأتوا قبره فيقوموا ويترحّموا عليه ويستغفروا له ولأصحابه الشهداء ثمّ يركبوا، ولقد كان ازدحامهم على قبره أكثر من ازدحام الناس على الحجر الأسود!

ووقف الأُمراء عند قبره: سليمان الخزاعي والمسيّب بن نجبة وعبد اللّه بن وال التيمي، والمثنّى بن مخربة العبدي، فكلّما دعا له قوم وترحّموا عليه قال لهم سليمان والمسيّب: الحقوا بإخوانكم رحمكم اللّه! حتّى بقوا في نحو ثلاثين رجلًا من أصحابهم، فأحاطوا بالقبر ...

فقال سليمان مودّعاً: الحمد للّه الذي لو شاء لأكرمنا بالشهادة مع الحسين! اللهمّ إذ حرمتناها معه فلا تحرمناها فيه بعده!

وقال المسيّب: وأنا بري‏ء من قتلهم ومن كان على رأيهم (أي أعدائهم وقاتليهم)، وإيّاهم أعادي وأقاتل.

وقال عبد اللّه بن وال التيمي: أما واللّه إنّي لأظنّ حسينا وأباه وأخاه أفضل أمّة محمّد (ص) وسيلة عند اللّه يوم القيامة، أفما عجبتم لما ابتليت به هذه الأمة منهم! إنّهم قتلوا اثنين وأشفوا بالثالث على القتل‏[[294]](#footnote-294).

وقال المثنّى بن مخرّبة العبدي وهو من الرؤساء الأشراف: إنّ اللّه جعل هؤلاء الذين ذكرتم بمكانهم من نبيّهم أفضل ممّن هو دون نبيّهم، وقد قتلهم قوم نحن منهم براء ولهم أعداء! وقد خرجنا من الديار والأهلين والأموال لاستئصال من قتلهم! فواللّه لو أنّ القتال فيهم بمغرب الشمس أو منقطع التراب فإنّه يحقّ علينا طلبه حتّى نناله؛ فإنّ ذلك هو الغُنْم وهي الشهادة التي ثوابها الجنّة!

فقالوا له: صدقت وأصبت ووفّقت. ثمّ سار سليمان من موضع قبر الحسين وساروا معه. وكان رجال من أحيائهم خرجوا معهم يشايعونهم حتّى انتهوا إلى‏

ص: 132

قبر الحسين، ثمّ انصرفوا عنه ولزموا الطريق، فعاد هؤلاء المشايعون إلى أحيائهم بالكوفة[[295]](#footnote-295)، وكأنّهم عنوا زيارة قبر الحسين (ع) ثمّ عادوا.

كتاب الأمير الخطميّ وجواب الخزاعيّ‏

وسار سليمان الخزاعي من كربلاء فأخذ على الحصّاصة إلى الأنبار، ثمّ الصّدود، ثمّ القيّارة. وبدا للأمير الزبيري على الكوفة عبد اللّه بن يزيد الأنصاري الخطمي أن يكتب إلى سليمان فيردّهم إلى اجتماع كلمتهم، فدعا بالمحلّ الطائي وبعثه بكتابه فلحقهم بمنزل القيّارة، فتقدّم سليمان أصحابه حتّى سبقهم ثمّ وقف وأشار إلى الناس فوقفوا له، ليقرأ عليهم كتاب الوالي، فإذا فيه: بسم اللّه الرحمن الرحيم، من عبد اللّه بن يزيد إلى سليمان بن صرد ومن معه من المسلمين، سلام عليكم، أمّا بعد، فإنّ كتابي هذا إليكم كتاب ناصح .. إنّه بلغني أنّكم تريدون المسير بالعدد اليسير إلى الجمع الكثير؛ وإنّه من يرد أن ينقل الجبال عن مراتبها تكلّ معاوله، وينزع وهو مذموم العقل والفعل! يا قومنا لا تطمعوا عدوّكم في أهل بلادكم، فإنّكم خيار كلّكم، ومتى ما يصبكم عدوّكم ويعلم أنّكم أعلام مصركم يطمعهم ذلك فيمن وراءكم، يا قومنا إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَ لَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً[[296]](#footnote-296).

يا قوم! إنّ أيدينا وأيديكم اليوم واحدة، وإنّ عدوّنا وعدوّكم واحد، ومتى تجتمع كلمتنا نظهر على عدوّنا، ومتى تختلف تهن شوكتنا على من خالفنا! يا

ص: 133

قومنا لا تستغشّوا نصحي ولا تخالفوا أمري وأقبلوا حين يقرأ عليكم كتابي، أقبل اللّه بكم إلى طاعته وأدبر بكم عن معصيته، والسلام.

فلمّا قرئ الكتاب على سليمان وأصحابه التفت إليهم وسألهم: ما ترون؟

فقالوا: قد أبينا هذا عليكم وعليهم ونحن في أهلنا ومصرنا، فالآن إذ وطّنّا أنفسنا على الجهاد وخرجنا ودنونا من أرض عدوّنا (نعود)؟! ما هذا برأي! فماذا ترى؟ أخبرنا برأيك!

فقال: لا أرى أن تنصرفوا عمّا جمعكم اللّه عليه من الحقّ وأردتم به من الفضل، إنّا وهؤلاء مختلفون؛ إنّ هؤلاء لو ظهروا دعونا إلى الجهاد مع ابن الزبير! ولا أرى الجهاد مع ابن الزبير إلا ضلالًا! وإنّا إن نحن ظهرنا «رددنا هذا الأمر إلى أهله»! وإن أصبنا فعلى نيّاتنا «تائبين» من ذنوبنا! إنّ لنا شكلًا وإن لابن الزبير شكلًا.

ثمّ ساروا إلى هيت حتّى نزلوها فكتب سليمان جواب أمير الكوفة: بسم اللّه الرحمن الرحيم، للأمير عبد اللّه بن يزيد من سليمان بن صرد ومن معه من المؤمنين، سلام عليك، أمّا بعد، فقد قرأنا كتابك وفهمنا ما نويت، فنعم- واللّه- الوالي ونعم الأمير، ونعم أخوالعشيرة. أنت- واللّه- من نأمنه بالغيب ونستنصحه في المشورة ونحمده على كلّ حال، إنّا سمعنا اللّه عزّ وجل يقول في كتابه: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى‏ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ ...[[297]](#footnote-297) فالقوم استبشروا ببيعتهم التي بايعوا، إنّهم قد «تابوا» من عظيم جرمهم، وقد توجّهوا إلى اللّه وتوكّلوا عليه ورضوا بما قضى اللّه‏ رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا وَ إِلَيْكَ أَنَبْنا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ[[298]](#footnote-298).

ص: 134

موقف قلعة قرقيسياء

قرقيسياء القديمة تسمّى اليوم البصيرة في سورية عند مصبّ نهر الخابور على الفرات، وكان عامل الأمويّين عليها زفر بن الحارث الكلابي وله أبناء كبار.

ومرّ الخبر أنّه كان مع سعيد بن العاص الأشدق في التفرّق بعد موت معاوية بن يزيد وقتل في معركة راهط أبناؤه وفرّ بمن تبقّى معه إلى قرقيسياء فتحصّن فيها.

ووجّه مروان ابن زياد إلى العراق قائلا: إن غلبت على العراق فأنت أميرها[[299]](#footnote-299) وكأنّه فتح عليه باب التجنيد من الشام فاستخدم ستّة من الأمراء: الحصين بن نمير السكوني، وشرحبيل بن ذي الكلاع، وأدهم بن محرز الباهلي، وأبا مالك بن أدهم، وربيعة بن مخارق الغنوي، وجبلة بن عبد اللّه الخثعمي، وبلغ خبرهم إلى زفر بن الحارث الكلابي في قرقيسياء: أنّهم فارقوا الرّقة إلى العراق في حدّ حديد وعدد كثير من مثل الشوك والشجر[[300]](#footnote-300)! وكأنّه لم تبلغه أخبار الثوّار التوّابين فتحصّن منهم وهم بحاجة إلى الزّاد.

وزفر من كندة وهي من مضر ومنها فزارة ومنهم المسيّب، فدعاه سليمان وقال له: إلق ابن عمّك هذا فقل له: إنّا لسنا إيّاه نريد وإنّما صمدنا لهؤلاء المحلّين! فليُخرج لنا سوقاً.

فخرج المسيّب حتّى انتهى إلى باب قرقيسياء فناداهم: افتحوا، ممّن تتحصّنون؟ وعرّف نفسه.

ص: 135

وكان من أبناء زفر الباقين: الهذيل، أتى أباه وقال له: هذا رجل حسن الهيئة يستأذن عليك، وسألناه: من هو؟ قال: المسيّب بن نجبة. فقال زفر: أي بنيّ! أما تدري من هذا؟ هذا من إذا عُدّ عشرة من أشراف مضر فهو أحدهم، بل هو فارس مضر الحمراء كلّها! وهو بعد رجل ناسك له دين، إئذن له.

فدخل المسيّب إليه فأجلسه إلى جانبه ولاطفه في مساءلة أحواله، فقال المسيّب: ما اعترينا إلى شي‏ء إلا أن تعيننا على هؤلاء القوم الظلمة المحلّين، فأخرج لنا سوقاً، فإنّا لا نقيم بساحتكم إلا يوماً أو بعض يوم. فدعا زفر ابنه فأمره‏

أن يضع لهم سوقاً، وأمر للمسيّب بفرس وألف درهم! فقال المسيّب: أما الفرس فإنّي أقبله لعلّي احتاج إليه إن ضلع فرسي أو غمز تحتي، وأمّا المال فواللّه ما له خرجنا ولا إياه طلبنا!

وأمر زفر ابنه أن يسأل عن وجوه أهل العسكر، فسمّى له بعد سليمان والمسيّب: عبد اللّه بن سعد بن نفيل، وعبد اللّه بن وال، ورفاعة بن شدّاد، وسمّى له أمراء أرباع الكوفة، فبعث إلى المسيّب بعشرين جزورا وإلى سليمان مثل ذلك وإلى كلّ واحد من الرؤساء الثلاثة بعشر جزائر وطعام وعلف كثير، وأخرج للعسكر عيراً عظيمة وشعيراً كثيراً مع غلمانه، وقال غلمانه: هذه عير فاجتزروا منها ما أحببتم، وهذا شعير فاحتملوا منه ما أردتم، وهذا دقيق فتزوّدوا منه ما أطقتم!

واخرجت لهم الأسواق والأعلاف والطعام، فتسوّقوا، ولكنّهم لم يحتاجوا إلى شراء شي‏ء من هذه الأسواق التي وضعت لهم، وقد كفوهم اللحم والدقيق والشعير، إلا أن يشتري الرجل سوطاً أوثوباً، وظلّ القوم مخصبين ذلك اليوم لم يحتاجوا إلى شي‏ء.

وفي غداة غد لمّا أرادوا الرحيل خرج إليهم زفر ليشايعهم فساير سليمان وأخبره خبر خروج جيش الشام من الرّقة إليهم وقال: وأيم اللّه لَقَلّ ما رأيت رجالًا هم أحسن هيئة ولا عدّة، ولا أحرى بكلّ خير من الرجال معك! ولكنّه قد بلغني أنّه قد أقبلت إليكم عدّة لا تحصى كثرة!

ص: 136

فأجابه سليمان: على اللّه توكّلنا وعليه فليتوكّل المتوكّلون. فقال زفر:

فإن شئتم فتحنا لكم مدينتنا فتدخلونها فيكون أمرنا واحداً وأيدينا واحدة.

وإن شئتم نزلتم هنا على باب مدينتنا ونخرج فنعسكر إلى جانبكم، فإذا جاء العدوُّ قاتلناهم جميعاً؟

فأجابه سليمان: قد أرادنا أهل مصرنا (الكوفة) لمثل ما أردت وذكروا مثل ما ذكرت، وبعد ما فصلنا كتبوا به إلينا فلم يوافقنا، فلسنا فاعلين!

فقال زفر: فاقبلوا ما أشير به عليكم: إنّ القوم قد فصلوا من الرّقة فبادروهم إلى مدينة عين الوردة فاجعلوها في ظهوركم ويكون الماء والرستاق‏[[301]](#footnote-301) في أيديكم، وأنتم آمنون ممّا بين مدينتكم ومدينتنا! فاطووا المنازل الساعة إلى عين الوردة، فإنّ القوم يسيرون سير العساكر، فتأهّبوا لها من يومكم هذا وإنّي أرجو أن تسبقوهم إليها؛ وإن بدرتم إلى عين الوردة فلا تقاتلوهم في فضاء، فإنّهم أكثر منكم، فلا آمن أن يحيطوا بكم فلا تقفوا لهم فإنّه ليس لكم مثل عددهم، فإن استُهدِفتم لهم لم يلبثوا أن يصرعوكم، ولا تصفّوا لهم حين تلقونهم، فإنّي لا أرى معكم رجّالة بل كلّكم فرسان، وهم بالرجال والفرسان، فالفرسان تحمي رجالها والرجال تحمي فرسانها، وأنتم ليس لكم رجال تحمي فرسانكم، فالقوهم في الكتائب والمقانب، بثوها ما بين ميمنتهم وميسرتهم، واجعلوا مع كلّ كتيبة كتيبة إلى جانبها، فإن حُمل على إحدى الكتيبتين ترجّلت الأخرى فنفّست عنها الخيل والرجال، ومتى ما شاءت كتيبة ارتفعت، ومتى ما شاءت انحطّت. ولوكنتم في صفّ واحد فزحفت إليكم الرجال فدفعتم عن الصفّ انتقض فكانت الهزيمة!

فقال له سليمان: نعم المنزول به أنت! أكرمت النزول وأحسنت الضيافة ونصحت في المشورة؛ وأثنوا عليه كثيرا ودعوا له فوقف وودّعهم.

ص: 137

ثمّ جدّوا في المسير حتّى جعلوا كلّ مرحلتين مرحلة واحدة يمرّون بالمدن مرورا حتّى بلغوا بلدة ساعا، فنزل سليمان بها وعبّأ كتائبه كما أمره زفر، ثمّ ارتحل حتّى بلغ عين الوردة سابقا القوم إليها فنزل في غربيّها، فاطمأنّوا واستراحوا وأراحوا خيولهم، وأقاموا بها خمسة أيّام لا يبرحون منها[[302]](#footnote-302). ويبدو أنّهم بلغوها في منتصف جمادى الأولى‏[[303]](#footnote-303)؛ أي في أربعين يوماً من تاريخ خروجهم من النخيلة: 5 ربيع الآخر، بلا ذكر لعلّة التأخير.

خطبة الخزاعيّ في عين الوردة

ثمّ قام فيهم سليمان الخزاعي فحمد اللّه وأثنى عليه، ثمّ ذكر آيات اللّه في السماء والأرض والجبال والبحار، وذكر آلاء اللّه ونعمه، وذكر الدنيا فزهّد فيها وذكر الآخرة فرغّب فيها، ثمّ قال: أمّا بعد، فقد آتاكم اللّه بعدوّكم الذي دأبتم في المسير إليه آناء الليل والنهار، تريدون فيما تظهرون «التوبة النصوح» ولقاء اللّه معذرين، جئتموهم أنتم في ديارهم وحيّزهم، فإذا لقيتموهم فاصدقوهم واصبروا «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ» ولا يولينّهم امرؤ دبره «إلا متحرّفاً لقتال أومتحيزاً إلى فئة» ولا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح، ولا تقتلوا أسيراً من أهل دعوتكم إلا أن يقاتلكم بعد أسره، أو يكون من قتلة إخواننا بالطفّ رحمة اللّه عليهم، فإنّ هذه كانت سيرة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب في أهل هذه الدعوة.

ثمّ قال سليمان: فإن أنا قتلت فأمير الناس المسيّب بن نجبة، فإن أصيب المسيّب فأمير الناس عبد اللّه بن سعد بن نفيل، فإن قتل عبد اللّه بن سعد فأمير

ص: 138

الناس عبد اللّه بن وال، فإن قتل عبد اللّه بن وال فأمير الناس رفاعة بن شدّاد. رحم اللّه امرأ صدق ما عاهد اللّه عليه.

ثمّ دعا المسيّب بن نجبة وندب له أربعمئة فارس معه وقال له: سر حتّى تلقى أوّل عسكر من عساكرهم فشنّ الغارة عليهم، فإذا رأيت ما تحبّه، وإلا انصرفت في أصحابك إلينا، وإيّاك أن تنزل أو تدع أحداً من أصحابك ينزل أو يستقتل، أخّر ذلك إلا ألا تجد بدّاً منه‏[[304]](#footnote-304).

غارة المسيّب الفزاريّ‏

عسكروا في غربي عين الوردة خمسة أيام، ثمّ بعث الخزاعيّ الفزاريّ في أربعمائة فارس ليغِير على أوّل عساكر الشام ثمّ يعود إلى عين الوردة، ويبدو أن ذلك كان في العشرين من جمادى الأولى أي بعد 45 يوماً من خروجهم من الكوفة. فساروا يومهم وليلتهم وفي السحر هوّموا تهويمة ثمّ صلّوا الصبح، ثمّ بعث عبد اللّه بن عوف في مائة وعشرين وقال له: انظروا أوّل من تلقون فاتوني به (أو بخبره). ثمّ بعث ابن عمّه أبا الجويرية العبدي كذلك، ثمّ حنش بن ربيعة الكناني كذلك، وبقي الفزاريّ في مئة منهم.

فالتقى عبد اللّه بن عوف بأعرابي من بني تغلب (النصارى؟) وبينما هم يُسائلونه إذ لحقهم الفزاري، فأتوه به، وتفألوا بكونه من تغلب بأنّهم سيَغلبون، فقال الفزاري: وإنّ هذا الفأل لهو الفأل الحسن وقد كان رسول اللّه (ص) يعجبه الفأل. ويبدو أنّ الأعرابيّ كان على خبر عن جيش الشام، فسأله الفزاري: كم بيننا وبين أدناهم منّا؟ قال: أدنى عسكر من عساكرهم منك عسكر ابن ذي الكلاع على رأس ميل! فتركوه.

ص: 139

وخرجوا مسرعين وهم مائتان، فأشرفوا عليهم وهم غارّون، فحملوا على جانب منهم، فما قاتلوا إلا قليلًا، واصيب منهم رجال وجرح كثير منهم، ثمّ خرجوا من عسكرهم وخلّوه وانهزموا، فأخذوا بعض دوابّهم وما خفّ عليهم، وصاح بهم الفزاري: الرجعة فانصرفوا، فانصرَفوا.

وبلغ خبرهم إلى ابن زياد خلفهم فسرّح إليهم الحصين بن نمير السكوني في اثني عشر ألفا حتّى نزل بهم‏[[305]](#footnote-305).

معركة التوّابين في عين الوردة

عاد الفزاريّ بالأربعمائة إلى الثلاثة آلاف والأربعمائة مع سليمان الخزاعي، فأعاد سليمان نظامهم، فجعل الفزاري في يساره، وعبد اللّه بن سعد على ميمنته، ووقف هو في القلب، لثمان بقين من جمادى الأولى‏[[306]](#footnote-306).

وجاءهم الحصين السكوني الكنديّ الشامي الحمصيّ وعلى ميمنته جبلة بن عبد اللّه، وربيعة بن المخارق الغنوي على ميسرته، ثمّ زحف إليهم، فلمّا دنوا منهم دعوهم إلى اجتماع الكلمة على طاعة (مروان بن الحكم)[[307]](#footnote-307) فأبى ذلك التوّابون.

ودعاهم التوّابون إلى أن يخلعوا (مروان بن الحكم) وعبيد اللّه بن زياد ويدفعوه إليهم ليقتلوه ببعض من قتل من إخوانهم (لا بالحسين (ع) فهو، دونه!)

فإذا فعلوا ذلك عادوا إلى بلادهم (العراق) فيخرجون من فيه من آل ابن الزبير «ليردّوا هذا الأمر (الحكم) إلى أهل بيت النبيّ» الذين آتاهم اللّه من قبلهم بالنعمة والكرامة! فأبوا.

ص: 140

أقول: لا نجد فيما بأيدينا إلا أن عبد اللّه بن سعد في ميمنة التوّابين فبدؤوا القتال فحملوا على ربيعة الغنوي في ميسرة أهل الشام فهزموهم، مع أنّهم كانوا ثلاثة أضعاف التوّابين، ولم يكن عبد اللّه بن سعد في القلب ولا القائد العامّ، ولا ذكر أمر من سليمان، نعم كان التوّابون بلا شكّ أكثر اندفاعاً وحماساً. وحملت ميسرة التوّابين بإمرة الفزاريّ على جبلة بن عبد اللّه في ميمنة الشام، وحمل سليمان في القلب على جماعتهم فهزموهم حتّى اضطرّوهم إلى معسكرهم من خلفهم، وما زال أهل العراق قاهرين حتّى مساء الأربعاء فانصرفوا.

وكان شرحبيل بن ذي الكلاع في ثمانية آلاف‏[[308]](#footnote-308) وكان الحصين السّكوني ادّعى أنه على جماعتهم جميعاً، وأبى شرحبيل وقال: ما ولّيتَ عَليَّ! ثمّ تكاتبا إلى ابن زياد ينتظران أمره، وكان ابن ذي الكلاع على رأس ميل من عسكر ابن نمير[[309]](#footnote-309) ولم ينصره! وبلغ خبره إلى ابن زياد فبعث إليه يشتمه ويقول له: إنّما عملت عمل الشباب الأغمار تضيع عسكرك ومسالحك! سر إلى الحصين بن نمير حتّى توافيه، وهو على الناس. فجاءه بجمعه، فتكاملوا عشرين ألفا إلا من أصيب منهم يوم أمس‏[[310]](#footnote-310).

وعَبّر الخبر عمّن شهد قتال التوّابين والشاميّين في اليوم الثاني: الخميس، قال: فغدوا علينا وغاديناهم فقاتلناهم. ولعلّه يعني أنّ الشاميّين بدؤوهم، ويقول: قتالًا لم ير الشيب والمرد مثله قط، يومنا كلّه. وإنّما حجزت الصلاة (للظهر والعصر) بيننا وبين القتال، حتّى أمسينا، فتحاجزنا؛ وقد أكثروا فينا الجراح، وأفشيناها فيهم. وفي أوّل النهار في هذا اليوم الثاني من القتال جرح أبو الجويرية العبدي‏

ص: 141

(البصري) فلزم رحله، وكان يحثّ الناس على القتال.

ومثله في عمله كان صخير بن حذيفة المرّي، ففي مساء اليوم الثاني الخميس ليلة الجمعة كان يدور الليل كلّه في التوّابين ويقول لهم: عباد اللّه أبشروا بكرامة اللّه ورضوانه، فواللّه إنّه لحقّ لمن ليس بينه وبين الراحة من إبرام الدنيا وأذاها ودخول الجنّة ولقاء الأحبّة إلا فراق هذه النفس الأمّارة بالسوء، حقّ له أن يكون سخيّاً بفراق نفسه ومسرورا بلقاء ربّه!

وفي اليوم الثالث يوم الجمعة أيضاً يظهر أنّ الحصين السكوني هو الذي بدأ فخرج إليهم في عشرة آلاف، فاقتتلوا قتالًا شديداً إلى ارتفاع الضّحى، ثمّ تكاثر أهل الشام على العراقيّين وتعطّفوا عليهم من كلّ جانب.

فلمّا رأى سليمان ذلك نزل ونادى: من أراد «التوبة» من ذنبه و «الوفاء» بعهده والبكور إلى ربّه فإليّ يا عباد اللّه! فنزل معه ناس كثير، فكسر جفن سيفه فكسروا جفون سيوفهم ومشوا معه فقاتلوهم، ونزل سائر الرجال يشتدّون مصلّتين سيوفهم وقد كسروا جفونها، فقاتلوهم فقتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة، وأكثروا الجراح فيهم.

فلمّا رأى الحصين ذلك أمر رماته يرمونهم بنبالهم، وفيهم يزيد بن الحصين السكوني رمى سليمان بسهم- وهو في التسعين من عمره- فوقع.

فأخذ الراية المسيّب الفزاري وقال له: رحمك اللّه يا أخي! فقد صدقت و «وفيت» بما عليك، وبقي ما علينا. ثمّ شدّ بالراية فقاتل ساعة ثمّ رجع، ثمّ شدّ بها فقاتل ثمّ رجع، وهكذا حتّى قتل رحمه اللّه.

ولمّا قتل المسيّب أخذ الراية عبد اللّه بن سعد بن نفيل الأزدي ثمّ قال:

أخويّ‏ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى‏ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ ما بَدَّلُوا تَبْدِيلًا[[311]](#footnote-311) وأقبل معه الأزديّون فالتفّوا حول رايته!

ص: 142

وخرج المثنى بن مخربة العبدي البصري من البصرة بثلاثمائة رجل وبلغ خروجه إلى سعد بن حذيفة بن اليمان بالمدائن، فخرج سعد من المدائن بمائة وسبعين رجلًا قبل أن يصلها العبدي البصري بخمس ليال، وقدّم منهم ثلاثة على آثار الكوفيّين ليبشّروهم بخروجهم إليهم ويُخبروهم بمجي‏ء أهل البصرة إليهم أيضاً. فانتهوا إليهم وأخبروهم! ثمّ قاتلوا معهم حتّى قتلوا ونجى أحدهم.

وحمل عليهم ربيعة الغنوي في ميسرتهم على التوّابين حملة منكرة فقاتلوا قتالًا شديدا، حتّى اختلف هو وعبد اللّه بن سعد بضربتين، ثمّ اعتنق كلّ صاحبه فوقعا إلى الأرض واضطربا، وطَعن ابن أخي ربيعة عبد اللّه بن سعد بطعنة في نحره فقتله رحمه اللّه. وحاول خالد بن سعيد أخوعبد اللّه بن سعيد أن يقتل قاتل أخيه فقُتل رحمه اللّه. وبقيت راية عبد اللّه بن سعد لا أحد لها، فأمسكها عبد اللّه بن خازم الكثيري ثمّ أخذها منه عبد اللّه بن وال التيمي، وذلك عند العصر.

ثمّ نادى عبد اللّه بن وال: من أراد الحياة التي ليس بعدها موت، والراحة التي ليس بعدها نَصَب، والسرور الذي ليس بعده حزن، فليتقرّب إلى ربّه بجهاد هؤلاء المحلّين، فالرواح إلى الجنّة. ثمّ شدّ عليهم فشدّوا معه فكشفوهم، ثمّ تعطّف أولئك عليهم من كلّ جانب، وشدّ عليهم أدهم الباهلي في خيله ورجاله فقتل عبد اللّه بن وال التيمي رحمه اللّه‏[[312]](#footnote-312).

ورفع الراية رفاعة، واستشهد آخرون‏

لمّا قُتل عبد اللّه بن وال قال الوليد الكناني لرفاعة بن شدّاد: أمسك رايتك؛ قال: لا أريدها! فقيل له: مالَك؟ قال: ارجعوا بنا لعلّ اللّه يجمعنا لشرّ يوم لهم!

فوثب عليه عبد اللّه بن عوف الأحمر وقال له: واللّه لئن انصرفت ليركبُنَّ أكتافنا، فلا نبلغ فرسخاً حتّى نهلك من عند آخرنا، فإن نجا منّا ناج أخذه‏

ص: 143

الأعراب وأهل القرى فتقرّبوا إليهم به فيُقتل صبرا! أنشدك اللّه ألا تفعل ذلك، وهذه الشمس قد طفلت للمغيب، وهذا الليل قد غشينا، ونحن الآن ممتنعون فنقاتلهم على خيولنا هذه، فإذا غسق الليل ففي أوّله نركب خيولنا فنرمي بها حتّى نصبح، فنسير ونحن على مهّلٍ، العشرة والعشرون معاً، ويحمل الرجل منا جريحه وينتظر صاحبه، ويعرف الناس الوجه الذي يأخذون فيتبع فيه بعضهم بعضا، ولوكان الذي ذكرتَ لم يعرف رجلٌ وجهه لا أين يذهب ولا أين يسقط، فلا نصبح إلا ونحن بين مقتول ومأسور!

فقال له رفاعة البجلي: فإنّك نعم ما رأيت.

وأخذ أهل الشام يتنادون: إنّ اللّه قد أهلكهم! فأقدموا عليهم فأفرغوا منهم قبل الليل.

فأخذوا يقدمون عليهم فقاتلوهم حتّى العشاء قتالًا شديداً.

وقام كريب بن زيد الحميري فجمع إليه رجالًا من حمير وهمدان في جماعة إن كانت أقلّ من مئة رجل فقلّما تنقص، فقال لهم: عباد اللّه! إنّه قد بلغني أنّ طائفة منكم يريدون أن يرجعوا إلى ما خرجوا منه إلى دنياهم، وإن هم ركنوا إلى دنياهم رجعوا إلى خطاياهم؛ فأمّا أنا فواللّه لا أوَلِّي هذا العدو ظهري حتّى أرد موارد إخواني؛ فروحوا إلى ربّكم، فواللّه ما في شي‏ء من الدنيا خَلَفٌ من رضا اللّه و «التوبة» إليه. فقالوا له: رأيْنا مثل رأيك.

فمضى برايته حتّى دنا من جموع ذي الكلاع الحميري، فسأل عنهم فأخبروه أنّهم من حمير، فعرض عليهم الأمان، فأجاب كريب: إنّا كنا آمنين في الدنيا وإنّما خرجنا نطلب أمان الآخرة! ثمّ قاتلوا حتّى قتلوا رحمهم اللّه.

وكان صخير بن حذيفة المزني من المحرِّضين على القتال، والآن مشى في ثلاثين رجلًا من مزينة وقال لهم: لا تهابوا الموت في اللّه فإنّه لاقيكم، ولا ترجعوا إلى الدنيا التي خرجتم منها إلى اللّه فإنّها لا تبقى لكم، ولا تزهدوا فيما رغبتم فيه من ثواب اللّه فإنّ ما عند اللّه خير لكم! فأجابوه فمشى بهم فقاتلوا

ص: 144

حتّى قتلوا رحمهم اللّه. ثمّ أمسى المساء وباء أهل الشام بغضب من اللّه ورسوله إلى معسكرهم‏[[313]](#footnote-313).

وارتفع رُفاعة بالباقين ليلًا

ولمّا أمسى المساء ورجع أهل الشام إلى معسكرهم، أمر رفاعة أن يدفع كلّ جريح إلى قومه، ثمّ أمر أبا الجويرية العبدي (البصري) في سبعين فارساً معه أن يستروهم من خلفهم ويحملوا لهم كلّ حملٍ ساقط. ثمّ أمر بالرحيل ليلة الخامس والعشرين من جمادى الأولى، فسار بهم الليل كلّه حتّى أصبح في التّنينير على شاطئ الخابور، فهنا عبره بهم ثمّ قطع الجسر، ثمّ قطع سائر الجسور حتّى بلغوا إلى خارج قرقيسياء، وعلم زفر بن الحارث الكلابي بهم فأرسل إليهم أن أقيموا عندنا ما أحببتم فلكم المواساة والكرامة! فأقاموا ثلاثاً، فأرسل إليهم من لديه من الأطبّاء! ومن الطعام والعلف مثل ما بعث في المرّة الأولى، ثمّ زوّدهم بما أحبّوا من الطعام والعلف.

وأصبح الحصين السكوني فبعث إليهم فوجدهم قد ذهبوا، فأسرع العودة بجيشه.

وكان المثنّى بن مخربة العبدي البصري قد وصل بالثلاثمائة معه إلى قرية صندوداء، وتقدّمه سعد بن حذيفة بن اليمان بالمائة والسبعين معه إلى بلدة هيت، فأخبره الأعراب بما لقي التوابّون فعاد سعد إلى المثنّى في صندوداء فأخبره، ثمّ أقاموا حتّى دنا منهم رفاعة، فاستقبلوه بالسلام والبكاء، وأقاموا معهم يوماً وليلة يتناعون إخوانهم ويبكونهم، ثمّ انصرف أهل المدائن إليها، وأهل البصرة إليها، وعاد أهل الكوفة إليها.

ص: 145

وكان مروان حيّا ولكنّه كان قد بايع لابنه عبد الملك لِما بعده، فلمّا بلغه خبر مصير «التوابين» صعد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّ اللّه قد أهلك من رؤوس أهل العراق ملقح فتنة ورأس ضلالة: سليمان بن صرد! ألا وإنّ السيوف قد تركت رأس المسيّب بن نجبة خذاريف! ألا وقد قتل اللّه من رؤوسهم رأسين عظيمين ضالّين مضلّين: عبد اللّه بن سعد أخا الأزد! وعبد اللّه بن وال أخا بكر بن وائل؛ فلم يبق بعد هؤلاء أحد عنده دفاع ولا امتناع‏[[314]](#footnote-314)!

ص: 146

أواخر أخبار مروان‏

انصرف مروان من مصر إلى الأردن وعليها حسّان بن بجدل الكلابي خال يزيد بن معاوية ومعه بنوكلاب، فلمّا وصل مروان إلى الصّنّبرة[[315]](#footnote-315) بلغه أنّ حسّان بن بجدل لم يزل على بيعة عمرو بن سعيد الأشدق، فأحضره وقال له:

بلغني أنّك بايعت عمروبن سعيد؟ فأنكر ذلك، فقال له: فبايع لعبد الملك ثمّ بعده لعبد العزيز بن مروان‏[[316]](#footnote-316).

فقال له مالك بن هبيرة اليشكري: إنّه ليست لك في أعناقنا بيعة، ولا نقاتل إلا عن عرض الدنيا! فإن تكن لنا على ما كان لنا معاوية ويزيد نصرناك! وإن تكن الأخرى فواللّه ما قريش عندنا إلا سواء.

وكان حسّان رئيس قحطان وسيّدها بالشام، وكان لهم من الشروط على معاوية وابنه يزيد وابنه معاوية بن يزيد: أن يكون لهم الأمر والنهي وصدر المجلس، فما يكون من حلّ وعقد إلا عن مشورتهم ورأي منهم! وأن يفرض لألفي رجل منهم لكلّ رجل ألفين ألفين! وإن مات حسّان قام ابنه أو ابن عمه مقامه! فرضي مروان بذلك، فانقاد حسّان لمروان‏[[317]](#footnote-317)! وقام في الناس ودعاهم إلى بيعة عبد الملك بن مروان بعد مروان وبيعة عبد العزيز بن مروان بعد عبد الملك، فبايعوهما ولم يخالفه أحد في ذلك‏[[318]](#footnote-318).

قال ابن قتيبة: ثمّ لمّا قدم الشام من مصر قال له خالد بن يزيد بن معاوية:

ص: 147

اردد إليّ السلاح الذي أخذته. فأبى عليه مروان، فألحّ خالد عليه، وكان مروان فاحشاً سبّاباً، فقال له: يا ابن الرّبوخ! يابن الرّطبة! فعاد خالد إلى أمّه وأخبرها بما قال له. ثمّ لبث مروان بعد ما قال لخالد ذلك ليالي ثمّ جاء إلى امّ خالد فرقد عندها، فأمرت جواريها فطوين عليه الدواشك (الفرش) حتّى قتلنه، ثمّ خرجن يشقّقن جيوبهن ويصرخن: يا أمير المؤمنين‏[[319]](#footnote-319)!

وقال اليعقوبي: إن خالداً لمّا أخبرها مغضباً قالت له: واللّه لا يشرب البارد بعدها! ثمّ صيّرت له سمّا في لبن فلمّا دخل إليها سقته منه، أو: وضعت وسادة على وجهه حتّى قتلته، قيل: قبل أن يبرح من الصّنّبرة في الأردن، وقيل: بل بدمشق وبها دفن‏[[320]](#footnote-320).

وقال المسعودي: دخل خالد على امّه وشكى إليها ما قاله له، وقَبَّحَ لها تزوّجها بمروان! فقالت له: لا يعيبك بعدها! فمنهم من قال: إنّها وضعت وسادة على متنفّسه وقعدت عليها حتّى مات، ومنهم من قال: إنّها أعدّت له لبناً مسموماً فلمّا دخل عليها ناولته إيّاه فشرب، فلمّا استقرّ في جوفه وقع يجود بنفسه وأمسك لسانه!

وحضره ولده وفيهم عبد الملك فجعل مروان يشير إلى أمّ خالد أنّها قتلته، وجعلت امّ خالد تقول: بأبي أنت وأمّي يوصيكم بي! حتّى هلك في أوّل شهر رمضان سنة (65 ه-) وله 63 سنة[[321]](#footnote-321)، وخالفه عمرو بن سعيد الأشدق فشرط له عبد الملك ألا يقطع شيئاً دونه ولا ينفّذ أمراً إلا بمحضره، وأن يستخلفه بعده، فبايعه على ذلك‏[[322]](#footnote-322)!

ص: 148

جيش حُبيش إلى المدينة

قال ابن قتيبة: ثمّ إنّ عبد الملك بعث حبيش بن دلجة القيني في سبعة آلاف رجل إلى المدينة (في حكم ابن الزبير) فدخلها بلا مقاومة حتّى جلس على المنبر الشريف، فدعا بخبز ولحم! فأكل وهو على المنبر؛ ثمّ طلب ماءً ليتوضّأ، فتوضّأ وهو على المنبر!

ثمّ أرسل إلى جابر بن عبد اللّه الأنصاري فدعاه، فلمّا جي‏ء به إليه قال له:

تبايع لعبد الملك أمير المؤمنين بالخلافة، عليك بذلك عهد اللّه وميثاقه وأعظم ما أخذ للّه على أحد من خلقه بالوفاء، فإن خالفت فأهرق اللّه دمك على الضلالة!

فقال له جابر بن عبد اللّه: إنّك أطوق لذلك منّي! ولكنّي أبايعه على ما بايعت عليه رسول اللّه (ص) يوم الحديبيّة: على السمع والطاعة. فبايعه.

ثمّ أرسل إلى عبد اللّه بن عمر، فلمّا جي‏ء به قال له: تبايع لعبد الملك أمير المؤمنين على السمع والطاعة؟

فقال ابن عمر: إذا اجتمع الناس عليه بايعت له إن شاء اللّه. فاقتنع القينيّ منه بذلك.

ثمّ خرج ابن دلجة من يومه ذلك إلى الربذة، وذلك في رمضان من سنة خمس وستّين.

وكتب ابن الزبير إلى عبّاس بن سهل الساعدي بالمدينة أن يجهّز الناس ثمّ يسير بهم إلى ابن دلجة وأصحابه، فسار بهم حتّى لقيهم بالربذة في شهر رمضان.

وكتب ابن الزبير إلى والي البصرة الحارث بن عبد اللّه بن أبي ربيعة أن يمدّ عباس بن سهل بجيش، فأمدّه بتسعمئة رجل، فساروا حتّى انتهوا إلى الربذة.

فبات أهل المدينة والبصرة ليلتهم يقرؤون القرآن ويصلّون حتّى أصبحوا، وبات جيش الشام بالخمور والمعازف حتّى أصبحوا، ثمّ غدوا إلى القتال، فقتل‏

ص: 149

حبيش ومن معه من أهل الشام، ولجأ خمسمائة منهم إلى جبل عمود بالربذة، وأحاط بهم عباس بن سهل حتّى ينزلوا على حكمه، فنزلوا على حكمه فضرب أعناقهم أجمعين، وكان فيهم أبو الحجاج يوسف بن الحكم الثقفي (فهرب).

ثمّ رجع ابن سهل إلى المدينة فجدّد البيعة لابن الزبير فبايعوا، وسار أهل البصرة إلى مكّة، فبعث ابن الزبير ابنه حمزة بن عبد اللّه عاملًا عليهم وهو شابّ فاستحقره أهل البصرة، فبعث إليهم أخاه مصعب بن الزبير فقال لهم: يا أهل البصرة! لا يقدم عليكم أحد إلا لقّبتموه، وأنا ألقّب لكم نفسي: أنا القصّاب‏[[323]](#footnote-323)!

ص: 150

بداية أخبار المختار

وحبسُ المختار بعد ابن صرد

روى الطبري عن أبي مخنف، قال: لما خرج سليمان بن صرد إلى الجزيرة (جزيرة ابن عمر- الموصل) شعر عمر بن سعد وأصحابه بالشرّ من المختار بعد سليمان، واجتمع إليه لذلك شبث بن ربعي التميمي ويزيد بن الحارث بن رويم الشيباني واتّفقوا على أن يأتوا الخطمي الأمير الزّبيري على الكوفة فيشيروا عليه بذلك. فأتوا إليه وقالوا له: إنّ سليمان بن صرد إنّما خرج يقاتل عدوّكم ويذلّلهم لكم وقد خرج عن بلادكم، وإنّ المختار أشدّ عليكم من سليمان، فهو إنّما يريد أن يثب عليكم في مصركم! فسَيّروا إليه وخلّدوه في السجن حتّى يستقيم أمر الناس.

وقَبِل الأميران الزبيريّان: عبد اللّه بن يزيد الخطمي وإبراهيم بن محمّد بن طلحة التيمي مشورة ابن سعد وأصحابه، ولكنّهم لم يروا إرسال الشُّرَط عليه، بل خرجوا إليه في جمع من الناس حتّى أحاطوا بداره وطلبوه، فلمّا خرج إليهم قال له إبراهيم التيمي: يا ابن عبيد! ما أنت وما يبلغنا عنك؟! قال: أعوذ باللّه من غشّ كغشّ أبيك! ما الذي بلغك عني إلا باطل! فالتفت التيميّ إلى الخطمي وقال له:

شدّه كتافاً ومشّه حافيا! فقال الخطميّ: سبحان اللّه! ما كنت لأفعل هذا برجل لم يظهر لنا حرباً ولا عداوة، وإنّما أخذناه على الظنّ، فما كنت لأحفّيه ولا لأمشّيه! فأتي ببغلة دهماء ليركبها، فقال إبراهيم لعبد اللّه الخطمي: ألا تشدّ عليه القيود؟

ص: 151

فقال: كفى له بالسجن قيداً[[324]](#footnote-324).

هذا، وقد مرّ الخبر عن حميد بن مسلم الأزدي: أنّه سمع نفراً من أصحاب المختار يقولون: قد كملنا ألفي رجل‏[[325]](#footnote-325) وذلك قبل خروج التوّابين من الكوفة.

وعاد رفاعة بن شدّاد البجلي بفلول التوّابين إلى الكوفة وإذا بالمختار محبوس‏[[326]](#footnote-326).

ونقل أبو مخنف قولًا آخر عن أبي زهير العبسي: إنّ المختار لم يحبس قبل وصول فلول التوّابين مع ابن شدّاد البجلي من عين الوردة، فكتب إليه يقول: أمّا بعد، فمرحباً بالعصب الذين أعظم اللّه لهم الأجر حين انصرفوا، ورضي انصرافهم حين قفلوا. أما وربّ البنية التي بنى؛ ما خطا خاطٍ منكم خطوة، ولا ربا ربوة إلا كان ثواب اللّه له أعظم من مُلْك الدنيا. إنّ سليمان قد قضى ما عليه وتوفّاه اللّه، فجعل روحه مع أرواح الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين، ولم يكن بصاحبكم الذي به تنصرون!

إنّي أنا الأمير المأمور! والأمين المأمون! وأمير الجيش وقاتل الجبّارين، والمنتقم من أعداء الدين، والمقيد من الأوتار! فأعدّوا واستعدّوا، وأبشروا واستبشروا. أدعوكم إلى كتاب اللّه وسنّة نبيّه (ص)، وإلى الطلب بدماء «أهل البيت» والدفع عن الضعفاء، وجهاد المحلّين، والسلام.

قال العبسي: وتحدّث الناس بهذا من أمر المختار حتّى بلغ ذلك إلى أميري الكوفة فخرجا في الناس إلى دار المختار فأخذاه وحبساه‏[[327]](#footnote-327) وهو أولى ممّا مضى.

ويبدو أنّ المختار كان مقيّدا في حبسه بلا منع عن زيارته أحيانا، وممّن زاره هو حميد بن مسلم الأزدي بعد عودته مع فلول التوّابين، دخل إليه مع يحيى ابن‏

ص: 152

[[328]](#footnote-328)

أبي عيسى، قال: فرأيته مقيّدا، وسمعته يقول: أما وربّ البحار، والنخيل والأشجار، والمهامة والقفار، والملائكة الأبرار، والمصطفين الأخيار، لأقتلنّ كلّ جبّار بكلّ لدن خطّار ومهنّد بتّار، في جموع من الأنصار ... حتّى إذا أقمت عمود الدين ورأبت شعب صدع المسلمين وشفيت غليل صدور المؤمنين وأدركت ثار النبيّين، لم يَكْبُر عليّ زوال الدنيا، ولم أحفل بالموت إذا أتى!

قال الراوي يحيى: وكنّا كلّما زرناه في السجن يردّد علينا هذا القول‏[[329]](#footnote-329) فلم يكن ممنوعاً عن ذلك! ويكرّر الطبري خبر الكتاب فيقول: جاء بالكتاب سيحان بن عمرو الليثي العبدي وجمعَ له رفاعة بن شدّاد البجلي وأخاه عبد اللّه، وأحمر بن شميط الأحمسي وعبد اللّه بن كامل ويزيد بن أنس، وقرأه عليهم، فاتّفقوا أن يبعثوا إليه ابن كامل وقالوا له: قل له: قد قرأنا كتابك، ونحن حيث يسرّك، فإن شئت أن نأتيك حتّى نخرجك فعلنا!

فأتى عبد اللّه بن كامل إلى المختار في السجن، فأخبره بما ارسل إليه به.

فسرّ المختار باجتماع «الشيعة» له ولكنّه قال له: لا تريدوا هذا؛ فإنّي أخرج في أيّامي هذه‏[[330]](#footnote-330). فلم يكن يمنع عنه! بل روى الكلبي عن أبي مخنف: أنّ رفاعة بن شدّاد وعبد اللّه بن شدّاد وأحمر بن شميط الأحمسي ويزيد بن أنس الأسدي والسائب بن مالك الأشعري أخذوا يبايعون الناس للمختار وهو لا يزال في السجن، فلم يزل يكثر أصحابه ويقوى ويشتدّ أمره‏[[331]](#footnote-331).

ص: 153

وأطلق المختار بكفالة وتحليف‏

ولمرّة ثانية توصّل المختار إلى الخروج من حصار الأشرار بالتوسّل بصهره عبد اللّه بن عمر زوج أخته صفيّة الثقفيّة، فكتب إليه: أمّا بعد، فإنّي قد حُبِسْتُ مظلوماً، وظنّ بي الولاة ظنوناً كاذبة! فاكتب فيّ يرحمك اللّه إلى هذين الظالمين كتاباً لطيفاً، عسى اللّه أن يخلّصني من أيديهما بلطفك وبركتك ويمنك! والسلام عليك. وبعث به مع غلامه زربي.

فكتب عبد اللّه بن عمر إلى الأميرين الزبيريّين: أمّا بعد، فقد علمتما الذي بيني وبين المختار بن أبي عبيد من الصهر، والذي بيني وبينكما من الودّ؛ فأقسمت عليكما بحقّ ما بيني وبينكما لمّا خلّيتما سبيله، حين تنظران في كتابي هذا، والسلام عليكما ورحمة اللّه.

وعاد زربيّ غلام المختار إليه بكتاب صهره ابن عمر، فبعث به إلى الأميرين الزبيريّين، فلمّا أتاهما كتاب ابن عمر دعوا للمختار بكفلاء يضمنونه، فأتاهما ناس كثير من أصحاب المختار، فضمنه عشرة من أشرافهم معروفين وتُرِكَ سائرهم، فلمّا ضمنوه دَعوا به، فلمّا احضر حلّفاه باللّه الذي لا إله إلا هوعالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم، ألا يبغيهما غائلة ما كان لهما سلطان! ولا يخرج عليهما! فإن هو فعل ذلك فعليه ألف بدنة ينحرها لدى رتاج الكعبة،[[332]](#footnote-332) وأن يصبح مواليه كلّهم أحراراً إناثاً وذكوراً، فحلف لهما بذلك، ثمّ خرج من عندهما إلى داره.

وسمع يقول: أمّا حلفي لهم باللّه؛ فإنّه إذا حلفت على يمين ثمّ رأيت ما هو خير منها، فإنّه ينبغي لي أن أدع ما حلفت عليه وآتي الذي هو خير وأكفّر عن‏

ص: 154

يميني، وخروجي عليهم خير من كفّي عنهم، وأمّا عتق مماليكي؛ فواللّه لوددت أنّه قد استتبّ لي أمري ثمّ لم أملك مملوكاً أبداً، وأمّا هدي ألف بدنة؛ فهو أهون عليّ من بصقة! وما ثمن ألف بدنة فيهولني!

وأخذت «الشيعة» تختلف إليه وتجتمع عليه حتّى اتّفق رأيهم على الرضا به‏[[333]](#footnote-333)، وذلك قبل شهر رمضان من سنة (65 ه-).

فدعا ابن الزبير أخاه مصعباً وعبد اللّه بن المطيع العدوي والحارث بن عبد اللّه المخزومي، فبعث أخاه على المدينة، وابن المطيع العدوي على الكوفة، والحارث المخزومي على البصرة، فقدم ابن المطيع العدوي الكوفة يوم الخميس لخمس بقين من شهر رمضان سنة خمس وستين‏[[334]](#footnote-334).

أوّل خطبة لابن المطيع في الكوفة

مرّ في الخبر أنّ ابن مطيع العدوي وصل الكوفة أميراً يوم الخميس، ففي آخر جمعة من شهر رمضان خطبهم للجمعة فقال لهم: أمّا بعد؛ فإنّ أمير المؤمنين عبد اللّه بن الزبير بعثني على مصركم وثغوركم، وجباية فيئكم، وألا أحمل فضل فيئكم عنكم إلا برضا منكم، وبوصيّة عمر بن الخطاب .. وبسيرة عثمان بن عفّان التي سار بها في المسلمين ....

فأراد أن يقوم إليه يزيد بن أنس الأسدي فسبقه السائب بن مالك الأشعري فقال للعدوي:

أمّا أمر ابن الزبير (كذا بلا لقب لإمرة) إيّاك ألا تحمل فيئنا عنّا إلا برضانا، فإنّا نشهدك أنا لا نرضى أن تحمل فيئنا عنّا، وأن يقسّم إلا فينا .. وألا يسار فينا إلا بسيرة عليّ بن أبي طالب التي سار بها في بلادنا هذه حتّى هلك «رحمة اللّه عليه»!

ص: 155

ولا حاجة لنا في سيرة عثمان في أنفسنا ولا في فيئنا؛ فإنّها كانت أثَرَةً وهوى! ولا في سيرة عمر بن الخطّاب في فيئنا! وإن كانت أهون السيرتين ضرّاً علينا!

فقام يزيد بن أنس الأسدي وقال: صدق السائب بن مالك وبرّ! رأيُنا مثل رأيه وقولنا مثل قوله!

فقال ابن مطيع: نسير فيكم بكلّ سيرة أحببتموها وهويتموها! ثمّ نزل.

وكان ابن مطيع قد اختار لشرطته إياس بن مضارب العجلي، وأمره بالشدّة على المريب.

فجاء ابن إياس إلى ابن مطيع وقال له: إنّ السائب بن مالك من رؤوس أصحاب المختار، وإنّ عيوني قد أتوني وأخبروني أنّ أمر المختار قد استجمع له فكأنّه قد وثب بالكوفة، فلست آمنه، فابعث إليه فليأتك، فإذا جاءك فاحبسه في سجنك حتّى يستقيم أمر الناس‏[[335]](#footnote-335).

استحضار المختار:

فاستحضر ابن المطيع زائدة بن قدامة الثقفي وضمّ إليه الحسين بن عبد اللّه الهمداني ليستحضرا المختار إلى الأمير، فذهبا إليه فإذا على باب داره أصحابه وفي داره منهم جمع كثير، ودخلا إليه وقالا له: أجب الأمير، فأمر بإسراج فرسه ودعا بثيابه ليذهب معهما، فلمّا رأى ذلك زائدة قرأ قول اللّه تعالى: وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ...[[336]](#footnote-336) وكان المختار قد لبس ثيابه فألقاها وجلس وقال: إنّي لأجد قفقفة (رجفة) شديدة ما أراني إلا قد وعكت ألقوا عليّ القطيفة! وارجعا أنتما إلى ابن مطيع (كذا بدون لقب الأمير)

ص: 156

فأعلماه حالي التي أنا عليها. قالا: فأقبلنا إلى ابن مطيع فأخبرناه بشكواه وعلّته فصدّقنا، ولها عنه‏[[337]](#footnote-337).

حنفيّ يتحرّى إذن ابن الحنفيّة:

في منزل سعر بن أبي سعر الحنفي التميمي اجتمع جمع من أشرافهم منهم عظيم الشرف عبد الرحمان بن شريح الشبامي الهمداني، والأسود بن جراد الكندي وسعيد بن منقذ الثوري وقدامة بن مالك الجشمي، وتقدّم مقدّمهم الشبامي الهمداني فحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّ المختار يريد أن يخرج بنا، وقد بايعناه ولا ندري أرسله إلينا ابن الحنفية أم لا؟ فانهضوا بنا إلى ابن الحنفية لنخبره بما قدم به علينا وبما دعانا إليه، فإن رخّص لنا في اتّباعه اتّبعناه، وإن نهانا عنه اجتنبناه، فواللّه ما ينبغي أن يكون شي‏ء من أمر الدنيا آثر عندنا من سلامة ديننا!

قالوا له: أرشدك اللّه! فقد أصبت ووفّقت، اخرج بنا إذا شئت. فأجمع رأيهم أن يخرجوا في تلك الأيّام (أيام موسم الحج) وخرجوا حتّى قدموا على ابن الحنفية يقدمهم إمامهم وخطيبهم الشبامي الهمداني، فقالوا له: إنّ لنا إليك حاجة (وكان عنده ناس) فقال: أفسرّ هي أم علانية؟ قالوا: بل سرّ. فمكث قليلًا ثمّ قام فتنحى جانباً ودعاهم، فقاموا إليه.

فبدأ ابن شريح الشبامي فحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّكم «أهل بيت» خصّكم اللّه بالفضيلة وشرّفكم بالنبوّة، وعظّم حقّكم على هذه الأمّة، فلا يجهل حقّكم إلا مغبون الرأي مخسوس النصيب.

ص: 157

وقد اصبتم بحسين «رحمة اللّه عليه» عظمت مصيبة، اختصصتم بها بعد ما عمّ بها المسلمون!

وقد قدم علينا المختار بن أبي عبيد «يزعم لنا أنّه قد جاءنا من تلقائكم» وقد دعانا إلى كتاب اللّه وسنّة نبيّه (ص) والطلب بدماء «أهل البيت» والدفع عن الضعفاء، فبايعناه على ذلك، ثمّ إنّا رأينا أن نأتيك فنذكر لك ما دعانا إليه وندبنا له، فإن أمرتنا باتّباعه اتّبعناه، وإن نهيتنا عنه اجتنبناه.

فلما فرغ حمد اللّه وأثنى عليه وصلّى على النبيّ (ص) ثمّ قال: أمّا بعد، فأمّا ما ذكرتم ممّا خصّنا اللّه به من فضل؛ ذلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ‏ فللّه الحمد.

وأمّا ما ذكرتم من مصيبتنا بحسين؛ فهي ملحمة كتبت عليه وكرامة أهداها اللّه إليه، رفع بما كان منها درجات قوم عنده ووضع بها آخرين، وكان ذلك في الذكر الحكيم؛ وكان أمر اللّه قدراً مقدورا!

وأمّا ما ذكرتم من دعاء من دعاكم إلى الطلب بدمائنا؛ فواللّه لوددت أنّ اللّه انتصر لنا من عدوّنا بمن شاء من خلقه! أقول قولي هذا واستغفر اللّه لي ولكم.

فخرجوا من عنده وهم يقولون: قد قال: لوددت أنّ اللّه انتصر لنا من عدوّنا بمن شاء من خلقه! ولوكره لقال: لا تفعلوا. فقد أذن لنا. فلم يكن غير شهر وزيادة شي‏ء حتّى أقبلوا على رواحلهم وتوافقوا على أن يدخلوا على المختار رأسا فيبشّروه بأنّهم أمروا بنصرته‏[[338]](#footnote-338).

المختار يبشّر الأنصار:

دخل هؤلاء النفر على المختار، وكان قد عرفهم أنّهم رحلوا إلى الحجاز للتثبّت في أمره، فلمّا رآهم سألهم: ما وراءكم؟ فقالوا: قد أمرنا بنصرتك! (كذا)

ص: 158

فقال: اللّه أكبر! أنا أبو إسحاق! اجمعوا إليّ «الشيعة». فجمع له من كان قريبا منه، فلمّا اجتمعوا قال لهم المختار:

يا معشر «الشيعة»! إنّ نفراً منكم أحبّوا أن يعلموا مصداق ما جئت به، فرحلوا إلى «إمام الهدى» والنجيب المرتضى ابن خير من طشى ومشى‏[[339]](#footnote-339)، حاشا النبيّ المجتبى، فسألوه عمّا قدمت به عليكم، فنبّأهم أنّي: وزيره وظهيره! ورسوله وخليله وأمَرَكم باتّباعي وطاعتي (كذا) فيما دعوتكم إليه من قتال المحلّين، والطلب بدماء «أهل بيت نبيّكم» المصطفين.

فلمّا سكت قام عبد الرحمان بن شريح الشبامي الهمداني فحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال: أمّا بعد، «يا معشر الشيعة»! فإنّا قد كنّا أحببنا أن نستثبت لأنفسنا خاصّة ولجميع إخواننا عامّة، فقدمنا على «المهديّ» ابن عليّ (ع) فسألناه عن حربنا هذه وعمّا دعانا إليه المختار، فأمرنا بمظاهرته ومؤازرته وإجابته إلى ما دعانا إليه (هكذا بتخصيص العامّ من كلام ابن الحنفية) فأقبلنا طيّبة أنفسنا منشرحة صدورنا، قد أذهب اللّه منها الشكّ والغلّ والريب، واستقامت لنا بصيرتنا في قتال عدوّنا. فليبلّغ ذلك شاهدكم غائبكم واستعدّوا وتأهّبوا. ثمّ سكت وجلس وقام من كان معه منهم وصدّقه بنحوكلامه.

فاستجمعت له «الشيعة» وحدبت عليه‏[[340]](#footnote-340) بفضل فعل الشبامي الهمداني.

ص: 159

ودعت همْدان سيّدها إبراهيم:

كان ابن شريح من شبام همدان الذي شبّ لتأكيد أمر المختار بادّعاء تأييد ابن الحنفية له، ويغلب على ظنّي أنّ شبام همدان شاءت إلى جانبها النخع من همدان من خلال فتاها الشريف إبراهيم بن الأشتر النخعي، وإن كان الشعبي الهمداني ينسب اقتراح دعوته على المختار إلى عبد اللّه بن شدّاد وعبد اللّه بن كامل وأحمر بن شميط الأحمسي ويزيد بن أنس الأسدي أنّهم توافقوا فيما بينهم أن يقترحوا على المختار دعوة ابن الأشتر، فقالوا له: إنّ أشراف أهل الكوفة سيجتمعون على قتالك مع ابن مطيع العدوي، فإن جامعنا على أمرنا إبراهيم بن الأشتر رجونا القوة على عدوّنا بإذن اللّه، وألا يضرّنا خلاف من يخالفنا؛ فإنّه فتى بئيس (قويّ البأس) وابن رجل شريف بعيد الصيت، وله عشيرة ذات عزّ وعدد!.

فقال لهم المختار: فالقوه فادعوه، وأعلموه الذي أمرنا به (كذا) من الطلب بدم الحسين (ع) وأهل بيته.

قال الشعبي الهمداني: فخرجوا إليه وأنا فيهم وأبي شراحيل بن عبد، ومقدّمهم يزيد بن أنس الأسدي، فلمّا دخلوا عليه تقدّم الأسديّ فقال: إنّا قد أتيناك في أمر نعرضه عليك وندعوك إليه، فإن قبلته كان خيراً لك، وإن تركته فقد أدّينا إليك النصيحة، ونحبّ أن يبقى عندك مستورا، إنّما ندعوك إلى أمر قد اجتمع عليه رأي الملأ من «الشيعة» إلى كتاب اللّه وسنّة نبيّه (ص)، والطلب بدماء «أهل البيت» وقتال المحلّين والدفع عن الضعفاء! وسكت.

ثمّ تكلّم أحمر بن شميط الأحمسي فقال: إنّ أباك كان سيّد الناس، وفيك منه خلف إن رعيت حقّ اللّه، وقد دعوناك إلى أمر إن أجبتنا إليه عادت لك منزلة أبيك في الناس.

ص: 160

فقال لهم إبراهيم الأشتر: فإنّي أجيبكم إلى ما تدعوني إليه من الطلب بدم الحسين وأهل بيته على أن تولّوني الأمر!

فقالوا له: أنت أهل لذلك ولكن لا سبيل إلى ذلك فهذا المختار قد جاءنا من قبل «المهدي» (؟) وهو الرسول المأمور بالقتال. فسكت ولم يجبهم.

فانصرفوا من عنده إلى المختار فأخبروه بجوابه‏[[341]](#footnote-341).

أمر ابن الحنفيّة لابن الأشتر؟!

كان ابن الحنفية قد كتب قبل هذا إلى ابن الأشتر، باسمه واسم أبيه: محمّد بن عليّ (ع)، وكأن المختار كان قد عرف ذلك وعلم أنّه لو يواجه بكتاب منه إلى ابن الأشتر بدعوته ليكون مع المختار لأجاب، فكتب له كتاباً جاء فيه: بسم اللّه الرحمن الرحيم، من محمّد «المهدي» إلى إبراهيم بن مالك الأشتر، سلام عليك، فإنّي أحمد إليك اللّه الذي لا إله إلا هو. أمّا بعد؛ فإنّي قد بعثت إليكم بوزيري وأميني، ونجيبي الذي ارتضيته لنفسي، وقد أمرته بقتال عدوي والطلب بدماء أهل بيتي، فانهض معه بنفسك وعشيرتك ومن أطاعك؛ فإنّك إن نصرتني وأجبت دعوتي وساعدت وزيري، كانت لك بذلك أعنّة الخيل، وكلّ مصر ومنبر وثغر ظهرت عليه فما بين الكوفة إلى أقصى بلاد الشام، وعليّ الوفاء بذلك على عهد اللّه! فإن فعلت ذلك نلت به عند اللّه أفضل الكرامة! وكانت لك عندي بذلك فضيلة.

وإن أبيت هلكت! هلاكاً لا تستقيله أبدا! والسلام عليك!

وبعد ثلاثة أيّام (من الدعوة السابقة) دعا المختار بضعة عشر رجلًا من وجوه أصحابه ليلا وأخبرهم بأمره، وفيهم شراحيل بن عبد الشعبي وابنه عامر وإليه دفع‏

ص: 161

الكتاب، ولم يعلمهما بما يريد، وتقدّمهم يسير بهم ويقدّ بيوت الكوفة قدّاً حتّى وقف على باب إبراهيم بن الأشتر فاستأذن لهم عليه، فأذن لهم فدخلوا عليه.

فبدأ المختار كلامه فحمد اللّه وأثنى عليه وصلّى على محمّد ثمّ قال: أمّا بعد، فإنّ معنا كتاباً إليك من «المهدي» محمّد بن أمير المؤمنين «الوصيّ» وهوخير أهل الأرض اليوم! وابن خير أهل الأرض قبل اليوم بعد أنبياء اللّه ورسله، وهو يسألك أن تنصرنا وتؤازرنا، فإن فعلت اغتبطت، وإن لم تفعل فهذا الكتاب حجّة عليك، وسيغني اللّه محمّداً «المهدي» وأولياءه عنك. ثمّ قال لعامر الشعبي: ادفع إليه الكتاب، فدفعه إليه مختوما، فدعا بالمصباح وفضّ خاتمه وقرأه، فلمّا قضى إبراهيم قراءة الكتاب قال للمختار: لقد كتبتُ إلى ابن الحنفية قبل اليوم ولقد كتب إليّ، فما كان يكتب إلا باسمه واسم أبيه! فقال المختار: إنّ ذلك زمان وهذا زمان!

وكان المختار قد أخبر بذلك جماعة أصحابه بأمر الكتاب، وقال لهم إبراهيم: فمن يعلم أنّ هذا كتاب ابن الحنفية إليّ؟ فشهد كلّهم بذلك إلا الشعبي وأباه! فعند ذلك قام إبراهيم عن صدر فراشه وأخذ بيد المختار فأقامه وأجلسه عليه وقال له: ابسط يدك ابايعك! فبسط المختار يده فبايعه إبراهيم، ثمّ دعا لهم بشراب من عسل وفواكه فأكلوا وشربوا ثمّ نهضوا، فخرج ابن الأشتر مع المختار راكبا حتّى أبلغه رحله، ومعه من قومه عبد الرحمن بن عبد اللّه النخعي.

ولمّا كان الكتاب بيد عامر الشعبي وهو لم يشهد مع الشاهدين بصحّة نسبة الكتاب ولا حظ ذلك ابن الأشتر، فلمّا أراد إبراهيم الرجوع إلى رحله أخذ بيد الشعبي وقال له: انصرف معنا، ومضى به مع أبيه حتّى دخل رحله ثمّ قال له: يا شعبي! إنّي قد حفظت عليك أنّك لم تشهد ولا أبوك بالكتاب، أفترى هؤلاء شهدوا على حقّ؟!

وكان الشعبيّ يتّهم القوم في شهادتهم، ولكنّه كان يرى رأيهم ويحبّ تمام الأمر للمختار ويعجبه الخروج (والثورة) فلم يعلمه بما في نفسه وقال له: إنّهم قد

ص: 162

شهدوا بذلك وهم فرسان العرب ومشيخة المصر وسادة القرّاء! ولا أرى مثل هؤلاء يقولون إلا حقّا! فقال له ابن الأشتر: فاكتب لي بأسمائهم فإنّي لست أعرف كلّهم. ثمّ دعا بدواة وصحيفة فكتب له الشعبي: بسم اللّه الرحمن الرحيم، هذا ما شهد به السائب بن مالك الأشعري، ويزيد بن أنس الأسدي، وأحمر بن شميط الأحمسي، ومالك بن عمرو النهدي و ... شهدوا: أنّ محمّد بن عليّ كتب إلى إبراهيم بن الأشتر يأمره بمؤازرة المختار ومظاهرته على قتال المحلّين، والطلب بدماء «أهل البيت». وشهد بشهادة هؤلاء النفر: عبد الرحمن بن عبد اللّه النخعي وشراحيل بن عبد الشعبي الفقيه! وابنه عامر[[342]](#footnote-342)!

ثمّ دعا إبراهيم إخوانه وعشيرته ومن أطاعه إلى ما هو عليه، وأقبل يروح في كلّ عشية عند المساء إلى المختار فيمكث عنده حتّى تصوّب النجوم ثمّ ينصرف إلى أهله، حتّى اجتمع رأيهم على أن يخرجوا ليلة الخميس لأربع عشرة من ربيع الأوّل سنة ستّ وستّين‏[[343]](#footnote-343) أي بعد سنة من ليلة هلاك يزيد.

مقابلة قوّات الكوفة:

لعلّ اجتماع آراء أنصار المختار على مختارهم في خروجهم لليلة الخميس القابل، كان في أوائل الأسبوع، وكأن ابن المطيع قد أطاع ابن عمر فأطلق المختار، وكان قد جعل على شرطته في الكوفة إياس بن مضارب العجلي فاطّلع على الخبر وأتى إلى ابن المطيع وقال له: إنّ المختار خارج عليك إحدى ليلتين (كذا).

ففي يوم الاثنين جمع ابن المطيع رؤساء الأسباع، فعيّن عبد الرحمن بن سعيد العبدي لجبّانة السبيع وقال له: اكفني قومك لا اوتينّ من قبلك، وأحكم أمر

ص: 163

الجبّانة التي قِبَلك لا يحدثنّ بها حدث فأوليك العجز والوهن! وعَيَّنَ كعب بن أبي كعب الخثعمي لجبّانة بشر، وعيّن زحر بن قيس الكندي لجبّانة كندة، وعيّن شمر بن ذي الجوشن الكلابي الضّبابي لجبّانة سالم، وعيّن عبد الرحمن بن مخنف بن سليم الأزدي لجبّانة الصائديّين الهمدانيين، وعيّن يزيد بن الحارث بن رويم الشيباني لجبّانة مراد، وأوصى كلّ رجل منهم أن يكفيه قومه وأن يحكم الوجه الذي وجّهه فيه فلا يؤتى من قِبَله، وعيّن شبث بن ربعي اليربوعي التميمي إلى السبخة، وقال له: إذا سمعت صوت القوم فوجّه نحوهم. فخرج هؤلاء إلى أماكنهم يوم الاثنين فنزلوا منازلهم‏[[344]](#footnote-344).

قال حميد بن مسلم الأزدي: فلمّا كان عند غروب الشمس من يوم الاثنين قام إبراهيم بن الأشتر فأذّن ثمّ استقدم فصلّى بنا المغرب، فلمّا اشتدّ الظلام بعد المغرب خرج بنا يريد المختار[[345]](#footnote-345) وخرجت معه من منزله بعد المغرب ليلة الثلاثاء ونحن معه كتيبة نحو من مئة، علينا الدروع قد سترناها بالأقبية، ونحن متقلدوا السيوف في عواتقنا ليس معنا سلاح سواها. فلمّا مررنا بدار سعيد بن قيس وجزناها إلى دار اسامة قلنا لإبراهيم: مرّ بنا على دار خالد بن عرفطة ثمّ امض بنا إلى بجيلة نمرّ في دورهم حتّى نخرج إلى المختار.

وكان إبراهيم فتى حدثاً شجاعاً لا يكره أن يلقاهم فقال: واللّه لأمرّن على دار عمرو بن حريث إلى جانب القصر وسط السوق! ولأرعبنّ به عدوّنا ولأرينّهم هوانهم علينا! فأخذ بنا على دار هبّار ثمّ أخذ بنا ذات اليمين على دار عمرو بن حريث حتّى إذا جاوزها ألفينا إياس بن مضارب في الشرط عليهم أسلحتهم، فقال لنا: من أنتم وما أنتم؟! فقال له إبراهيم: أنا إبراهيم بن الأشتر. قال إياس:

ص: 164

وما هذا الجمع معك؟ وما تريد؟ وقد بلغني أنّك تمرّ كلّ عشية هاهنا! فما أنا بتاركك حتّى آتي بك الأمير فيرى فيك رأيه! قال إبراهيم: لا أبا لغيرك خلّ سبيلنا! قال: كلّا واللّه لا أفعل.

وكان مع إياس رجل من همدان يقال له أبو قطن ومعه رمح طويل، فقال له ابن الأشتر: يا أبا قطن ادن منّي، فدنا أبو قطن من إبراهيم، فتناول إبراهيم رمحه من يده وقال: إنّ رمحك هذا لطويل! ثمّ حمل به على إياس فطعنه في ثغرة نحره فصرعه، وأمر رجلا من قومه أن ينزل إليه فيحتزّ رأسه، فنزل إليه واحتزّ رأسه وحمله معه، وتفرّق أصحابه راجعين إلى القصر! واخبروا بذلك ابن مطيع، وكان ابن مطيع قد بعث راشد بن إياس العجلي على جند في الكناسة، فبعث إليه الليلة وجعله مكان أبيه على الشرطة! وبعث مكانه إلى الكناسة سويد بن عبد الرحمن المنقري التميمي‏[[346]](#footnote-346).

يالثارات الحسين (ع):

وأقبل إبراهيم بن الأشتر تلك الليلة[[347]](#footnote-347) حتّى دخل عليه (على المختار) وقال له: إنّا اتّعدنا للخروج الليلة القابلة ليلة الخميس، وقد حدث أمر لا بدّ من الخروج الليلة! فقد عرض لي إياس بن مضارب في الطريق ليحبسني فقتلته، وهذا رأسه مع أصحابي على الباب.

فقال المختار: بشّرك اللّه بخير! فهذا أوّل الفتح إن شاء اللّه، فهو طير (تفؤّل) صالح‏[[348]](#footnote-348)!

ص: 165

وكان قد بايع المختار حتّى ذلك النهار اثنا عشر ألفا[[349]](#footnote-349)! وكان قد تواعد معهم لليلة الخميس، وأن يشعل لذلك النيران في القصب في سطح داره وينادي مناديه بشعار الأنصار في بدر: يا منصور أمت، ويالثارات الحسين (ع).

فالتفت هنا المختار إلى سعيد بن منقذ وقال له: يا سعيد! قم فأشعل النيران في هراديّ القصب، وارفعها للمسلمين، وأنت يا عبد اللّه بن شدّاد! قم فناد:

يا منصور أمت، وأنت يا سفيان بن ليلى ويا قدامة بن مالك فنادوا: يالثارات الحسين (ع) ودعا بدرعه وسلاحه فلبسها.

ويظهر أنّ ابن الأشتر كان يبايع للمختار، فقال له: لو أنّي خرجت بمن معي من أصحابي حتّى آتي قومي فيأتيني من بايعني منهم، ثمّ سرت بهم في نواحي الكوفة داعياً بشعارنا، فيخرج إلينا من أراد الخروج معنا، ويأتيك منهم من يقدر، فإذا فرغت من هذا الأمر عجّلت إليك في الخيل والرجال؟

قال المختار: فاعجل في ذلك، وإيّاك أن تسير فتقاتل أحداً إلا أن يبدأك أحد بقتال‏[[350]](#footnote-350).

إبراهيم يجمع من بايع ويقاتل بهم:

فخرج إبراهيم من عنده في كتيبته حتّى أتى قومه النخع من همدان فاجتمع إليه جلّ من كان بايعه، فسار بهم في سكك الكوفة طويلًا من الليل حتّى انتهى إلى مسجد السّكون من كندة، وكان عليها زحر بن قيس الجعفي (الكندي) فقال إبراهيم: من صاحب الخيل في جبّانة كندة؟ فقيل له: زحر بن قيس، فقال:

ص: 166

انصرفوا بنا عنهم. وعجلت إليه خيل منهم بلا أمير ولا قائد، فقال إبراهيم: اللهمّ إنّك تعلم أنّا غضبنا «لأهل بيت» نبيّك، وثرنا لهم، فانصرنا عليهم، وتمّم لنا دعوتنا! فلمّا انتهى إليهم هو وأصحابه شدّ عليهم بهم فكشفوهم حتّى دخلوا جبّانة كندة، وركب بعضهم بعضاً، كلمّا لقيهم دخل طائفة منهم في زقاق، فقال لأصحابه:

انصرفوا عنهم، فانصرفوا يسيرون.

حتّى انتهوا إلى جبّانة اثير، فوقف فيها ونادى أصحابه بشعارهم، وكان فيها على الخيل سويد بن عبد الرحمن المنقري التميمي، فبلغه مكانهم فسار بجمعه إليهم، فلم يشعر ابن الأشتر إلا وهم معه في الجبّانة، فلمّا رأى ابن الأشتر ذلك قال لأصحابه: يا شرطة اللّه! انزلوا، فإنّكم أولى بالنصر من اللّه من هؤلاء الفساق الذين خاضوا في دماء «أهل بيت» رسول اللّه (ص). ثمّ شدّ إبراهيم عليهم بأصحابه فضربوهم حتّى أخرجوهم إلى الصحراء منهزمين يركب بعضهم بعضا! ولم يزل يهزمهم حتّى أدخلهم كناسة الكوفة. ثمّ قال لأصحابه: سيروا بنا إلى صاحبنا حتّى نكون على علم من أمره فإنّي لا آمن أن يؤتى، وحتّى يؤمن اللّه وحشته بنا ويزداد هو وأصحابه بصيرة وقوّة إلى قواهم وبصيرتهم، ويعلم هو أيضاً ما كان من عنائنا.

ثمّ أقبل إبراهيم حتّى مرّ بمسجد الأشعث الكندي ثمّ مضى حتّى وصل إلى دار المختار[[351]](#footnote-351).

أوائل قتال المختار:

استجاب لشعار المختار من أنصاره أحمر بن شميط الأحمسي ويزيد بن أنس الأسدي في جموع ممّن بايعه. وجاءه من قِبَل السبخة شبث بن ربعي اليربوعي التميمي، فعبّأ المختار له يزيد بن أنس الأسدي، وجاءه حجّار بن أبجر

ص: 167

العجلي فجعل المختار في وجهه أحمر بن شميط الأحمسي، فبينما هم كذلك وإذا بإبراهيم جاءهم من قبل دار الإمارة، فبلغ أصحاب الحجّار أنّ إبراهيم جاءهم من ورائهم فتفرّقوا في الأزقّة والسكك، وجاء قيس بن طهفة النهدي من أصحاب المختار في مئة رجل منهم فحمل على أصحاب شبث بن ربعي حتّى خلّوا لهم الطريق فاجتمعوا بأصحاب المختار، فخرج المختار بهم حتّى نزل في ظهر دير هند ممّا يلي بستان زائدة في السبخة.

وكان في جبّانة بشر من قِبَل ابن مطيع: كعب بن أبي كعب الخثعمي، وكان في جبّانة بشر الشاكريون من همدان، وقد اجتمعوا في دورهم يخافون أن يظهروا في الميدان لقرب كعب الخثعمي منهم، فخرج أبو عثمان النهدي من أصحاب المختار فنادى في بني شاكر فأخرجهم إلى المختار، فلمّا بلغ الخثعمي أنّ شاكرا تخرج أقبل يسير حتّى نزل بالميدان وأخذ عليهم بأفواه سككهم وطرقهم، فنادى النهدي في أصحابه: يالثارات الحسين! يا منصور أمت، يا أيّها الحيّ المهتدون! ألا إنّ أمير آل محمّد ووزيرهم قد خرج فنزل دير هند، وبعثني إليكم مبشّراً وداعياً، فاخرجوا إليه يرحمكم اللّه! فخرجوا من دورهم يتداعون: يالثارات الحسين! ثمّ ضاربوا الخثعمي حتّى خلّى لهم الطريق فأقبلوا إلى المختار حتّى نزلوا في عسكره.

وكان مائتان من خثعم قد بايعوا المختار فخرج بهم الليلة عبد اللّه بن قراد الخثعمي، فعرض لهم كعب الخثعمي، ولمّا عرفهم أنّهم قومه خلّى لهم الطريق حتّى لحقوا بالمختار فنزلوا في عسكره.

وكان على جبّانة السبيع من قبل ابن مطيع: عبد الرحمن بن سعيد، واجتمع من جمع المختار من شبام إلى جبّانة مراد فبعث إليهم عبد الرحمن: أن إذا كنتم تريدون اللحاق بالمختار فلا تمرّوا بي في جبّانة السّبيع! فلحقوا بالمختار من طريق آخر.

ص: 168

حتّى توافى إليه من اثني عشر ألفا كانوا بايعوه: ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل! اجتمعوا له قبل الفجر فعبّأهم حتّى أصبح‏[[352]](#footnote-352).

استعداد الوالي ومقابلة المختار:

نادى المنادون: ألا برئت الذمّة من رجل لم يحضر المسجد الليلة (السحر قبل الفجر) فاجتمع الناس في المسجد. وكان ابن مطيع قد جعل على الشرطة بعد إياس ابنه راشد العجلي فبعثه إلى المختار في أربعة آلاف من الشرط، وبعث شبث بن ربعي في ثلاثة آلاف، قبل أن يصلّي بهم!

ولمّا أصبح المختار استقدم في غلس الفجر فصلّى بهم فقرأ في الأولى بعد الفاتحة «النَّازِعاتِ» وفي الثانية «عَبَسَ وَ تَوَلَّى» وكان فصيحاً في قراءته.

فلمّا انصرفوا سمعوا أصواتاً مرتفعة فيما بين بني سليم وسكّة البريد، فقال المختار لمن حوله: من يعلم لنا ما هؤلاء؟ وكان فيهم من الموالي أبو سعيد الصيقل فقال: أنا. فقال المختار: فألق سلاحك وادخل فيهم كأنّك من النظّار ثمّ ائتني بخبرهم.

قال الصيقل: فدنوت منهم فإذا مؤذّنهم يقيم للصلاة ثمّ تقدّم شبث فصلّى فقرأ بعد الحمد «إِذا زُلْزِلَتِ» وفي الثانية بعد الحمد «وَ الْعادِياتِ» فقال له بعضهم:

لو قرأت سورتين أطول! فقال: ترون الديلم‏[[353]](#footnote-353) قد نزلت بساحتكم وتقولون: لو قرأت سورة البقرة وآل عمران‏[[354]](#footnote-354)! وكانوا ثلاثة آلاف.

قال الصيقل: فعدت إلى المختار، فلمّا أتيته أتاه معي سعر الحنفي من قبل جبّانة مراد وفيها راشد بن إياس فأخبر المختار بخبر راشد وأخبرته بخبر شبث،

ص: 169

فسرّح للراشد إبراهيم بن الأشتر في ستمائة فارس وستمائة راجل، وبعث نعيم بن هبيرة الشيباني- أخا مصقلة- في ثلاثمائة فارس وستمائة راجل لمقابلة شبث التميمي، وقال لهما: لا ترجعا إليّ حتّى تظهرا أو تقتلا!

وقدّم المختار أمامه يزيد بن أنس الأسدي في تسعمائة إلى موضع مسجد شبث‏[[355]](#footnote-355).

نكسة الشيباني:

قال الصيقل: توجّه نعيم بن هبيرة الشيباني ومعه سعر الحنفي التميمي وأنا معهم إلى شبث بن ربعي التميمي، فجعل الشيباني الحنفي التميمي على الخيل ومشى هو بالرجّالة، فقاتل الأشعث ومن معه قتالًا شديدا حتّى أشرقت الشمس وانبسطت فهزمهم، ثمّ نادى شبث بن ربعي أصحابه: يا حماة السوء! بئس فرسان الحقائق أنتم! أمن «عبيدكم» تهربون! فآبت إليه جماعة منهم فشدّ بهم على نعيم الشيباني وصبر هذا له فقتل، وانهزم أصحابه وتفرّقوا، واسر منهم سعر الحنفي وخليد مولى ابن محدوج والراوي الصيقل.

قال الصيقل: وكان خليد مولى ابن محدوج وسيماً جسيماً وكان قد اعتق فكان يبيع إداماً من السمك يسمّى الصحنا، فلمّا احضر عند شبث قال له: يا ابن (كذا)! كان جزاء من أعتقك أن تعدو بسيفك عليه تضرب رقابه! اضربوا عنقه! فقتل.

ص: 170

قال الصيقل: ورأى الرّبعي التميمي سعراً الحنفي التميمي في الأسرى فعرفه فناداه: أنت أخو بني حنيفة (من تميم)؟! قال: نعم، قال: ويحك قبّح اللّه رأيك! ما أردت من اتّباعك هؤلاء «السبائية»[[356]](#footnote-356) دعوا هذا. فتركوه. قال الصيقل:

فقلت في نفسي: قتل المولى وترك العربي، فلو عرفني أنّي مولى قتلني.

فلما عرضت عليه سألني: من أنت؟ أعربيّ أنت أو مولى؟! قلت: لا بل عربيّ من آل زياد بن خصفة! فقال: بخ بخ ذكرت الشريف المعروف! الحق بأهلك! قال الصيقل: وكانت لي بصيرة في قتال القوم فقلت في نفسي: واللّه لآتينّ أصحابي فلأواسينّهم بنفسي، فقبّح اللّه العيش بعدهم! فأتيتهم وقد سبقني إليهم سعر الحنفي وخبر مقتل نعيم بن هبيرة الشيباني وهزيمة أصحابه، وأقبل الأشعث بخيله إلى المختار، فدخل من ذلك على أصحاب المختار أمر خطير! وجاء شبث حتّى أحاط بالمختار وأصحابه، وجاء يزيد بن الحارث بن رويم في ألفين من قبل ابن مطيع حتّى وقفوا في أفواه سكك جرير. فولّى المختار على خيله يزيد بن أنس، وهو التزم الرجّالة[[357]](#footnote-357).

حملة شبث ومقابلته:

روى أبو مخنف الأزدي عن الحارث بن كعب الأزدي الوالبي وكان مع يزيد بن أنس في خيل المختار، قال: قال لنا يزيد بن أنس: يا معشر «الشيعة» قد كنتم تقتّلون، وتقطّع أيديكم وأرجلكم، وتسمل أعينكم، وترفعون على جذوع النخل في حبّ «أهل بيت» نبيّكم، وأنتم مقيمون في بيوتكم وطاعة عدوّكم! فما

ص: 171

ظنّكم إن ظهر عليكم اليوم هؤلاء القوم؟! إذاً- واللّه- لا يدعون منكم عيناً تطرف، وليقتلنّكم صبرا! ولترون منهم في أولادكم وأزواجكم وأموالكم ما الموت خير منه! واللّه لا ينجيكم منهم إلا الصبر والصدق، والطعن الصائب في أعينهم، والضرب المتدارك على هامهم! فتيسّروا للشدّة وتهيّؤوا للحملة، فإذا حرّكت رايتي مرّتين فاحملوا. قال الحارث: فتهيّأنا وانتظرنا أمره.

وفي هذه الأثناء ...

حملات إبراهيم النخعي:

توجّه إبراهيم بن الأشتر إلى راشد بن إياس وكان في أربعة آلاف من مراد، فقال النخعيّ لأصحابه: لا يهولّنكم كثرة هؤلاء، فواللّه لَرُبّ رجل خير من عشرة، كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَ اللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ‏[[358]](#footnote-358) ثمّ سرّح إليهم خزيمة بن نصر العبسي في خيله، والتزم هو بالرجّالة ورايته بيد مزاحم بن الطفيل، وقال له: امض برايتك وازدلف بها قدماً قدماً! وبدأ القتال واشتدّ، وبصر خزيمة العبسي براشد بن إياس فحمل عليه فطعنه فقتله ونادى: قتلت راشداً وربّ الكعبة. فانهزم أصحابه، وتراجع عنهم خزيمة العبسي وإبراهيم النخعي.

وبعث إبراهيم النعمان بن أبي الجعد إلى المختار بشيراً بقتل راشد والفتح للمختار.

وسرّح ابن مطيع حسّان بن فائد العبسي في ألفين ليعترض طريق النخعيّ ليردّه عن أصحاب ابن مطيع في السبخة، وبلغ خبره النخعيّ فقدّم خزيمة العبسي في خيله، والتزم هو بالرجّالة، فلم يلبث جمع حسّان العبسي دون أن انهزموا بلا

ص: 172

قتال؛ وخلفهم أميرهم حسّان العبسي وعثر به فرسه فوقع وآمنه خزيمة العبسي وطلب فرسه وحمله عليه وقال له: الحق بأهلك!

وكان على أفواه سكك الكوفة نحو السبخة يزيد بن الحارث بن رويم، فلمّا أقبل النخعيّ نحوهم أقبل يزيد ليصدّهم عن الحملة على شبث وأصحابه، فقال النخعيّ لخزيمة العبسي: أغن عنّا يزيد بن الحارث، وصمد هو في بقيّة أصحابه نحو شبث، فلمّا أقبل نحوهم أخذ شبث وأصحابه ينكصون رويداً رويدا، وحمل إبراهيم عليهم، وحمل عليهم يزيد بن أنس، فانكشفوا حتّى انتهوا إلى أبيات الكوفة. ولكنّ يزيد بن الحارث كان قد وضع رماة فوق البيوت على أفواه السكك، فلمّا أقبل المختار بجمعه إليهم رماهم أولئك الرماة بالنبال فصدّوهم عن دخول الكوفة من هناك.

فمضى المختار من السبخة إلى الجبانة إلى بيوت منفردة شاذّة من أحمس وبارق ومزينة فنزل عند بيوتهم ومسجدهم، فاستقبلوهم بالماء. وقال المختار:

نعم مكان المقاتل هنا[[359]](#footnote-359)!

خطبة ابن مطيع وحملة النخعي:

وقال عمرو بن الحجّاج الزبيدي لابن مطيع: أيّها الرجل! لا يسقط في خلدك، ولا تلق بيدك (إلى التهلكة)، اخرج إلى الناس فاندبهم إلى عدوّك فاغزهم! فإنّ الناس كثير عددهم وكلّهم معك إلا هذه الطاغية التي خرجت على الناس! واللّه مخزيها ومهلكها! وأنا أوّل منتدب، فاندب معي طائفة ومع غيري طائفة!

ص: 173

فخرج ابن مطيع وقام خطيباً فحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال: أيّها الناس! إنّ من أعجب العجب عجزكم عن عصبة منكم قليل عددها! خبيث دينها! ضالّة مضلّة! اخرجوا إليهم فامنعوا منهم حريمكم! وقاتلوا عن مصركم وامنعوا منهم فيئكم! وإلا فواللّه ليشاركنّكم في فيئكم من لا حقّ له فيه! (الموالي) فواللّه لقد بلغني أنّ فيهم خمسمائة من محرَّريكم وأميرهم منهم! وإنّما ذهاب عزّكم وسلطانكم وتغيّر دينكم حين يكثرون هؤلاء (الموالي)! ثمّ سكت ونزل‏[[360]](#footnote-360).

وبعث عمرو بن الحجّاج في ألفي رجل، فخرج على أصحاب المختار من سكّة الثوريّين الهمدانيّين، فدعا المختار يزيد بن أنس فأمره أن يصمد لعمرو بن الحجّاج، فمضى نحوه، وبعث المختار إلى إبراهيم أن لا تقم على ابن الحجّاج واطوه، فطواه إبراهيم وانبعث المختار خلفه، فمضوا جميعاً حتّى انتهى المختار إلى مصلّى خالد بن عبد اللّه فوقف، وأمر إبراهيم أن يمضي على وجهه حتّى يدخل الكوفة من الكناسة، فمضى نحوها.

وأقبل شمر بن ذي الجوشن في ألفين: فسرّح المختار إليه سعيد بن منقذ الهمداني، وبعث إلى إبراهيم أن امض على وجهك واطوه. واقف سعيد الهمداني شمراً، وطواه إبراهيم حتّى انتهى إلى سكّة شبث، وإذا نوفل بن مساحق بن مخرمة القرشي في ألفين أو خمسة آلاف.

فلمّا أقبل ابن الأشتر بأصحابه قال لهم: انزلوا. فنزلوا، فقال لهم: قرّبوا خيولكم بعضها من بعض ثمّ امشوا إليهم بسيوفكم .. فإنّ هؤلاء لو قد وجدوا حرّ السيوف انصفقوا عن ابن مطيع انصفاق المعزى عن الذئب. وكان ابن الأشتر قد تمنطق بحاشية برد أحمر، ورفع أسفل قبائه فادخله في منطقته، وكان قد ستر درعه تحت قبائه، ثمّ قال لأصحابه: شدّوا عليهم فدى لكم عمّي وخالي! ثمّ‏

ص: 174

هجم عليهم فما لبّثهم حتّى هزمهم يركب بعضهم بعضا، وانتهى ابن الأشتر إلى ابن مساحق فأخذ بلجام فرسه ورفع سيفه إليه فأنشده اللّه فخلّى سبيله! ثمّ ساروا في آثارهم حتّى دخلوا السوق والمسجد وحصروا القصر على ابن مطيع‏[[361]](#footnote-361).

حصر ابن مطيع في القصر:

لجأ الأمراء إلى الأمير الزبيري ابن مطيع العدوي القرشي في دار الإمارة، إلا عمروبن حريث المخزومي حيث خرج خارج الكوفة، وجاء المختار حتّى نزل جانب السوق، وولّى ابن الأشتر لحصار القصر من بابه إلى المسجد، وولّى يزيد بن أنس سكّة دار الرّوميين وراء دار الإمارة إلى بني حذيفة، وولّى أحمر بن شميط الأحمسي ما يلي دار أبي موسى الأشعري ودار عمارة بن عقبة بن أبي معيط الأموي. ومكث ابن مطيع في القصر يرزق أصحابه الدقيق‏[[362]](#footnote-362).

وفي العشيّ أشرف من القصر عبد اللّه الليثي على أصحاب المختار يشتمهم، فرماه أبو نمران مالك النهدي بسهم قطع جلدة حلقه‏[[363]](#footnote-363).

ولما اشتدّ الحصار قام شبث إلى ابن مطيع وقال له: واللّه ما عندك ومن معك غناء عنك ولا عن أنفسهم، فانظر لهم ولنفسك! فقال ابن مطيع: أشيروا عليّ برأيكم. فقال شبث: خذ من هذا الرجل أمانا لنا ولنفسك! فكره ذلك ابن مطيع وقال: هذا والأمور مستقيمة لأمير المؤمنين بالحجاز والبصرة! فقال شبث:

فتخرج من حيث لا يشعر بك حتّى تنزل منزلًا بالكوفة عند من تثق به حتّى تخرج فتلحق بصاحبك! وكان عنده أسماء بن خارجة الفزاري وعبد الرحمان بن سعيد بن قيس الهمداني وعبد الرحمان بن مخنف الأزدي وآخرون فقال لهم:

ص: 175

فما ترون في هذا الرأي؟ قالوا: ما نرى إلا ما أشار به عليك. فقال: فرويداً حتّى نمسي.

فلما أمسى اليوم الثالث من الحصار دعاهم فذكر اللّه بما هو أهله وصلّى على نبيّه ثمّ قال:

أمّا بعد، فقد علمت الذين صنعوا هذا من هم! وإنّما هم أراذلكم وسفهاؤكم وأخسّاؤكم وطغامكم ما عدا الرجل أو الرجلين! وإن أشرافكم وأهل الفضل منكم لم يزالوا سامعين مطيعين مناصحين، وأنا مبلّغ ذلك صاحبي! ومعلّمه طاعتكم وجهادكم وعدوّكم حتّى كان اللّه الغالب على أمره.

وقد كان من رأيكم وما أشرتم به عليّ ما قد علمتم، وقد رأيت أن أخرج الساعة ... وجزاكم اللّه خيرا، وليأخذ كلّ امرئ منكم حيث أحبّ.

ثمّ خلّى القصر وخرج من نحو درب الروميّين إلى دار أبي موسى الأشعري!

وبعده فتح أصحابه باب القصر وطلبوا الأمان فآمنهم على أن يبايعوه فخرجوا وبايعوه، فدخل المختار القصر ليلًا فبات فيه‏[[364]](#footnote-364).

خطبة المختار وبيعته وعطاؤه:

وأصبح الناس في المسجد، وخرج المختار إليهم فصعد المنبر، فقال:

الحمد للّه الذي وعد وليّه النصر وعدوّه الخسر، وجعله فيه إلى آخر الدهر، وعداً مفعولًا وقضاءً مقضيّاً وقد خاب من افترى!

أيّها الناس! إنّه رفعت لنا راية ومدّت لنا غاية، فقيل لنا في الراية: أن ارفعوها ولا تضعوها، وفي الغاية: أن اجروا إليها ولا تعدوها. فسمعنا دعوة الداعي ومقالة

ص: 176

الواعي، فكم من ناع وناعية لقتلى في الواعية! وبُعْداً لمن طغى، وأدبر وعصى، وكذّب وتولّى.

ألا فادخلوا أيّها الناس بايعوا بيعة الهدى، فلا- والذي جعل السماء سقفاً مكفوفاً والأرض فجاجاً سبلًا- ما بايعتم بعد بيعة عليّ بن أبي طالب وآل عليّ بيعة أهدى منها! ثمّ سكت ونزل.

ودخل دار الإمارة ودخل عليه الناس وأشرافهم، فبسط لهم يده فبايعوه وهو يقول لهم:

تبايعوني على كتاب اللّه وسنّة نبيّه والطلب بدماء «أهل البيت» وجهاد المحلّين، والدفع عن «الضعفاء» وقتال من قاتلنا وسلم من سالمنا والوفاء ببيعتنا لا نقيلكم ولا نستقيلكم! فإن قال الرجل: نعم، بايعه. وجعل المختار يمنّي الناس ويستجرّ مودّتهم ويحسن سيرته جهده!

وأصاب المختار في بيت مال الكوفة تسعة آلاف ألف (ملايين) درهماً، وكان أصحابه الذين قاتل بهم وحصر ابن مطيع في القصر ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل، فأعطى كلّ رجل خمسمائة درهم، وبعد ما أحاط بالقصر أتاه من أصحابه (الذين بايعوه من قبل) ستّة آلاف! فأقاموا معه تلك الأيّام الثلاثة حتّى دخل القصر، فأعطى كلّ واحد منهم مائتين مائتين، واستقبل الناس بخير ومنّاهم العدل وحسن السيرة.

واستعمل على شرطته عبد اللّه بن كامل الشاكري (الهمداني) وعلى حرسه أبا عمرة كيسان مولى بني عرينة. وجاءه ابن كامل فأخبره أن ابن مطيع في دار أبي موسى الأشعري، فلمّا أمسى المختار بعث إلى ابن مطيع بمائة ألف درهم! وقال له: إنّي قد شعرت بمكانك، وقد ظننت أنّه لم يمنعك من الخروج إلا أنّه ليس في يديك ما يقويك على الخروج فتجهّز بهذه واخرج‏[[365]](#footnote-365).

ص: 177

وولّى على توابع الكوفة:

كان عبد اللّه بن الزبير ولّى على الموصل محمّد بن الأشعث بن قيس الكندي في إمارة إبراهيم بن محمّد بن طلحة التيمي، وعبد اللّه بن يزيد الأنصاري على الكوفة، وابن الأشعث مستقلًا عنهما، ولكنّه في إمارة ابن مطيع أمره ابن الزبير بالسمع والطاعة لابن مطيع ومكاتبته، غير أنّ ابن مطيع لا يقدر على عزله. فبعث المختار على الموصل عبد الرحمان بن سعيد بن قيس الهمداني، فلمّا قدم هذا من قبل المختار أميراً على الموصل تنحّى له ابن الأشعث مع أشراف قومه إلى تكريت، ثمّ شخص إلى الكوفة فبايع المختار ودخل فيما دخل فيه أهل بلده!

وكان سعد بن حذيفة بن اليمان بالمدائن فبعثه على حلوان وأرسل إليه معه ألفي فارس، وجعل له في كلّ شهر ألف درهم، وأمره بإقامة الطرق وقتال الأكراد المتمرّدين في الطرق، ثمّ كتب إلى عمّاله على الجبال يأمرهم أن يحملوا أموال كورهم إلى سعد بن حذيفة.

وبعث حبيب بن منقذ الثوري الهمداني على بهقباد الأسفل، ومحمّد بن كعب بن قرظة على بهقباد الأوسط، وقدامة النصري مولى ثقيف على بهقباد الأعلى، وبعث محمّد بن عمير بن عطارد على آذربايجان، وعقد لعمّ إبراهيم: عبد اللّه بن الحارث النخعي أخي الأشتر على أرمينية[[366]](#footnote-366).

ومدحه الشعراء:

كان عبد اللّه بن همّام الجشمي من هوازن بالكوفة عثمانيّ الرأي والهوى وشاعراً، وسمع يوماً أبا عمرة كيسان مولى عرينة يعيّر عثمان بن عفّان وينال منه،

ص: 178

فرفع عليه السوط وقنّعه بها، فلمّا أصبح اليوم رئيس حرس المختار على رأسه اعتزل ابن همّام، بل اختفى حتّى طلب الأمان له عبد اللّه بن شدّاد الجشمي، فآمنه المختار، فجاء إليه بقصيدة مديح قال فيها:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| وفي ليلة المختار ما يذهل الفتى‏ |  | ويلهيه عن رود الشباب شموع‏ |
| دعا «يالثارات الحسين» فأقبلت‏ |  | كتائب من «همدان» بعد هزيع‏ |
| ومن «مذحج» جاءالرئيس «ابن مالك ( |  | يقود جموعا عبّيت بجموع‏ |
| ومن «أسد» وافى «يزيد» لنصره‏ |  | بكلّ فتى حامى الذمار منيع‏ |
| وجاء «نعيم» خير «شيبان» كلّها |  | بأمر لدى الهيجاء أحدّ جميع‏ |
| وما «ابن شميط» إذ يحرّض قومه‏ |  | هناك بمخذول ولا بمضيّع‏ |
| ولا «قيس نهد» لا ولا «ابن هوازن ( |  | وكلّ أخو إخباتة وخشوع‏ |
| وسار «أبو النعمان» للّه سعيه‏ |  | إلى «ابن إياس» مصحراً لوقوع‏ |
| بخيل عليها يوم هيجا دروعها |  | وأخرى حسوراً غير ذات دروع‏ |
| فكرّ الخيول كرّة ثقفتهم‏ |  | وشدّ بأولاها على ابن مطيع‏ |
| فحوصر في «دار الإمارة» بائياً |  | بذلّ وإرغام له وخضوع‏ |
| فمنّ وزير «ابن الوصيّ» عليهم‏ |  | وكان لهم في الناس خير شفيع‏ |
| وآب الهدى حقّاً إلى مستقرّه‏ |  | بخير إياب آبه، ورجوع‏ |
| إلى) الهاشميّ المهتدي المهتدى به ( |  | فنحن له من سامع ومطيع‏ |
|  |  |  |

فقال المختار لأنصاره: قد أثنى عليكم وأحسن الثناء فأحسنوا له الجزاء.

فقال يزيد بن أنس الأسدي: إن كان أراد بقوله ثواب اللّه فما عند اللّه خير له، وإن كان إنّما اعترى أموالنا بهذا القول فواللّه ما في أموالنا ما يسعه! قد كانت بقيت من عطائي بقيّة قوّيت بها إخواني. وقال أحمر بن شميط الأحمسي لابن‏

ص: 179

همّام: يا ابن همّام! إن كنت أردت بهذا القول وجه اللّه فاطلب ثوابك من اللّه، وإن كنت اعتريت به رضا الناس وطلب أموالهم فاكدم الجندل! فواللّه ما مَن قال قولًا لغير اللّه وفي غير ذات اللّه بأهل أن ينحلّ ولا يوصل!

وكان قيس بن طهفة النهدي صهراً للأشعث بن قيس حاضراً فقال لابن همّام: فإنّ لك عندي فرساً ومطرفاً، وكذلك قال له عبد اللّه بن شدّاد الجشمي الذي استأمن له.

وقال المختار لهم: إذا قيل لكم خير فاقبلوه، وإن قدرتم على مكافأة فافعلوه وإن لم تقدروا فتنصّلوا، واتّقوا لسان الشاعر فإن شرّه حاضر وقوله فاجر! وسعيه بائر وهو بكم غداً غادر! وقد آمنّاه وأجرناه.

ثمّ قام إبراهيم النخعي فانصرف بالشاعر إلى منزله وأعطاه فرساً ومطرفاً وألف درهم‏[[367]](#footnote-367)!

وكان المختار أوّل أمره يجلس للناس ضحىً وعصراً يقضي بينهم، ثمّ استقضى شريح القاضي، فأخذ أنصار المختار يذمّونه ويسندون إليه: أنّه عثماني الرأي والهوى، فقد عزله عليّ (ع) عن القضاء، وهو ممّن شهد على حجر بن عدي، ولم يبلّغ عن هانئ بن عروة ما أرسله به، فلمّا سمع شريح بذلك تمارض‏[[368]](#footnote-368).

وروى المعتزلي: أنّ المختار قال لشريح: ماذا قال لك أمير المؤمنين يوم كذا؟ وكان قد قضى قضاء نقمها عليه (ع)، فقال له: واللّه لأنفينّك إلى بانقيا (من قرى اليهود على فرات الكوفة) شهرين تقضي بين اليهود! ثمّ قُتِل (ع) قبل أن يفعل ذلك. فقال شريح للمختار: إنّه قال لي كذا. فقال له المختار:

ص: 180

لا واللّه لا تقعد حتّى تخرج إلى بانقيا تقضي بين اليهود! فسيّره إليها، فقضى بين اليهود شهرين‏[[369]](#footnote-369).

شرحبيل الهمداني إلى المدينة:

مرّ أنّ المختار لمّا اطّلع على ملجأ ابن مطيع العدوي الأمير الزبيريّ على الكوفة في دار أبي موسى الأشعري، جهّزه بمائة آلاف درهم ليخرج منها، وبذلك لم يهدم الجسر بينه وبين ابن الزبير نفسه.

واخبر المختار أنّ عبد الملك بن مروان قد بعث عبد الملك بن الحارث الأموي إلى وادي القرى من الحجاز، فرأى أن يظاهر لابن الزبير بمناصرته فكتب إليه: أمّا بعد، فقد بلغني أنّ عبد الملك بن مروان قد بعث إليك جيشا، فإن أحببت أن أمدّك بمدد أمددتك.

فكتب ابن الزبير إليه: أمّا بعد، فإن كنت على طاعتي .. فإذا أتتني بيعتك صدّقت مقالك وكففت جنودي عن بلادك! وعجّل عليّ بتسريح الجيش الذي أنت باعثه، فلست أكره أن تبعث الجيش إلى بلادي، ومرهم فليسيروا إلى من بوادي القرى من جند ابن مروان فليقاتلوهم، والسلام.

فدعا المختار شرحبيل بن ورس الهمداني وجعل معه سبع مائة رجل من العرب وألفين وثلاثمائة تمام الثلاثة آلاف من الموالي! وقال له: سر إلى المدينة، فإذا دخلتها فاكتب إليّ بذلك حتّى يأتيك أمري!

فروى أبو مخنف عن إسماعيل بن نعيم وكان معهم قال: كان المختار يريد أن يبعث أميراً على المدينة من قبله ويأمر ابن ورس أن يمضي إلى مكّة فيحاصر ابن الزبير ويقاتله!

ص: 181

وخاف ابن الزبير من ذلك فبعث إلى المدينة عباس بن سهل بن سعد الساعدي في ألفين وأمره أن يستنفر من قدر عليه من الأعراب في طريقه (حتّى يتكامل ثلاثة آلاف) وقال له: إن رأيت القوم على طاعتي فاقبل منهم، وإلا فكايدهم حتّى تهلكهم!

وأقبل ابن ورس الهمداني حتّى انتهى إلى ماء الرقيم (؟) وقد هلكوا من قلّة الزاد معهم. وكأن ابن ورس أخبر بقدوم جند ابن الزبير إليهم فعبّأ أصحابه فجعل لخيله ميمنة وعليها سلمان بن حمير الثوري الهمداني، وميسرة فحسب، وعليها عياش بن جعدة الجدلي. وأقبل ابن سهل حتّى لقى ابن ورس بالرقيم وقد تعبّأ، وجاء عبّاس في أصحابه وهم منقطعون إعياء على غير تعبئة، فوجد ابن ورس على الماء وقد عبّأ أصحابه تعبئة القتال، فدنا فسلّم عليه ثمّ عرض عليه أن يخلو معه فخلا به وقال له: رحمك اللّه ألست في طاعة ابن الزبير؟ قال ابن ورس: بلى! قال عبّاس: فإن كنت في طاعة ابن الزبير فقد أمرني أن أسير بك وبأصحابك إلى عدوّنا الذي بوادي القرى، فإن ابن الزبير حدّثني أنّه إنّما أشخصكم صاحبكم إليهم.

فقال ابن ورس: ما امرت بطاعتك، وما أنا بمتّبعك دون أن أدخل المدينة ثمّ أكتب إلى صاحبي فيأمرني بأمره! فقال عبّاس: فرأيك فاعمل بما بدا لك، فأمّا أنا فإنّي سائر إلى وادي القرى!

وحيث رأى قلّة زادهم بعث عبّاس إلى كلّ عشرة منهم شاة، وبعث إلى ابن ورس بنوق وجزر فأهداها له وبعث بدقيق وغنم مسلّخة، فذبحوا واشتغلوا بها واختلطوا على الماء وتركوا تعبئتهم واستأمنوا.

ولمّا رأى عبّاس ما هم فيه من الانشغال، جمع من رجاله ألفاً من ذوي البأس والنجدة ثمّ أقبل بهم إلى فسطاط ابن ورس! فلمّا رآهم ابن ورس مقبلين إليه أخذ ينادي في أصحابه: يا شرطة اللّه! قاتلوا المحلّين أولياء الشيطان الرجيم وقد غدروا وفجروا! فلم يتوافَ إليه منهم حتّى مائة رجل! بل بقي في سبعين من أهل‏

ص: 182

الحفاظ من أصحابه فقتلوا، وانصرف نحو من ثلاثمائة رجل مع سلمان بن حمير الهمداني وعياش بن جعدة الجدلي، ثمّ رفع العبّاس راية أمان لأصحاب ابن ورس، فأتوها إلا أولئك الأربعمائة تقريباً، فأمر بقتلهم جميعاً!

فقتلوا إلا نحواً من مائتي رجل كره بعض من دفعوا إليهم لقتلهم فخلوا سبيلهم فرجعوا فماتوا في الطريق جوعاً وعطشاً!

ورجع من رجع منهم إلى المختار فأخبروه خبرهم فقام خطيباً فقال: ألا إنّ الفجّار الأشرار قتلوا الأبرار الأخيار، وقد كان أمراً مأتيّاً وقضاءً مقضيّاً.

ثمّ لم يقطع الطمع وأراد القود فكتب إلى ابن الحنفية كتاباً قال فيه: بسم اللّه الرحمن الرحيم، أمّا بعد، فإنّي كنت بعثت إليك جندا! ليذلّوا لك الأعداء! وليحوزوا لك البلاد! فساروا إليك حتّى إذا أظلّوا على طيبة لقيهم جند الملحد! فخدعوهم باللّه وغرّوهم بعهد اللّه، فلمّا اطمأنّوا إليهم ووثقوا بذلك منهم وثبوا عليهم فقتلوهم، فإن رأيت أن أبعث إلى أهل المدينة من قبلي جيشاً كثيفاً وتبعث إليهم من قبلك رسلًا ليعلم أهل المدينة أنّي في طاعتك وإنّما بعثت الجند إليهم عن أمرك! فافعل، فإنّك ستجد عظمهم أعرف بحقّكم وأرأف بكم «أهل البيت» منهم بآل الزبير الظلمة الملحدين، والسلام عليك. ثمّ دعا صالح بن مسعود الخثعمي فبعث الكتاب معه.

فكتب ابن الحنفية إليه: أمّا بعد، فإنّ كتابك لمّا بلغني قرأته وفهمت تعظيمك لحقّي وما تنوي من سروري. وإنّ أحبّ الأمور كلّها إليّ ما اطيعَ اللّه فيه، فأطع اللّه ما استطعت فيما أعلنت وأسررت. واعلم أنّي لو أردت لوجدت الناس إليّ سراعاً والأعوان لي كثيرا، ولكنّي أعتزلهم وأصبر حتّى يحكم اللّه لي وهو خير الحاكمين. وناوله لصالح بن مسعود الخثعمي رسول المختار وقال له: قل له فليتّق اللّه وليكفف عن الدماء!

ص: 183

فلمّا قدم صالح الخثعمي بكتاب العبد الصالح إلى المختار أظهر للناس أنّه قد أمره بأمر يجمع البرّ واليسر ويضرح الكفر والغدر[[370]](#footnote-370). وحيث لم يحصل منه على مختاره انتهز الفرصة التالية لذلك.

فضيّق ابن الزبير على ابن الحنفية:

اعتزل ابن الحنفية تمرّد المدينة على يزيد وبني أميّة، ولجأ إلى جوار بيت اللّه الحرام هو وأهله وبقايا بني هاشم، وطمع ابن الزبير في بيعتهم له فكرهوا البيعة لمن لم تجتمع عليه الأمّة كما قالوا.

ولعلّ رسل ابن الزبير وعيونه أخبروه بأخبار المختار عن ابن الحنفية ورسله وكتبه واحتساب جيش المختار إلى تلك الديار على ابن الحنفية، وعدم مقاطعته وتبرّيه من المختار جهاراً، بل مراجعة سبعة عشر رجلًا من وجوه أهل الكوفة إلى ابن الحنفية دون ابن الزبير؛ لذلك حبس ابن الحنفية ومن معه من أهل بيته واولئك السبعة عشر رجلًا من وجوه أهل الكوفة، في حظيرة زمزم، وتوعّدهم بالقتل والإحراق! وأعطى اللّه عهداً إن لم يبايعوا أن ينفّذ فيهم ما توّعدهم به وضرب لهم أجلًا لذلك، وجعل عليهم حرّاساً يحرسونهم.

فأشار بعض من كان مع ابن الحنفية عليه: أن يبعث إلى المختار ومن بالكوفة رسولًا يعلمهم حاله ومن معه وما توعّدهم به ابن الزبير. ونام الحرّاس على باب زمزم، فكتب ابن الحنفية كتاباً إلى المختار وأهل الكوفة يعلمهم حاله وحال من معه وما توعّدهم به ابن الزبير من القتل والحرق بالنار! ويسألهم ألا يخذلوه- كما خذلوا الحسين وأهل بيته (عليهم السلام)- واختار لذلك ثلاثة أشخاص من الكوفيّين معه فأرسلهم بالكتاب في نومة الحرّاس.

ص: 184

وأفلت هؤلاء حتّى قدموا على المختار فدفعوا إليه الكتاب، وحيث أضمر الكتاب السابق ولم يبده لأصحابه أظهر هذا وقرأه عليهم مجتمعين وقال:

هذا كتاب «مهديّكم وصريح أهل بيت نبيّكم» وقد تركوا محضوراً عليهم كما يحظر على الغنم! ينتظرون القتل والتحريق بالنار في آناء الليل وتارات النهار! ولست أبا إسحاق إن لم أنصرهم نصراً مؤزّراً، وإن لم أسرّب إليهم الخيل في إثر الخيل كالسيل يتلوه السيل، حتّى يحلّ بابن الكاهليّة الويل! وإذن فقد ناصبه العداء علناً وجهاراً.

ثمّ كتب إلى ابن الحنفية بتوجيه الجنود إليه، وأرسله مع الطفيل بن عامر ومحمّد بن قيس.

ثمّ وجّه أبا عبد اللّه الجدلي في سبعين راكباً من أهل القوّة، ثمّ ألحقه عمير بن طارق في أربعين راكباً، ثمّ يونس بن عمران في أربعين راكبا، ثمّ وجّه ظبيان ابن عمارة التميمي ومعه أربعمائة! ثمّ أبا المعتمر في مائة، ثمّ هاني بن قيس في مائة. فمضى الجدلي حتّى نزل ذات عرق، ثمّ لحقه عمير بن طارق في أربعين، ويونس بن عمران في أربعين فتمّوا مائة وخمسين، فسار بهم حتّى دخلوا المسجد الحرام وهم يحملون «الكافر كوبات»[[371]](#footnote-371) وينادون: «يالثارات الحسين» حتّى انتهوا إلى زمزم.

هذا، وقد بقي من أجَلهم يومان وقد أعدّوا عليهم الحطب ليحرقوهم! فطردوا الحرس وكسروا أعواد زمزم ليخرجوهم، فقال ابن الزبير: أتحسبون أنّي مخلّ سبيلهم دون أن يبايع ويبايعوا! فأجابه الجدلي: إي وربّ الركن والمقام وربّ الحلّ والحرام لتخلينّ سبيله أو لنجالدنّك بأسيافنا جِلادا يرتاب منه‏

ص: 185

المبطلون! فقال ابن الزبير: واللّه ما هؤلاء إلا أكلة رأس! واللّه لو أذنت لأصحابي ما مضت ساعة حتّى تقطف رؤوسهم! فقال قيس بن مالك: أما واللّه إنّي لأرجو إن رمت ذلك أن يوصل إليك قبل أن ترى فينا ما تحبّ!

ثمّ قدم أبو المعتمر في مائة، وهانئ بن قيس في مائة، وظبيان بن عمارة في مائتين ومعه أموال إلى ابن الحنفيّة، فدخلوا المسجد وكبّروا ونادوا: «يالثارات الحسين»، فلمّا رآهم ابن الزبير خافهم.

فأخرجوا ابن الحنفيّة ومن معه إلى «شِعْب عليّ» وهم يسبّون ابن الزبير ويستأذنون ابن الحنفيّة لحربه وهو يأبى عليهم، حتّى اجتمع مع ابن الحنفيّة في الشعب أربعة آلاف رجل، فقسّم ذلك المال فيهم‏[[372]](#footnote-372).

ابن الزبير في كلام اليعقوبي:

واختصر اليعقوبي الخبر فقال: وجّه إليهم المختار عبد اللّه الجدلي في أربعة آلاف راكب، فقدم مكّة وكسر حجرة زمزم وقال لابن الحنفية: دعني وابن الزبير! فقال: لا أستحلّ من قطع رحمه ما استحلّ منّي! وذكر عبد اللّه بن العبّاس مع أربعة وعشرين رجلًا من بني هاشم في حجرة زمزم.

وقال: وتحامل ابن الزبير على بني هاشم تحاملًا شديداً ونصب لهم العداوة والبغضاء حتّى بلغ ذلك منه أن ترك في خطبته الصلاة على محمّد (وليس آل محمّد) فقيل له: لم تركت الصلاة على النبيّ؟! فقال: إنّ له اهيل سوء يشرئبّون لذكره ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به.

بل بلغ ابن الحنفية أنّ ابن الزبير قام خطيبا فنال من عليّ (ع)، فدخل المسجد الحرام ومعه من يحمل رحلًا وضعه له فقام عليه فحمد اللّه وأثنى عليه‏

ص: 186

وصلّى على محمّد ثمّ قال: شاهت الوجوه! يا معشر قريش! أيذكر عليّ بين أظهركم (بسوء) وأنتم تسمعون فلا تغضبون؟! ألا إن عليّاً كان سهماً صائباً من مرامي اللّه لأعدائه، يضرب وجوههم ويهوّعهم مآكلهم ويأخذ بحناجرهم! ألا وإنّا على نهج مِن حالِه وليس علينا في مقادير الأمور حيلة وَ سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ‏.

فبلغ قوله ابن الزبير فقال: هذا عذر بني الفواطم فما بال ابن «أمة» بني حنيفة! وبلغ ذلك محمّدا فقال: يا معشر قريش! وما يميّزني من بني الفواطم؟! أليست فاطمة ابنة رسول اللّه حليلة أبي وأمّ إخوتي؟! أوليست فاطمة بنت أسد بن هاشم جدّتي أمّ أبي؟! أليست فاطمة بنت عمرو بن عائذ جدّة أبي وأمّ جدتي؟! أما واللّه لولا خديجة بنت خويلد بن أسد لما تركت عظماً في «أسد» إلا هشمته! فإنّي «بتلك التي فيها العيوب بصير»[[373]](#footnote-373).

ابن الزبير في كلام المسعودي:

والمسعودي نقل عن كتاب النوفلي بسنده عن الديّال بن حرملة قال: كنت في من استنفرهم أبو عبداللّه الجدلي من أهل الكوفة من قِبَل المختار، فنفرنا معه في أربعة آلاف فارس، وقبل دخول مكّة قال لنا أبو عبد اللّه: هذه خيل عظيمة وأخاف أن يبلغ ابن الزبير الخبر فيعجّل على بني هاشم فيأتي عليهم! فانتدبوا معي. قال: فانتدبنا معه جريدة خيل في ثمانمائة فارس، فما شعر ابن الزبير إلا والرايات تخفق على رأسه! فجئنا إلى بني هاشم فإذا هم في الشِّعْب (كذا) فاستخرجناهم، فقال لنا ابن الحنفية: لا تقاتلوا إلا من قاتلكم.

ثمّ نقل عن النوفلي بسنده عن حمّاد بن سلمة قال: كان عروة بن الزبير إذا جرى ذكر بني هاشم وحصرهم في الشعب (كذا) وجمعه لهم الحطب‏

ص: 187

لتحريقهم، يعذر أخاه ويقول: إنّه إنّما أراد إرهابهم ليدخلوا في طاعته كما فعل عمر بن الخطاب ببني هاشم لما تأخّروا عن بيعة أبي بكر، فإنّه أحضر الحطب ليحرّق‏عليهم الدار[[374]](#footnote-374)! ثمّ علّق المسعودي عليه قال: وهذا خبر لا يحتمل ذكره هنا، وقد أتينا على ذكره في كتابنا في مناقب «أهل البيت وأخبارهم» المترجم بكتاب «حدائق الأذهان».

قال: وخطب ابن الزبير فقال: قد بايعني الناس ولم يتخلّف عن بيعتي إلا هذا الغلام (كذا!) محمّد بن الحنفيّة، والموعد بيني وبينه أن تغرب الشمس ثمّ اضرم عليه داره نارا! فدخل ابن عبّاس على ابن الحنفيّة وقال له: يابن عم! إنّي لا آمنه عليك فبايعه! فقال: سيمنعه عنّي حجاب قويّ! فوافاهم أبوعبد اللّه الجدلي في خيله وقد كادت الشمس أن تغيب‏[[375]](#footnote-375) ممّا يدلّ على بيعة ابن عبّاس له! وأنّه لم يكن في الحصار خلافا لليعقوبي العبّاسي كما مرّ! يزعم إباءة البيعة لابن الزبير!

ثمّ نقل عن النميري البصري: امتناع ابن الزبير عن الصلاة على النبيّ (ص) وقال: لا يمنعني أن اصلّي عليه إلا أن تشمخ رجال بآنافها! وحدّد المدّة فقال:

خطب أربعين يوماً (أو أربعين جمعة) لا يصلّي على النبيّ.

وفيه عنه عن سعيد بن جبير أنّ ابن الزبير قال لابن عبّاس: إنّي لأكتم بغضكم «أهل هذا البيت» منذ أربعين سنة!

وفيه عن كتاب النوفلي قال: خطب ابن الزبير فنال من عليّ! فبلغ ذلك ابنه محمّد بن الحنفية فجاء ووُضِع له كرسي فعلاه وقال: يا معشر قريش! شاهت‏

ص: 188

الوجوه! أينتقص عليّ وأنتم حضور! إنّ علياً كان سهماً صائباً من مرامي اللّه على أعدائه، يقتلهم لكفرهم ويهوّعهم مآكلهم، فثقل عليهم فرموه بقرفة الأباطيل ...

فقال ابن الزبير: عذرت بني الفواطم يتكلّمون فما بال «ابن الحنفية»! فقال له محمّد: يا ابن أمّ رومان! وما لي لا أتكلّم؟! أليست فاطمة ...

وفيه عنه أيضاً بسنده قال: خطب ابن الزبير فقال: ما بال أقوام يفتون في «المتعة» وينتقصون حواري الرسول وأمّ المؤمنين عائشة! ما بالهم أعمى اللّه قلوبهم كما أعمى أبصارهم يعَرّض باابن عباس وكان قد فقد بصره ويقوده غلامه، فقال له: يا غلام! اصمدني فصمده فلمّا قاربه تمثّل:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قد أنصف القارة من راماها |  | إنّا إذا ما فئة نلقاها |
| نردّ أولاها على أخراها |  |  |

أمّا قولك في «المتعة» (يعني متعة الحجّ) فسل امّك تخبرك؛ فإن أوّل متعة سطح مجمرها لمجمر سطع بين امّك وأبيك.

وأمّا قولك: «أمّ المؤمنين» فبنا سمّيت امّ المؤمنين وبنا ضرب عليها الحجاب!

وأمّا قولك: حواريّ رسول اللّه، فقد لقيتُ أباك في الزحف وأنا مع إمام هدى، فإن يكن على ما أقول فقد كفر بقتالنا! وإن يكن على ما تقول فقد كفر بهربه عنّا!

فانقطع ابن الزبير، ثمّ دخل على امّه أسماء بنت أبي بكر فسألها فقالت:

صدق!

وفيه عنه أيضاً بسنده عنها قالت: لمّا قدمنا في حجّة الوداع مع رسول اللّه (ص) أمر من لم يكن معه هدي أن يحلّ، فأحللت ولبست ثيابي وتطيّبت وجلست إلى جنب الزبير، فقال: قومي عنّي أخاف أن أثب عليك! فهذا الذي أراد ابن عبّاس‏[[376]](#footnote-376).

ص: 189

وهذا لا ينافي ما مرّ من استظهار أنّ ابن عبّاس كان قد بايع ابن الزبير كرها أو إكراها، كما لا ينافي ذلك أن يضيق ابن الزبير به ذرعاً من مجادلاته هذه بالحق فيحمله ذلك على إخراجه عن مكّة إلى الطائف إخراجاً قبيحاً كما في اليعقوبي حيث قال:

وكتب إليه ابن الحنفية: أمّا بعد، فقد بلغني أنّ عبد اللّه بن الزبير سيّرك إلى الطائف. فرفع اللّه بك أجرا واحتطّ عنك وزرا.

يابن عمّ! إنّما يبتلى الصالحون، وتعدّ الكرامة للأخيار، ولو لم نؤجر إلا فيما نحبّ وتحبّ لقلّ الأجر، فاصبر فإن اللّه قد وعد الصابرين خيراً، والسلام‏[[377]](#footnote-377).

واعتمد المسعودي هنا على خبر عمر بن شبّة النميري البصري بسنده عن سعيد ابن جبير قال: وجرى بينهم (بينهما) خطب طويل فخرج ابن عبّاس من مكّة! خوفا على نفسه! فنزل الطائف حتّى توفّي هناك‏[[378]](#footnote-378).

واليعقوبي وإن أعقب خبر إخراج ابن عبّاس لخبر إخراج ابن الحنفية إلى ناحية رضوى، لكنّه لمّا أعقب ذلك بخبر رسالة ابن الحنفية إلى ابن عبّاس كأنّه سلّم بتأخّر إخراج ابن الحنفيّة، وهوالصحيح؛ لما سيأتي من إثارته للمختار على أخذ الثار من قتلة الحسين (ع) وهو بمكّة.

ص: 190

وقعة الموَصل الأولى‏

كان مروان، أو ابنه عبد الملك، قد جهّز ابن زياد بستين ألف مقاتل، وجعل له ما غلب عليه في طريقه إلى العراق، وأمره إذا ظفر بالكوفة أن ينهبها ثلاثة أيّام، كما فعل قبلُ يزيد بالمدينة!

وكانت قبائل قيس عيلان مع الضحّاك بن قيس الفهري، ولمّا قاتل مروان وقتله مروان وهزم قيساً معه، بقيت قيس مخالفة لمروان وعلى ابنه عبد الملك من بعده، فلمّا فرغ ابن زياد من أمر التوّابين بعين الوردة عاد مشتغلًا بقبائل قيس عن العراق سنة تامّة! ثمّ وجّه خيله إلى الموصل.

وكان على الموصل من قِبَل المختار عبد الرحمن بن سعيد قيس الهمداني، فلمّا وجّه ابن زياد خيله إليه انحاز إلى تكريت وكتب إلى المختار: أمّا بعد، أيّها الأمير! فإنّي أخبرك أنّ عبيد اللّه بن زياد قد دخل أرض الموصل، وقد وجّه قِبَلي خيله ورجاله، وأنّي انحزت إلى تكريت حتّى يأتيني رأيك وأمرك، والسلام عليك.

فأجابه المختار: أمّا بعد، فقد بلغني كتابك وقد أصبت بانحيازك إلى تكريت، فلا تبرحنّ مكانك حتّى يأتيك أمري إن شاء اللّه، والسلام عليك.

ثمّ دعا يزيد بن أنس الأسدي فقال له: اخرج إلى الموصل حتّى تنزل بأدانيها. فقال له يزيد:

سرّح معي ثلاثة آلاف فارس أنتخبهم، وخلّني والثغر الذي أتوجّه إليه، فإن احتجت إلى الرجال فسأكتب إليك. فقال المختار: فاخرج فانتخب من أحببت على اسم اللّه. فخرج وانتخب ثلاثة آلاف فارس، فجعل على ربع المدينة النعمان بن عوف الأزدي، وعلى ربع تميم وهمدان عاصم بن قيس الهمداني، وعلى مذحج وأسد ورقاء بن عازب الأسدي، وعلى ربع ربيعة وكندة سعرا الحنفي التميمي.

ص: 191

ثمّ خرج من الكوفة وخرج المختار والناس يشايعونه إلى دير أبي موسى ثمّ قال له: إذا لقيت عدوّك فلا تناظرهم وإن أمكنتك الفرصة فلا تؤخّرها، وليكن في كلّ يوم خبرك عندي، وإن احتجت إلى مدد فاكتب إليّ، مع أنّي ممدّك ولو لم تستمدّ فإنّه أشدّ لعضدك وأعزّ لجندك وأرعب لعدوّك. فقال يزيد: لا تمدّني إلا بدعائك فكفى به مددا! وقال للناس: ايم اللّه لئن لقيتهم ففاتني النصر فإنّه لا تفتني الشهادة إن شاء اللّه، فاسألوا اللّه لي الشهادة!

وكتب المختار إلى عبد الرحمن بن سعيد: أمّا بعد، فخلّ بين البلاد وبين يزيد، والسلام عليك.

فخرج يزيد بالناس حتّى بات في سورا، ثمّ غدا بهم حتّى بات بالمدائن فشكا إليه بعض من معه شدّة سيره، فأقام بالمدائن يوماً وليلة أخرى (ثالثة) ثمّ خرج بهم إلى أرض جوخى ثمّ إلى الراذانات ثمّ إلى أرض الموصل فنزل إلى قرية بنات تلى، فبلغ خبره ابن زياد وأخبرته عيونه أنّ معه ثلاثة آلاف، فقال ابن زياد: فأنا أبعث إلى كلّ ألف ألفين، ثمّ دعا ربيعة بن المخارق الغنوي فبعثه في ثلاثة آلاف أوّلًا، ثمّ مكث يوماً ثمّ بعث خلفه عبد اللّه بن حملة الخثعمي في ثلاثة آلاف، وسبقه ربيعة إلى قرية بنات تلى.

وأصبح يزيد بن أنس الأسدي مريضاً، فجعل ورقاء بن عازب الأسدي على الخيل، وعبد اللّه بن ضمرة العذري على ميمنته، وسعراً الحنفي على ميسرته، ثمّ أمرهم أن يحملوه على حمار ويمسكوه من جنبيه، فجعل يقف على الأرباع ويقول لهم: يا شرطة ازلّه! اصبروا تؤجروا، وصابروا عدوّكم تظفروا، فَقاتِلُوا أَوْلِياءَ الشَّيْطانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطانِ كانَ ضَعِيفاً[[379]](#footnote-379) فإن هلكت فأميركم ورقاء بن‏

ص: 192

عازب الأسدي، وإن هلك فأميركم عبد اللّه بن ضمرة، فإن هلك فأميركم سعر الحنفي. ثمّ أمرهم أن يضعوا له سريراً فيضعوه عليه بين الرجال، ثمّ قال لهم:

قدّموني في الرجال وابرزوا لهم بالعراء ثمّ إن شئتم فقاتلوا عن أميركم أو إن شئتم ففرّوا، فهزمهم، وحمل ورقاء بن عازب الأسدي بخيله فهزمهم وبقي قائدهم ابن المخارق وقد فارقه أصحابه وهو نازل يناديهم، وحمل عليه عبد اللّه بن ورقاء الأسدي وعبد اللّه بن ضمرة العذري فقتلاه، فلم يرتفع الضحى حتّى هزموهم وحووا معسكرهم‏[[380]](#footnote-380).

وكان من مخاريق ابن المخارق هذا لقومه أن قال لهم: يا أهل الشام! إنّكم إنّما تقاتلون «العبيد الأُبّاق» وقوماً قد خرجوا من الإسلام وتركوه! «لا ينطقون العربيّة» وليست لهم بقيّة[[381]](#footnote-381)!

وعادوا في عيد الأضحى:

مرّ الخبر أنّ ابن زياد زوّد ابن المخارق بثلاثة آلاف، وأعقبه بعده بيوم بثلاثة آلاف آخرين مع عبد اللّه بن حملة الخثعمي فكان بعده بمسيرة ساعة، فروى أبو مخنف عن أبي كبشة عمرو القيني الشامي أنّه كان مع ابن المخارق، فلمّا انهزموا على مسيرة ساعة من قرية بنات تلى قال: التقينا بعسكر ابن حملة الخثعمي، فردّنا معه حتّى نزل في بنات تلى مواجهاً لعسكر يزيد بن أنس الأسدي الكوفي، فبتنا ليلة عيد الأضحى متحارسين حتّى أصبحنا فصلّينا الصبح، ثمّ تعبّأنا، فجعل على ميمنته الزبير بن خزيمة الخثعمي وعلى ميسرته ابن اقيصر القحافي الخثعمي‏

ص: 193

والتزم هو بالخيل والرجال، واقتتلنا قتالًا شديدا فتطاردت الخيلان في أوّل النهار ثمّ انصرفوا لصلاة الزوال، ثمّ خرجوا فهزم الكوفيّون الشاميّين هزيمة قبيحة وقتلوا منهم قتلًا ذريعاً. ونزل ابن حملة الخثعمي ينادي أصحابه، فحمل عليه رجل من خثعم الكوفة فقتله، وحووا معسكرهم وما فيه، وأسروا منهم ثلاثمائة أسير، أتوا بهم إلى يزيد الأسدي وهو في مقدّمات السكرات، فأخذ يؤمي بقتلهم فقتلوهم كلّهم، ثمّ ما أمسى حتّى مات، فصلّى عليه ورقاء الأسدي ودفنه.

ثمّ إنّ ورقاء الأسدي دعا رؤوس الأرباع وفرسان أصحابه فقال لهم: يا هؤلاء! إنّما أنا رجل منكم ولست بأفضلكم رأيا، فأشيروا عليّ؛ فإنّ ابن زياد قد جاءكم في جند أهل الشام الأعظم! إنّه قد بلغني أنّه قد أقبل إلينا في ثمانين ألفاً من أهل الشام، وبجلّتهم وفرسانهم وأشرافهم، ولا أرى لنا ولكم بهم طاقة على هذه الحال، وقد مات أميرنا يزيد بن أنس وتفرّقت عنا طائفة منّا! فلو انصرفنا اليوم من تلقاء أنفسنا قبل أن نلقاهم وقبل أن نبلغهم، فيعلموا أنّا إنّما ردّنا عنهم هلاك صاحبنا فلا يزالوا لنا هائبين ... وإنّا إن لقيناهم اليوم كنّا مخاطرين، فإن هزمنا اليوم لم تكن تنفعنا هزيمتنا إيّاهم قبل اليوم! فقالوا: نٍعْمَ ما رأيت، انصرف رحمك اللّه، فقرّر الانصراف بهم، وانصرفوا.

وترامت الأخبار بانصرافهم إلى إسحاق بن مسعود عامل المختار على المدائن وجوخى، وكان له عين من أنباط السواد فأرسله بخبرهم إلى المختار، فدعا المختار إبراهيم بن الأشتر وعقد له على سبعة آلاف رجل وقال له: سر حتّى تلقى جيش ابن أنس الأسدي فارددهم معك حتّى تلقى عدوّك فتناجزهم القتال‏[[382]](#footnote-382) فأخذ إبراهيم يتجهّز لذلك، في أواخر سنة ستّ وستين.

ص: 194

وتلاقى المرجفون في الكوفة:

قال أبو مخنف الأزدي: لم يكن فيما أحدث المختار شي‏ء أعظم عليهم من أنّه جعل للموالي نصيبا من الفي‏ء! وكان شبث بن ربعي اليربوعي التميمي شيخاً جاهليّاً إسلاميّاً! فلمّا مات يزيد بن أنس الأسدي وزعموا أنّه قد قتل التقى أشراف الكوفة وقالوا: نجتمع في منزل شيخنا شبث! فتواعدوا منزله واجتمعوا وأتوا إليه فصلّى بهم ثمّ تذاكروا فأخذوا يقولون: واللّه لقد تأمّر علينا هذا الرجل بغير رضا منّا، ولقد أدنى موالينا فحملهم على الدوابّ! وأعطاهم وأطعمهم فيئنا! فعصانا عبيدنا! وحرب بذلك أراملنا وأيتامنا! فقال لهم شبث: دعوني حتّى ألقاه.

فذهب شبث وجمع معه جمعاً والتقى بالمختار وذاكره ما أنكره أصحابهم، فذكر «المماليك» فقال المختار: فأنا أردّ عليهم عبيدهم ومماليكهم. فذكر له «الموالي» فقال: عمدتَ إلى موالينا وهم في‏ء أفاءه اللّه علينا مع هذه البلاد جميعاً! فأعتقنا رقابهم نأمل الأجر و «الشكر» فلم ترض لهم بذلك حتّى جعلتهم شركاءنا في فيئنا!

فقال المختار لهم: إن أنا تركت لكم مواليكم ورددت فيئكم فيكم، فهل تقاتلون أنتم معي بني أميّة وابن الزبير وتعطوني على الوفاء بذلك عهد اللّه وميثاقه وما أطمئنّ إليه من الإيمان؟ فقال شبث: ما أدري، حتّى أخرج إلى أصحابي فأذاكرهم ذلك. وخرج فلم يرجع إليه.

بل أجمع على قتاله هو وشمر بن ذي الجوشن الكلابي، ومحمّد بن الأشعث الكندي، والتحق بهم عامل المختار على الموصل عبد الرحمن بن سعيد بن قيس الهمداني، وتوافقوا على دعوة كعب الخثعمي فذهبوا إليه وتكلّم شبث فقال في عيب المختار: إنّه تأمّر علينا بغير رضا منّا، وزعم أنّ «ابن الحنفيّة» بعثه إلينا، وقد علمنا أن ابن الحنفيّة لم يفعل! وأطعم «موالينا» فيئنا! وأخذ «عبيدنا» فحرب بهم أراملنا ويتامانا! وأظهر هو و «سبئيّته» البراءة من «أسلافنا» الصالحين! وأخبره‏

ص: 195

باجتماع رأيهم على قتاله وسأله أن يجيبهم إلى ذلك، فرحّب بهم كعب وأجابهم إليه.

وتوافقوا على دعوة عبد الرحمن بن مخنف الأزدي فذهبوا إليه ودعوه فقال لهم: إنّكم إن أطعتموني لم تخرجوا. قالوا: لم؟ قال: لأنّه مع الرجل شجعانكم وفرسانكم من أنفسكم، وعدّهم، ثمّ معه «عبيدكم» و «مواليكم» فهو مقاتلكم بشجاعة العرب وعداوة «العجم» و «عبيدكم» و «مواليكم» أشدّ حنقا عليكم من عدوكم. وإن انتظرتموهم قليلًا كفيتموهم بمجي‏ء أهل البصرة (الزبيريين) أو بقدوم أهل الشام (المروانيّين) فتكونوا قد كفيتموهم بغيركم ولم تجعلوا بأسكم بينكم! وإن أبيتم إلا أن تخرجوا لم أخذلكم!

فقالوا: ننشدك اللّه أن تخالفنا وأن تفسد علينا رأينا وما قد اجتمعت عليه جماعتنا! قال: فأنا رجل منكم، فإذا شئتم فاخرجوا.

ثمّ انتظروا حتّى يخرج عنهم إبراهيم بن الأشتر، فأمهلوا حتّى خرج وبلغ ساباط المدائن فوثبوا[[383]](#footnote-383).

تواثب العرب على المختار ومحاورته لهم:

قال أبو مخنف: فخرج عبد الرحمن بن سعيد الهمداني السّبيعي في جبّانتهم، وسار إليه إسحاق بن محمّد بن الأشعث الكندي، وزحر بن قيس الكندي إلى عبد الرحمن في جبانة السّبيع. وخرج كعب الخثعمي في جبّانتهم، وسار إليه بشير بن جرير بن عبد اللّه البجلي في بجيلة، ثمّ سارت بجيلة وخثعم إلى عبد الرحمن بن مخنف الأزدي في جبّانة مخنف. ثمّ بلغ الذين في جبّانة السّبيع:

أنّ المختار قد عبّأ لهم خيلا، فبعثوا رسلًا إلى الأزد وبجيلة وخثعم يسألونهم باللّه والرحم أن يعجّلوا إليهم، فساروا إليهم واجتمعوا. ونزل حجّار بن أبجر

ص: 196

ويزيد بن الحارث بن رويم في ربيعة فيما بين التمّارين والسبخة، ونزل شبث بن ربعي وحسّان بن قائد العبسي وربيعة بن شروان الضبّي في مضر بالكناسة، ونزل عمرو بن الحجاج الزبيدي بمن تبعه من مذحج في جبّانة مراد، ودعاه أهل اليمن إليهم فأبى عليهم، ودعوا شمراً إليهم فقال لهم: لا واللّه لا أقاتل في سكك ضيّقة ونقاتل من وجوه! فإن اجتمعتم في مكان واحد نجعل له مجنبتين ونقاتل من وجه واحد فأنا صاحبكم. ثمّ خرج إلى جماعة قومه بجبّانة بني سلول.

وبذلك أخذ أهل الكوفة على المختار وأنصاره بأفواه السكك، فلم يكن يصل إلى المختار ولا إلى أصحابه حتّى من الماء إلا القليل يجيئهم في غفلة عنهم.

وأمر المختار أنصاره بالكفّ عنهم، وأراد أن يريّثهم بمقاولته لهم حتّى يسترجع إليه ابن الأشتر، فبعث إليهم في ذلك اليوم: أخبروني ماذا تريدون فإنّي صانع كلّ ما أحببتم! فقالوا: فإنّا نريد أن تعتزلنا! فإنّك زعمت أنّ «ابن الحنفيّة» بعثك! ولم يبعثك! فأرسل المختار إليهم: فإنّي أبعث إليه وفداً من قبلي وابعثوا إليه وفداً من قبلكم حتّى تتبيّنوه ثمّ انظروا في ذلك.

وبعث المختار من يومه رسولًا إلى إبراهيم بن الأشتر وهو بساباط المدائن: ألا تضع كتابي هذا من يدك حتّى ترجع إليّ بجميع من معك‏[[384]](#footnote-384).

وعاد أنصار المختار:

خرج رسول المختار عمرو بن توبة بالركض إلى إبراهيم بن الأشتر بساباط المدائن حتّى بلغه في عصر ذلك اليوم! فلمّا قرأ كتابه نادى بالناس: أن ارجعوا إلى الكوفة.

ص: 197

فسار بقية ذلك اليوم حتّى أمسى ثمّ نزل للعشاء، وأراحوا الدوابّ شيئاً، ثمّ نادى فيهم فسار الليل كلّه حتّى صلّى الصبح في سوراء ثمّ سار حتّى صلّى عصر غده على باب الجسر، ثمّ دخل البلد إلى المسجد فبات فيه بأصحابه.

وخرج المختار فصلّى بهم ثمّ صعد المنبر، ثمّ نزل إلى السوق- ولم يكن فيه بناء- فعبّأ أصحابه فيه.

وكان المختار ذا رأي فَكَرِه أن يسير ابن الأشتر إلى قومه من اليمن فلا يبالغ في قتالهم، فقال له: أيّ الفريقين (من مضر واليمن) أحبّ إليك أن تسير إليهم؟

قال: أيّ الفريقين أحببت! فقال المختار: فسر إلى مضر بالكناسة وعليهم شبث بن ربعي ومحمّد بن عمير بن عطارد، وأنا أسير إلى اليمن، فسار إبراهيم إلى الكناسة، وسار المختار إلى جبّانة السّبيع‏[[385]](#footnote-385).

ابن الأشتر لمضر والمختار لأهل اليمن:

فمضى ابن الأشتر حتّى لقي شبث بن ربعي وحسّان بن فائد العبسي وبشرا كثيراً من مضر.

فنادى فيهم إبراهيم: ويحكم! انصرفوا، فواللّه ما أحبّ أن يصاب على يدي أحد من مضر، فلا تهلكوا أنفسكم! فأبوا وقاتلوه، فهزمهم وجرح حسّان العبسي فاحتمل إلى أهله فلمّا أدخلوه عليهم مات فيهم‏[[386]](#footnote-386). وقتل غيره من مضر بضعة عشر رجلا[[387]](#footnote-387).

وسار المختار إلى جبّانة السّبيع ولكنّه توقّف عند دار عمر بن سعد وسرّح بين يديه عبد اللّه بن كامل الشاكري الهمداني، وأحمر بن شميط الأحمسي‏

ص: 198

البجلي وقال له: الزم هذه السكّة حتّى تخرج من دور قومك ومسجدهم إلى جبّانة السّبيع، وقال للشاكري الهمداني: الزم هذه السكّة حتّى تخرج عليهم من دار الأخنس بن شريق الثقفي إلى الفرات، وقال لهما: إنّ الشباميّين (من همدان) أخبروني أنّهم يأتونهم من ورائهم.

وبلغ إلى أهل اليمن مسير الرجلين إليهم فاقتسموا هاتين السكّتين: فسكّة مسجد أحمس وقف فيها عبد الرحمن بن سعيد الهمداني ومعه زحر بن قيس الجعفي وإسحاق بن محمّد بن الأشعث الكندي، وسكّة الأخنس الثقفي إلى الفرات وقف فيها عبد الرحمن بن مخنف الأزدي وبشير بن جرير البجلي وكعب الخثعمي، وتلاقوا واقتتلوا قتالًا شديدا حتّى انكشف أنصار المختار وفلّوا والتقاه فلولهم فردّهم حتّى وقف إلى دار أبي عبد اللّه الجدلي، فبعث عبد اللّه بن قراد الخثعمي على أربعمائة فارس وراجل إلى عبد اللّه بن الكامل مددا، وبعث مالك بن عمرو النهدي وكان شديد البأس في مائتي فارس إلى أحمر بن شميط الأحمسي فأمدّوه.

واجتمع الشباميّون من همدان على رئيسهم أبي القلوص على أن يأتوا أهل اليمن من ورائهم كما وعدوا المختار، حتّى خرجوا إلى جبّانة السّبيع، فاستقبلهم الأعسر الشاكري الهمداني على فم السكّة، فحمل عليه أبو الزبير بن كريب والجندعي فصرعاه ودخلوا الجبّانة وهم ينادون «يالثارات الحسين»! فأجابهم أنصار ابن شميط: «يالثارات الحسين»، فأخذ بعض الهمدانيّين ينادي:

«يالثارات عثمان»! فقتل.

وكان رفاعة بن شدّاد البجلي مع قومه بني بجلة على المختار! وكان ناسكا قارئاً للقرآن فقدّموه للصلاة بهم، ولكنّه لمّا سمعهم اليوم ينادون: «يالثارات عثمان» قال: لا أقاتل مع قوم يبغون دم عثمان ما لنا ولعثمان؟! ثمّ عطف بسيفه عليهم وهو يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أنا ابن شدّاد على دين عليّ‏ |  | لست لعثمان بن أروى بولي‏ |
|  |  |  |

ص: 199

وقاتلهم حتّى عطفوا عليه فقتلوه عند حمّام الماهبدان بالسبخة. وارتثّ بالجراح زحر بن قيس الجعفي، وقتل ابنه الفرات، وقتل عبد الرحمن بن سعيد الهمداني، وارتثّ بالجراح عبد الرحمن بن مخنف الأزدي وحملوه وقاتل دونه حميد بن مسلم الأزدي الراوي، وقتل عمر بن مخنف الأزدي.

ولجأ خمسمائة منهم إلى دور الوادعيين من همدان، فاستخرجوهم اسراء مكتّفين إلى المختار، فتولّى أمرهم رجل من رؤساء أنصار المختار هو عبد اللّه بن شريك النهدي، فكان يقتل الموالي والعبيد ويخلّي العرب! فلمّا رأى ذلك رجل من موالي بني نهد يدعى درهم رفع ذلك إلى المختار فقال: اعرضوهم عليّ، وانظروا من شهد منهم قتل الحسين فأعلموني به. فشهدوا على نصفهم بذلك فقدّمهم وضرب أعناقهم، ودعا بمن بقي منهم فأخذ عليهم المواثيق ألا يجامعوا عليه عدوّاً، ولا يبغوه ولا أصحابه غائلة، ثمّ أعتقهم.

ونادى مناديه: ألا إنّ من أغلق بابه فهوآمن إلا رجلا شرك في دم «آل محمّد» (ص).

وفرّ عمرو بن الحجّاج الزبيدي إلى طريق الحجاز فلم يعثر عليه، وأخبر حجّار بن أبجر ويزيد بن الحارث بن رويم الشيبانيّان بهزيمة أهل اليمن فانصرفا بأصحابهما إلى بيوتهم‏[[388]](#footnote-388) وانجلت الوقعة عن سبعمائة وثمانين قتيلا من الهمدانيين وغيرهم‏[[389]](#footnote-389)! بما فيهم المائتان والخمسون من الأسرى ... وكانت الوقعة يوم الأربعاء (لثمان) ليال بقين من ذي الحجّة سنة ستّ وستّين‏[[390]](#footnote-390).

ص: 200

والشعراء يتّبعهم الغاوون:

قتل المختار مائتين وثمانية وأربعين رجلًا من الأسرى الخمسمائة، ممن أعلموه أنّه ممن شهد قتل الحسين (ع)، ثمّ أخذ المواثيق على من بقي من الأسرى فأعتقهم، إلا شاعرهم سراقة بن مرداس البارقي الهمداني فإنّه أمر أن يساق معه إلى المسجد[[391]](#footnote-391).

ثمّ أقبل إلى القصر، فرفع سراقة صوته يناديه:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| امنن عليّ اليوم يا خير معد |  | وخير من حيّا ولبّى وسجد |
|  |  |  |

فبعث به المختار إلى السجن فحبسه ليلة ثمّ دعاه فأقبل يقول له:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| ألا أبلغ أبا إسحاق أنّا |  | نزونا نزوةً كانت علينا |
| خرجنا لا نرى «الضعفاء» شيئاً |  | وكان خروجنا بطرا وحينا |
| نراهم في مصافهم قليلًا |  | وهم مثل الدّبي حين التقينا |
| برزنا إذ لقينا هم فلمّا |  | رأينا القوم قد برزوا إلينا |
| لقينا منهم ضربا طلحفا |  | وطعناً صائباً حتّى انثنينا |
| نُصِرْتَ على عدوّك كلّ يوم‏ |  | بكلّ كتيبة تنعى «حسينا ( |
| كنصر محمّد في يوم بدر |  | ويوم الشعب إذ لاقى حنينا |
| فأسجح إذ ملكت، فلو ملكنا |  | لجرنا في الحكومة واعتدينا |
| تقبّل توبتي منّي فإنّي‏ |  | سأشكر إن جعلت النقد دينا |
|  |  |  |

ولمّا انتهى إلى المختار قال له: أصلحك اللّه أيّها الأمير! سراقة بن مرداس يحلف باللّه الذي لا إله إلا هو! لقد رأى الملائكة تقاتل على الخيول البلق بين السماء والأرض! فقال له المختار: فاصعد المنبر وأعلم ذلك المسلمين، فصعد

ص: 201

فأخبرهم بذلك ثمّ نزل، فخلا به المختار وقال له: إنّي قد علمت أنّك لم تر الملائكة، وإنّما أردت أن لا أقتلك! فاذهب عنّي حيث أحببت!

وقد مرّ أن عبد الرحمن بن مخنف الأزدي ارتثّ جريحا فحمل إلى أهله، ثمّ لحق بأزد البصرة وخرج سائر وجوه الكوفة فلحقوا بالبصرة، ولحق بهم سراقة، وهو يقول: ما كنت في أيمان حلفت بها قطّ أشدّ اجتهاداً ولا مبالغة في الكذب منّي في أيماني التي حلفت بها لهم أنّي رأيت الملائكة تقاتل معهم! ولكنّهم عادوا فنسبوا الكذب هذا ونحوه إلى المختار نفسه‏[[392]](#footnote-392).

وأعاد ابن الأشتر إلى ابن زياد:

روى الطبري، عن الكلبي، عن أبي مخنف، قال: فرغ المختار من أهل الكناسة والسّبيع يوم الأربعاًء[[393]](#footnote-393) فما استراح ابن الأشتر إلا يومين (الخميس والجمعة) فخرج يوم السبت (لستّ) بقين من ذي الحجّة سنة ستّ وستّين‏[[394]](#footnote-394).

وأخرج المختار معه من وجوه أصحابه وفرسانهم وذوي البصائر منهم ممّن قد شهد الحروب وجرّبها، فخرج معه قيس بن طهفة على ربع أهل المدينة، وعلى ربع مذحج وأسد عبد اللّه بن حيّة الأسدي، وعلى ربع ربيعة وكندة الأسود بن جراد الكندي، وعلى ربع تميم وهمدان حبيب بن منقذ الثوري الهمداني.

وكان موضع عسكر إبراهيم بموضع حمّام أعين، ومنه شخص بعسكره، وخرج معه المختار يشايعه حتّى بلغ دير عبد الرحمن بن أمّ الحكم، ومضى معه‏

ص: 202

إلى قناطر رأس الجالوت فلمّا صار بين قنطرة دير عبد الرحمن وقناطر رأس الجالوت اكتفى وأراد أن ينصرف راجعاً فوقف ثمّ قال لابن الأشتر: خذ عنّي ثلاثاً:

خَف اللّه في سرّ أمرك وعلانيته! وعجّل السير، وإذا لقيت عدوّك فناجزهم، فإن لقيتهم ليلًا واستطعت ألا تصبح حتّى تناجزهم! وإن لقيتهم نهارا فلا تنتظر بهم حتى تحاكمهم إلى اللّه. ثمّ قال له: هل حفظت ما أوصيتك به؟! قال: نعم.

قال: صحبك اللّه. ثمّ انصرف راجعاً[[395]](#footnote-395).

ابن الأشتر إلى الموَصل:

كان مع النخعيّ المولى أبو سعيد الصيقل فنقل أبو مخنف عنه قال: خرجنا مسرعين لا ننثني نريد أن نلقى ابن زياد قبل أرض العراق! فتوغّلنا في أرض الموصل، فجعل ابن الأشتر على مقدّمته الطفيل بن لقيط النخعي شجاعاً شديداً، ثمّ ضمّ إليه حميد بن حريث، وضمّ ابن الأشتر إليه أصحابه كلّهم بخيلهم ورجالهم يسير بهم جيمعاً لا يفرّقهم ولا يسير إلا على تعبئة، إلا أنّ في طليعته‏

ص: 203

[[396]](#footnote-396)

ابن لقيط حتى نزل جنب قرية باربيثا، بينها وبين مدينة الموصل خمسة فراسخ‏[[397]](#footnote-397) (27 كم).

وكان شريك بن جدير التغلبي من ربيعة مع عليّ (ع) (يوم صفّين) وأصيبت عينه معه، ولمّا انقضت الحرب لحق ببيت المقدس وبقي بها عشرين عاما حتّى جاءه خبر قتل الحسين (ع)، فعاهد اللّه إن قدر يطلب بدم الحسين (ع) فيقتل ابن مرجانة أو يموت دونه! فلمّا بلغه خروج المختار بطلب دم الحسين (ع) أقبل إليه إلى الكوفة. فاليوم توجّه مع ابن الأشتر فجُعِل على ربيعة، فقال لهم: يا قوم! إنّي عاهدت اللّه على كذا وكذا فمن يبايعني على ذلك؟! فبايعه منهم ثلاثمائة[[398]](#footnote-398).

وكانت قبائل قيس مع الضحّاك بن قيس الفهري وحاربوا مروان وهزموا، فكانت كلّها اليوم بالجزيرة، وهم أهل خلاف لمروان وآل مروان، ومع ذلك كان ابن زياد قد استزاد بهم في جنوده.

وجاء ابن زياد حتّى نزل قريباً من جند ابن الأشتر على شاطئ نهر الخازر.

وكان زعيم قيس مع ابن زياد عمير بن حباب السلمي، فأرسل إلى ابن الأشتر أنّه يريد لقاءه الليلة، فأرسل إليه ابن الأشتر: إذا شئت فالقني. فأتاه عمير ليلًا وأخبره أنّ ابن زياد جعله على ميسرته، وبايع ابن الأشتر وواعده أن ينهزم بالناس!

فأراد إبراهيم امتحانه فقال له: ما رأيك أن أخندق عليّ وأتلوّم يومين أو ثلاثة؟!

فقال عمير: إنّا للّه! وهل يريد القوم إلا هذه! فهو خير لهم! فهم كثير أضعافكم وليس يطيق القليل الكثير في المطاولة، ولكن ناجز القوم، فإنّهم قد ملئوا منكم رعبا، وإنّهم إن شاموا أصحابك وقاتلوهم يوماً بعد يوم ومرّة بعد مرّة أنِسُوا بهم واجترؤوا عليهم!

ص: 204

فقال إبراهيم: صدقت فالرأي ما رأيت، والآن علمت أنّك مناصحي، أما إن صاحبي أوصاني بهذا وأمرني به. فقال عمير: إنّ الشيخ (المختار) قد ضرّسته الحروب وقاسى منها ما لم نقاس فلا تَعْدون رأيه! أصبحْ فناهض الرجل.

ثمّ انصرف عمير السلمي، فأذكى ابن الأشتر تلك الليلة حرسه كلّ الليل ولم يغمض عينه‏[[399]](#footnote-399).

الاستعداد لقتال ابن زياد:

قال الصيقل: لمّا كان السحر عبّأ إبراهيم أصحابه وكتّب كتائبه وأمّر أمراءه، فبعث على ميمنته سفيان بن يزيد الأزدي، وعلى ميسرته عليّ بن مالك الجشمي، وكانت خيل النخعيّ قليلة فجعل عليها أخاه لأمّه: عبد الرحمن بن عبد اللّه وضمّها إليه في القلب والميمنة، وجعل على رجّالته الطفيل بن لقيط النخعي أيضاً.

فلمّا انفجر الفجر غلّس بصلاة الغداة، ثمّ خرج فصفّهم، ووضع أمراء الأرباع في مواضعهم، ونزل يمشي ويقول للناس: ازحفوا. فزحف الناس معه على رسلهم رويدا رويدا حتّى أشرف على تلّ عظيم مشرف على القوم وإذا أولئك بعد لم يتحرّك أحد منهم.

فدعا بعبد اللّه بن زهير السلولي فقال له: قرّب على فرسك حتّى تأتيني بخبر هؤلاء.

فانطلق فلم يلبث إلا يسيرا حتّى جاء فقال: قد خرج القوم على دهش وفشل، ولقيني رجل منهم فناداني: يا «شيعة» أبي تراب؛ يا «شيعة» المختار الكذّاب! فقلت له: ما بيننا وبينكم أجلّ من الشتم.

قال: يا عدوّ اللّه! إلى ما تدعوننا؟ قلت له: يالثارات الحسين ابن رسول اللّه، ادفعوا إلينا عبيد اللّه بن زياد فإنّه قتل ابن رسول اللّه «وسيّد شباب أهل الجنّة»

ص: 205

حتّى نقتله ببعض من قتلهم مع الحسين فإنّا لا نراه ندّاً للحسين لنرضى به قودا! فإذا دفعتموه إلينا فقتلناه ببعض موالينا جعلنا بيننا وبينكم حكماً كتاب اللّه أو أيّ صالح شئتم من المسلمين.

فقال: قد جرّبناكم في مثل هذا فغدرتم! فقلت: وما هو؟ قال: قد جعلنا بيننا وبينكم حكماً فلم ترضوا بحكمهما! فقلت له: إنّما كان صلحنا على أنّهما إذا اجتمعا على رجل تبعنا حكمهما ورضينا به وبايعناه، فلم يجتمعا على واحد.

ثمّ دعا النخعي بفرسه فركبه وأخذ يمرّ على أصحاب الرايات يرغّبهم في الجهاد ويحرّضهم على القتال يقول:

يا أنصار الدين وشرطة اللّه و «شيعة الحقّ» هذا عبيد اللّه بن مرجانة قاتل الحسين بن عليّ ابن فاطمة بنت رسول اللّه، حال بينه وبين أبنائه ونسائه و «شيعته» وبين ماء الفرات أن يشربوا منه وهم ينظرون إليه ... ومنعه أن ينصرف إلى أهله ورحله، ومنعه الذهاب في الأرض العريضة حتّى قتله وقتل أهل بيته! فواللّه ما عمل فرعون بنجباء بني إسرائيل ما عمل ابن مرجانة بأهل بيت رسول اللّه (ص) «الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا» قد جاءكم اللّه به وجاءه بكم، فواللّه إنّي لأرجو ألا يكون جمع اللّه بينكم وبينه في هذا الموطن إلا ليشفي صدوركم بسفك دمه على أيديكم، فقد علم اللّه أنّكم خرجتم غضباً «لأهل بيت نبيّكم» ثمّ رجع حتّى نزل تحت رايته‏[[400]](#footnote-400).

ص: 206

وقعة نهر الخازر بالموصل:

قال الصيقل: جعل ابن زياد على ميمنته الحصين بن نمير السكوني، وعلى ميسرته عمير بن الحباب السلمي (كما قال مِن قبل) وعلى الخيل شرحبيل بن ذي الكلاع، وأخذ هو يمشي في الرجّالة.

فلمّا تدانى الصفّان حمل الحصين بن نمير في ميمنة أهل الشام على ميسرة أهل الكوفة فقتل قائدها الجشمي، فأخذ رايته ابنه قرّة فقتل أيضاً مع رجال آخرين ثابتين ثمّ انهزمت الميسرة، فأخذ رايتها عبد اللّه بن ورقاء السلولي واستقبلهم وقال لهم: إليّ يا شرطة اللّه! فأقبل جلّهم إليه، فقال لهم: سيروا بنا إلى أميركم فها هو يقاتل. فأقبل بهم إليه فإذا به هوكاشف عن رأسه يناديهم: يا شرطة اللّه! إليّ أنا ابن الأشتر! إنّ خير فرّاركم كرّاركم وليس مسيئاً من أعتب. فثاب إليه أصحابه.

وقد مرّ أنه جعل على ميمنته يزيد بن سفيان، وأنّ عمير بن حباب السلمي على ميسرة الشام وعده أن ينهزم بهم، فأرسل إبراهيم إلى يزيد أن يحمل على ميسرتهم وهو يرجو أن ينهزم عمير كما ادّعى، بينما ثبت عمير وقاتل قتالًا شديداً!

فلمّا رأى إبراهيم ذلك قال لأصحابه: أمّوا السواد الأعظم فواللّه لو قد فضضناه لا نجفل من ترون منهم يمنة ويسرة انجفال طير ذعرت فطارت! ثمّ حمل فكان يقول لصاحب رايته: انغمس برايتك فيهم. فيقول: جعلت فداك ليس لي متقدّم. فإذا تقدّم شدّ إبراهيم بسيفه فلا يضرب رجلًا إلا صرعه، وجعل إبراهيم يطرد الرجال بين يديه، وإذا حمل برايته شدّ أصحابه شدّة واحدة.

قال ورقاء بن عازب: مشينا إليهم حتّى إذا دنونا منهم اطّعنّا بالرماح قليلا ثمّ صرنا إلى العمد والسيوف فاضطربنا بها مليّاً من النهار .. ثمّ إن اللّه هزمهم ومنحنا

ص: 207

أكتافهم. فلمّا رأى عمير بن الحباب هزيمة أصحابه بعث إلى إبراهيم يسأله: أجيئك الآن؟

فقال له: لا تأتينّي حتّى تسكن فورة شرطة اللّه، فإنّي أخاف عليك عاديتهم الآن‏[[401]](#footnote-401).

وحمل شريك بن جدير التغلبي بالثلاثمائة المبايعين معه على الموت، فجعل يهتك صفوفهم صفّا صفّا بأصحابه، وثار الغبار فلا يسمع إلا وقع السيوف والحديد[[402]](#footnote-402)، ورأى شريك التغلبي الحصين بن نمير السكوني فحسبه ابن زياد، فتوصّل إليه واعتنق كلّ منهما الآخر ثمّ نادى التغلبي: اقتلوني وابن الزانية، فقتل الحصين‏[[403]](#footnote-403) ثمّ توصّل إلى ابن زياد وانفرج الناس عنهما وإذا بهما قتيلين‏[[404]](#footnote-404)، ورأى ابن الأشتر ابن زياد على شاطئ نهر الخازر تحت راية منفردة فضربه فقدّه نصفين. فلمّا انفرج الناس ذكر لأصحابه ذلك وقال لهم: التمسوه، فالتمسوه فإذا هو ابن زياد[[405]](#footnote-405).

ص: 208

ولمّا هزم أصحاب ابن زياد تبعهم أصحاب ابن الأشتر فغرق منهم في نهر الخازر أكثر ممّن قتل، وغنموا في معسكرهم من كلّ شي‏ء[[406]](#footnote-406)، وحمل ابن الأشتر رأس ابن زياد وغيره إلى المختار[[407]](#footnote-407).

أخبار الانتصار عند المختار:

اختار المختار من أنصاره السائب بن مالك الأشعري ليخلفه على الكوفة وخرج منها بالناس إلى ساباط المدائن، فلمّا جاوزه قال لهم: أبشروا فإنّ شرطة اللّه قد حسّوهم بالسيوف يوماً إلى الليل بنصيبين أو قريباً منها!

ثمّ دخل المدائن فصعد المنبر وخطبهم يأمرهم بالجدّ وحسن الاجتهاد والرأي والثبات على الطاعة و «الطلب بدماء أهل البيت (عليهم السلام)» إذ جاءه البشير تلو البشير بقتل ابن زياد وهزيمة عسكره وقتل أشراف الشام، فانصرف المختار إلى الكوفة.

وعاد إبراهيم إلى الموصل فبعث أخاه لأمّه عبد الرحمن بن عبد اللّه على نصيبين، وغلب على دارا وسنجار وما والاها من أرض الجزيرة[[408]](#footnote-408) وأرمينية وأذربايجان.

ص: 209

رأس ابن زياد عند السجّاد (ع):

قال اليعقوبي: ووجّه المختار برأس ابن زياد مع رجل من قومه إلى عليّ بن الحسين (ع) وقال له: قف ببابه فإذا رأيت أبوابه قد فتحت ودخل الناس فذاك هو الوقت الذي يوضع فيه طعامه فادخل إليه.

فجاء الرسول إلى باب عليّ بن الحسين (ع) فلمّا فتحت أبوابه ودخل الناس للطعام نادى الرجل بأعلى صوته: يا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الملائكة ومنزل الوحي! أنا رسول المختار بن أبي عبيد ومعي رأس عبيد اللّه بن زياد! فصرخت نسوة بني هاشم، ودخل الرسول فأخرج الرأس، فلمّا رآه عليّ بن الحسين قال: أبعده اللّه إلى النار. ولم يُر ضاحكاً منذ قتل أبوه الحسين حتّى ذلك اليوم.

وكانت له إبل تحمل له الفاكهة من الشام، فأمر بتلك الفواكه أن تفرّق في أهل المدينة.

وما اختضبت امرأة من بني هاشم منذ قتل الحسين ولا امتشطت حتّى ذلك اليوم‏[[409]](#footnote-409).

وجاء هذا في خبر الكشيّ عن جارود بن المنذر الزيدي عن الصادق (ع) قال: ما امتشطت فينا هاشميّة ولا اختضبت حتّى بعث إلينا المختار برؤوس الذين قتلوا الحسين (ع).

ثمّ روى عن عمر بن عليّ بن الحسين (ع) أنّه لمّا أتي برأس ابن زياد وعمر بن سعد خرّ ساجدا وقال: الحمد للّه الذي أدرك لي ثاري من أعدائي، وجزى اللّه المختار خيراً.

ص: 210

وأنّ المختار كان قد أرسل إلى أبيه بعشرين ألف دينار، فقبلها وبنى بها دارهم التي هدمت ودار عقيل بن أبي طالب، ولم يكن قد ظهر من المختار يومئذ ما ظهر منه بعد ذلك‏[[410]](#footnote-410).

وسيأتي خبر قتله لعمر بن سعد وإرساله لرأسه إلى ابن الحنفيّة، فلعلّ عمر بن عليّ بن الحسين (ع) تسامح في عطف اللاحق على السابق.

وجاء مصعب إلى البصرة

ولعلّه تزامن أوقرب من ذلك إرسال ابن الزبير لأخيه مصعب على البصرة بدل الحارث بن عبد اللّه القباع، لحرب المختار ثمّ لحرب الشام. وكان معه جماعة دخل بهم البصرة متلثّما حتّى أناخ بباب مسجدها، ورآه الناس فقالوا: أمير أمير، وتسامع به الحارث الأمير السابق فجاء إلى المسجد وإذا بمصعب قد صعد المنبر، فلمّا دخل الحارث أسفر مصعب عن وجهه فعرفوه، وقال للحارث: اصعد، فصعد حتّى جلس تحته بدرجة، ثمّ قام مصعب فحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قرأ الآيات الأوائل من سورة القصص وهويشير بيده إلى الحجاز والشام، ثمّ سمّى نفسه الجزّار! ونزل‏[[411]](#footnote-411).

وخرج أهل الكوفة الذين قاتلوا المختار فهزمهم، فلحقوا بمصعب بن الزبير بالبصرة وكان فيهم شبث بن ربعي اليربوعي التميمي‏[[412]](#footnote-412).

ص: 211

وفرّ شمر وهلك‏

كأنّ ذلك كان من مقدّمات الإعداد لحرب المختار أن يلتحق قادة قبائل الكوفة بالبصرة، ولم يكن ذلك ليخفى على المختار، فاختار أن يرسل رئيس حرسه أبا عمرة كيسان مولى بني عرينة إلى جوار قرية يقال لها: الكلتانيّة على شاطئ نهر إلى جانب تلّ، لتكون مسلحة فيما بينه وبين البصرة[[413]](#footnote-413).

وكان ممّن فرّ شمر بن ذي الجوشن الكلابي بجمع من كلابه معه إلى مصعب بالبصرة، وكان للمختار غلام (فارسي) يدعى (زرپي- العمود الذهبي) فتبع شمراً طامعاً فيه دون أن يستشير المختار، فلمّا دنا من جماعة شمر قال لهم شمر: اركضوا وتباعدوا عنّي لعلّ العبد يطمع فيّ، وأخذ شمر يستطرد له وأقبل هو يسرع به فرسه حتّى إذا انقطع من أصحابه حمل عليه شمر فدقّ ظهره وقتله، وعاد أصحابه إلى المختار فأخبروه بذلك فقال: أما لو كان يستشيرني لما أمرته أن يخرج له.

ثمّ مضى شمر بأصحابه حتّى نزل قرية سانيدما، ثمّ نزل قرب قرية الكلتانيّة وفيها كتب كتاباً عنوانه: للأمير المصعب بن الزبير من شمر بن ذي الجوشن، وأخذ عبداً من القرية فضربه وحمّله كتابه إلى مصعب بالبصرة، فمرّ به أبو الكنود عبد الرحمن ابن عبيد فرأى الكتاب مع العبد وعنوانه لمصعب من شمر، فذهب به إلى أبي عمرة كيسان فسألوه عن مكان شمر فأخبرهم به فإذا هوعلى ثلاثة

ص: 212

فراسخ منهم فأقبلوا إليه ليلًا، وقد قال لأصحابه إنّه يريح هناك ثلاثة أيّام، وإذا بهم أشرفوا عليهم من التلّ وكبّروا وأحاطوا بهم، وكان شمر قد اتزر ببرد محقّق، وهو أبرص وقد ظهر بياض كشحيه فوق برده، فأعجلوه أن يلبس ثيابه وسلاحه، وترك أصحابه خيولهم وخرجوا يشتدّون على أرجلهم، وأخذ شمر رمحاً وأخذ يطاعنهم به ساعة ثمّ دخل خيمته وأخذ سيفه وقاتل به حتّى قتل‏[[414]](#footnote-414).

وتجرّد المختار لقتلة الحسين (ع)

وكأن كيسان أبا عمرة مولى بني عرينة عاد إلى رئاسة حرس المختار فرآهم المختار يكلّمونه فارتاب منهم، فدعاه المختار وقال له: رأيتهم يكلّمونك فما يقولون لك؟ فأسرّ إليه: أصلحك اللّه! شقّ عليهم صرفك وجهك عنهم إلى العرب! فقال له: قل لهم: لا يشقنّ ذلك عليكم، فأنتم منّي وأنا منكم! ثمّ قرأ من سورة السجدة: إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ‏[[415]](#footnote-415) فلمّا سمعها منه الموالي قالوا: أبشروا فواللّه لكأنّكم به قد قتلهم‏[[416]](#footnote-416).

ولمّا رأى أنّ أشرافهم يلتحقون بالبصرة وبلغه أنّهم يتّهمونه بالكذب بل يسمّونه «الكذّاب» قال: ما من ديننا ترك قوم قتلوا الحسين (ع) يمشون أحياء في الدنيا آمنين! بئس «ناصر آل محمد» أنا إذا في الدنيا! أنا إذا الكذّاب كما سمّوني! فإنّي باللّه استعين عليهم! الحمد للّه الذي جعلني سيفاً ضربهم به، ورمحاً طعنهم به، وطالب وترهم والقائم بحقّهم، إنّه كان حقّاً على اللّه أن يقتل من‏

ص: 213

قتلهم، وأن يذلّ من جهل حقّهم. فسمّوهم لي ثمّ اتّبعوهم حتّى تفنوهم! فإنّه لا يسوغ لي الطعام والشراب حتّى اطهّر الأرض منهم، وانقّي المصر عنهم‏[[417]](#footnote-417).

وكان من قتلة الحسين (ع): عبد اللّه بن اسيد الجهني، ومالك بن النسير البدّي، وحمل بن مالك المحاربي، وكانوا قد ابتعدوا إلى القادسية ودلّ عليهم عبد اللّه بن دباس (قاتل محمّد بن عمار بن ياسر!) فبعث المختار عليهم من رؤساء أصحابه مالك بن عمروالنهدي، فأتاهم وهم بالقادسية فأخذهم وأقبل بهم حتّى أدخلهم عليه عشاء.

فقال لهم المختار: يا أعداء اللّه وأعداء كتابه وأعداء رسوله وآل رسوله! أين الحسين بن عليّ؟! أدّوا إليّ الحسين، قتلتم من امرتم «بالصلاة عليه في الصلاة»؟!

قالوا: رحمك اللّه! بعثنا ونحن كارهون، فامنن علينا واستبقنا.

قال المختار: فهلا مننتم على الحسين ابن بنت نبيّكم واستبقيتموه وسقيتموه؟!

ثمّ قال للبدّي: أنت أخذت برنس الحسين؟! قال ابن كامل: نعم، هو هو.

فقال المختار: اقطعوا يدي هذا ورجليه ودعوه ليضطرب حتّى يموت! ففعل به ذلك. وقتل الآخرين‏[[418]](#footnote-418).

وأربعة نهبوا خيام الحسين (ع)

ودلّه سعر الحنفي على أربعة ممّن نهبوا خيام الإمام (ع): زياد بن مالك الضّبعي وعمران بن خالد العنزي، وعبد الرحمن البجلي، وعبد اللّه الخولاني، فبعث عليهم عبد اللّه بن كامل الشاكري الهمداني فأخذهم من قبائلهم وجاء بهم حتّى أدخلهم عليه فقال لهم:

ص: 214

يا قتلة الصالحين! يا قتلة «سيد شباب أهل الجنة»! ألا ترون اللّه قد أقاد منكم اليوم! لقد جاءكم الورس بيوم نحس! وكانوا أصابوا منه، ثمّ قال:

أخرجوهم إلى السوق فاضربوا رقابهم، ففعل بهم ذلك‏[[419]](#footnote-419).

وثلاثة آخرون من الأزد منهم حميد بن مسلم الأزدي المرادي وعبد اللّه وعبد الرحمن ابنا صلخب الأزدي، وجاءهم السائب بن مالك الأشعري في خيل فأخذوا الأخوين وفرّ حميد، وأخذوا عبد اللّه بن وهب الهمداني فانتهوا بهم إلى المختار فأمر بهم فقتلوا بالسوق.

وآخران شريكان في قتل عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب: أبوأسماء بشر بن سوط القابضي الهمداني وعثمان بن خالد بن اسير الدهماني الجهني، بعث المختار عليهما عبد اللّه بن كامل الشاكري الهمداني فأحاط بقوّاته بعد العصر بمسجد بني دهمان وطلب منهم تسليم عثمان بن خالد، فاستمهلوه وخرجوا مع الخيل في طلبه فوجدوه مع بشر في الجبّانة فاتي بهما إلى ابن كامل فخرج بهما إلى موضع بئر الجعد فضرب أعناقهما، وعاد إلى المختار فأخبره بخبرهما فأمر بإحراق أجسادهما بالنار فاحرقا ثمّ دفنا[[420]](#footnote-420).

وحامل رأس الحسين (ع)

وحمل رأس الحسين (ع) من كربلاء إلى الكوفة: خوليّ بن يزيد الأصبحي الكندي، وكانت امرأته من الحضرميّين يقال لها: العيّوف بنت مالك، وحين جاءها برأس الحسين (ع) ناصبت العداء لزوجها، وعاداه من قومه ابن أخي‏

ص: 215

حجر بن عدي الكندي: معاذ بن هاني بن عدي، فبعث المختار معه مولاه أبا عمرة كيسان صاحب حرسه، فساروا حتّى أحاطوا بدار خوليّ، فلمّا علم بهم خوليّ تستّر على رأسه بقوصرّة للتمر واختبأ في الخلاء في داره! فأمر معاذ الكندي أبا عمرة أن يطلبه في الدار، فخرجت إليهم امرأة خولي فسألوها عنه فقالت بلفظها: لا أدري، وأشارت بيدها إلى الخلاء في الدار، فوجدوه فيه متستّرا بالقوصرّة على رأسه فأخرجوه، وكان المختار يسير في الكوفة فأرسل أبوعمرة إليه رسولًا استقبل المختار عند دار بلال فأخبره الخبر، فأقبل نحوهم وردّهم حتّى قتله إلى جانب أهله، ثمّ دعا بنار فأحرقه حتّى صار رمادا ثمّ انصرف‏[[421]](#footnote-421).

عمر بن سعد الزهري والأمان!

حدّث أبومخنف عن أبي الأشعر موسى بن عامر قال: كان المختار أوّل ما ظهر أحسن شي‏ء سيرة وتألّفا للناس، وكان من أكرم خلق اللّه على المختار عبد اللّه بن جعدة بن هبيرة المخزومي لقرابته من عليّ (ع) (كان حفيد امّ هاني) فلجأ إليه عمر بن سعد الزهري وقال له: إنّي لا آمن هذا الرجل على نفسي، فخذ لي أمانا منه. فأخذ له ذلك وفيه: بسم اللّه الرحمن الرحيم، هذا أمان من المختار بن أبي عبيد لعمر بن سعد بن أبي وقّاص، إنّك آمن بأمان اللّه على نفسك ومالك وأهلك وأهل بيتك وولدك، لا تؤاخذ بحدث كان منك قديماً، ما سمعت وأطعت ولزمت رحلك وأهلك ومصرك.

ص: 216

فمن لقي عمر بن سعد من شرطة اللّه و «شيعة آل محمد» ومن غيرهم من الناس فلا يعرض له إلا بخير. وجعل المختار على نفسه عهد اللّه وميثاقه ليفينّ لعمر بن سعد بما أعطاه من الأمان، إلا أن يحدث حدثاً! وأشهد اللّه على نفسه وكفى باللّه شهيدا، وشهد أحمر بن شميط الهمداني، والسائب بن مالك الأشعري، وعبد اللّه بن شداد الجشمي وعبد اللّه بن كامل الشاكري الهمداني.

ثمّ روى أبوالأشعر موسى بن عامر عن الإمام الباقر (ع): أنّ المختار في أمانه لعمر بن سعد لمّا قال: إلا أن يحدث حدثا، فإنّه كان يريد به: إذا دخل الخلاء فأحدث حدثا[[422]](#footnote-422).

والموسم الحجّ في سنة ستّ وستّين حيث حجّ جمع من أهل الكوفة إلى مكّة والمدينة وعادوا، وكان منهم يزيد بن شراحيل الأنصاري الكوفي وقد زار ابن الحنفية بمكّة وتذاكروا المختار وخروجه وما يدعوإليه من الطلب بدماء «أهل البيت» فقال محمّد بن الحنفيّة: يزعم أنّه «شيعة» لنا وجلساؤه قتلة الحسين (ع) على الكراسي يحدّثونه!

فلمّا قدم الكوفة أتى المختار فسأله: هل لقيت «المهديّ» قال: نعم، ونقل له قوله‏[[423]](#footnote-423).

وكان من جلساء المختار الهيثم بن الأسود النخعي الهمداني فسمعه يقول:

لأقتلن غداً رجلًا غائر العينين مشرف الحاجبين عظيم القدمين، يسرّ مقتله المؤمنين والملائكة المقرّبين! ففهم الهيثم أنّ المختار يريد عمر بن سعد، فلمّا عاد إلى منزله دعا ابنه العريان وقال له: اذهب ليلًا (سرّاً) إلى عمر بن سعد فأخبره‏

ص: 217

بكذا. فلمّا كان الليل ذهب العريان واستخلى بابن سعد وأخبره الخبر فجزّاه ابن سعد خيراً وقال: كيف يريد بي هذا بعد الذي أعطاني من العهود والمواثيق! ومع ذلك خرج تلك الليلة إلى حمّام له خارج البلد وعليه مولى له، وأخبره بأمانه وما اريد به. فقال له المولى: وأيّ حدث أعظم ممّا صنعت! إنّك تركت رحلك وأهلك وأقبلت إلى هاهنا! ارجع إلى رحلك ولا تجعل للرجل عليك سبيلًا! فعاد إلى البلاد، وكأنّه أرسل ابنه حفصا إلى المختار ليستوثق له.

فعرف المختار أخباره، وأسرّ إلى أبي عمرة بأمره فيه، فذهب إليه وقال له:

أجب الأمير، فقام عمر في جبّته فعثر بها، فضربه أبوعمرة بسيفه فقتله واحتزّ رأسه وستره بأسفل قبائه حتّى وضعه بين يدي المختار وعنده حفص بن عمر بن سعد، فقال المختار له: أتعرف هذا؟ فاسترجع وقال: نعم، ولا خير في العيش بعده! فقال المختار: صدقت فإنّك لا تعيش بعده، وأمر به فقتل وجعل رأسه إلى رأس أبيه، فلمّا رآهما المختار قال: هذا بحسين وهذا بعليّ بن الحسين، ثمّ قال: ولا سواء[[424]](#footnote-424)! واللّه لوقتلت به ثلاثة أرباع قريش ما وفوا أنملة من أنامله!

ثمّ كتب بذلك كتابا إلى محمّد بن الحنفيّة ودعا ظبيان بن عمارة التميمي ومسافر بن سعيد الناعطي الهمداني وأرسلهما برأسيهما والكتاب إلى ابن الحنفيّة وفيه:

بسم اللّه الرحمن الرحيم إلى «المهدي» محمّد بن عليّ، من المختار بن أبي عبيد. سلام عليك أيها «المهدي» فإنّي أحمد إليك اللّه الذي لا إله إلا هو، أمّا بعد، فإنّ اللّه بعثني نقمة على أعدائكم، فهم بين قتيل وأسير، و «طريد وشريد» فالحمد للّه الذي قتل قاتليكم ونصر مؤازريكم. وقد بعثت إليك برأس عمر بن سعد وابنه، وقد قتلنا من شرك في دم الحسين وأهل بيته «رحمة اللّه عليهم» كلّ من قدرنا عليه، ولن يعجز اللّه من بقي، ولست بمنجم عنهم حتّى لا يبلغني أن‏

ص: 218

على أديم الأرض منهم أحدا. فاكتب إليّ أيّها «المهدي» برأيك أتّبعه وأكون عليه، والسلام عليك أيّها «المهدي» ورحمة اللّه وبركاته‏[[425]](#footnote-425).

ونأسف لعدم ذكر الخبر جواب ابن الحنفيّة لنعرف موقفه من ذلك ولا سيّما عنوان «المهدي».

وحرملة بن كاهل الأسدي‏

كان من حجّاج الكوفة لموسم الحجّ في آخر سنة ستّ وستّين للهجرة:

المنهال بن عمروالأسدي التابعي، فنقل الإربليّ عن «كتاب دلائل رسول اللّه».

تأليف أبي العباس عبد اللّه بن جعفر الحميري عن المنهال الأسدي قال: حججت فدخلت على عليّ بن الحسين (ع) فقال لي: يا منهال، ما فعل حرملة بن كاهل الأسدي؟- ولأنه أسديّ سأله عن هذا الأسدي- قال: قلت: تركته بالكوفة حيّاً.

قال: فرفع يديه ثمّ قال: اللهمّ أذقه حرّ الحديد (مرّتين)، اللهمّ أذقه حرّ النار!

قال: فانصرفت إلى الكوفة ... فركبت لأسلم على المختار بن أبي عبيد الثقفي، فركب وركبت معه حتّى أتى الكناسة، وكان قد وجّه في طلب حرملة بن كاهل، فوقف في الكناسة وقوف منتظر لشي‏ء، فاحضر إليه فقال له: الحمد للّه الذي مكّنني منك! ثمّ دعا بالجزّار فقال له: اقطع يديه فقطعهما، فقال له: اقطع رجليه فقطعهما، ثمّ قال: النار النار، فاتي بطنّ من قصب فجعل حرملة بينها ثمّ الهب فيها النار حتّى احترق!

فقلت: سبحان اللّه! سبحان اللّه! فالتفت إليّ المختار وقال: ممّ سبّحت؟

ص: 219

فقلت له: دخلت على عليّ بن الحسين (ع) فسألني عن حرملة فأخبرته أني تركته حيّا، فرفع يديه وقال: اللهمّ أذقه حرّ الحديد (مرّتين)، اللهمّ أذقه حرّ النار! فقال المختار: اللّه اللّه أسمعت عليّ بن الحسين يقول هذا؟ قلت: اللّه اللّه لقد سمعته يقول هذا! فنزل وصلّى ركعتين وأطال وسجد وأطال ثمّ رفع رأسه وذهب ومضيت معه حتّى انتهى إلى باب داري (في بني أسد) فقلت له: إن رأيت أن تكرمني بأن تنزل وتتغدّى عندي؟ فقال لي: يا منهال، تخبرني أن عليّ بن الحسين دعا اللّه بثلاث دعوات فأجابه اللّه فيها على يدي ثمّ تسألني الأكل عندك! هذا يوم صوم شكرا للّه على ما وفّقني له‏[[426]](#footnote-426).

والطائي قاتل العبّاس‏

كان عديّ بن حاتم الطائي حيّا بالكوفة، لم يقم مع المختار ولا عليه، وخرج نفر من قومه على المختار يوم جبّانة السّبيع فاسروا فشفع فيهم عديّ إلى المختار فشفّعه وأطلقهم لم يكونوا شركوا في دم الحسين (ع) ولا أهل بيته. ورفع للمختار: أنّ حكيم بن الطفيل الطائي كان أصاب صلب العباس بن عليّ، فبعث المختار إليه عبد اللّه بن كامل الشاكري الهمداني فأخذه مكتوفا وأقبل به، فذهب أهله إلى عديّ بن حاتم فاستغاثوا به فلحقهم في طريقهم وشفع فيه إلى ابن كامل فقال: إنّما ذلك إلى المختار. فمضى عدي إلى المختار. فقال من مع الشاكري من «الشيعة»: إنّا نخاف أن يشفّع الأمير عديّ بن حاتم في هذا الخبيث وله من الذنب ما قد علمت، فدعنا نقتله! قال: شأنكم به!

ص: 220

فلمّا انتهوا به إلى دار العنزيّين، نصبوه مكتوفاً وقالوا له: سلبت ابن عليّ ثيابه! واللّه لنسلبنّ ثيابك وأنت حيّ ترى! فنزعوه ثيابه! ثمّ قالوا له: رميت حسيناً واتّخذته غرضاً لنبلك وقلت: إنّه لم يضرّه وإنّما تعلّق بسرباله! فايم اللّه لنرمينّك كما رميته بنبال، يجزيك ما يتعلّق بك منها. فرموه رشقاً واحداً، فأصبح كالقنفذ من كثرة النبال فخرّ ميتاً[[427]](#footnote-427).

وقاتل عليّ بن الحسين (ع)

وكان قاتل عليّ بن الحسين الأكبر (ع): مرّة بن منقذ بن النعمان العبدي من عبد القيس، فبعث المختار إليه عبد اللّه بن كامل الشاكري الهمداني فأتاه حتّى أحاط بداره مع أنصاره ومنهم عبيد اللّه بن ناجية الشّبامي، فخرج مرّة إليهم راكباً جواده وبيده رمحه وطعن بها الشبّامي فضربه ابن كامل بسيفه على يده اليسرى فجرح ولكنّه أفلت ولحق بمصعب بالبصرة وشلّت يده‏[[428]](#footnote-428).

وقاتل عبد اللّه بن مسلم‏

وكان زيد بن رقاد الجنبي رمى عبد اللّه بن مسلم بن عقيل بسهم فأثبت كفّه على جبهته، فنادى اللهمّ إنّهم استقلّونا واستذلّونا! اللهمّ فاقتلهم كما قتلونا! وأذلّهم كما استذلّونا! فرماه زيد بسهم آخر فقتله، فكان يقول: جئته ميّتا فلم أزل أنضنض سهمي من جبهته حتّى نزعته منها وبقي نصله فيها ما قدرت على نزعه! فبعث المختار إليه عبد اللّه الشاكري، فلمّا أتاه ابن كامل داره أحاط بها برجاله واقتحموا عليه فخرج عليهم بسيفه فقال ابن كامل: بالنبال والحجارة،

ص: 221

فرموه بها، فسقط، فقال ابن كامل: فإن كان حيّا فأحرقوه، وكان حيّا فأحرقوه حيّا[[429]](#footnote-429).

صدمات الصدّائي والمختار

وكان عمروبن صبيح الصدّائي يقر أنّه طعن فيهم وجرح دون أن يقتل أحدا منهم، وكان ينام الليل على سطح داره ويضع سيفه تحت رأسه، وبعد ما هدأت العيون صعد إليه عيون المختار فأخذوه وسيفه وجاءوا به إلى المختار فحبسه، فلمّا أصبح قال: ليدخل من شاء أن يدخل، فدخل الناس، فأمر به فجي‏ء به مقيّداً وأوقف إلى جنب ابن كامل الشاكري، وكأنّه أطلقت يده فرفع يده ولطم ابن كامل فأخذ ابن كامل بيده وأمسكها وقال للمختار: إنّه يزعم أنّه قد جرح في «آل محمّد» وطعن فمرنا بأمرك فيه. فقال: اطعنوه بالرماح حتّى الموت، ففعلوا به ذلك حتّى مات‏[[430]](#footnote-430).

فرّوا فهدمت دورهم‏

وكان سنان بن أنس النخعي الهمداني يدّعي قتل الحسين (ع) فطلبه المختار فوجده قد هرب إلى مصعب بالبصرة، فهدم المختار داره. وكان عبد اللّه بن عقبة الغنوي قد قتل غلاما منهم، فطلبه المختار فوجد قد هرب إلى الجزيرة (الموصل) ليلتحق بابن زياد، فهدم داره. وكان عبد اللّه بن عروة الخثعمي يقول: رميت فيهم باثني عشر سهما ولكنّه كان يدّعي أنّها كانت ضيعة فاتت ولم تصبهم! فطلبه المختار فلحق بمصعب بالبصرة، فهدم داره‏[[431]](#footnote-431).

ص: 222

ومحمّد بن الأشعث وشبث‏

كان زياد بن سميّة لمّا قتل حجر بن عدي الكندي هدم داره، وكان للأشعث الكندي قرية (يزن آباد)[[432]](#footnote-432) إلى جنب القادسيّة وله بها قصر، فلمّا هزم محمّد بن الأشعث يوم جبّانة السّبيع خرج من الكوفة إلى قصر أبيه في القرية. وكان من أنصار المختار رجل يدعى حوشب البرسمي‏[[433]](#footnote-433) فدعاه المختار وجعل له من أنصاره مائة رجل وقال له: انطلق إلى ابن الأشعث فستجده إمّا لاهياً متصيّداً أوقائماً متلبّداً! أوخائفاً متلدّداً! أوكامناً متغمّداً، فإن قدرت عليه فأتني برأسه!

فخرج حوشب بالمائة معه إلى قصر الأشعث فأحاطوا به وهم يرون أنّه فيه، وهوقد خرج منه إلى مصعب بالبصرة، فلمّا دخلوا القصر علموا أنّه قد فاتهم، فانصرفوا إلى المختار، فبعث من هدم الدار وحمل أنقاضها فبنى بها دار حجر بن عديّ الكندي‏[[434]](#footnote-434).

فلمّا قدم على مصعب أكرمه وأدناه لشرفه، فأخذ يستحثّه على الخروج على المختار.

ولحق به شبث بن ربعي اليربوعي التميمي وقد شقّ قباءه وقطع طرف أذن بغلته وذيلها حتّى وقف على باب مصعب وهوينادي: يا غوثاه يا غوثاه!

فدخل بوّاب مصعب عليه وقال له: إنّ بالباب رجلًا مشقوق القباء من صفته كذا وكذا وينادي: يا غوثاه يا غوثاه! فقال مصعب: لم يكن ليفعل هذا غير شبث بن ربعي فأدخلوه.

ص: 223

ثمّ اجتمع أشراف الكوفة فجاءوه حتّى دخلوا عليه فأخبروه بما اجتمعوا له وشكوا إليه ما أصيبوا به من وثوب عبيدهم ومواليهم عليهم مع المختار وسألوه المسير معهم إلى المختار والنصر لهم‏[[435]](#footnote-435).

وعبيد اللّه بن عليّ (ع)

كان مسعود بن عمرو من بني نهشل من دارم من تميم، وقد تزوّج عليّ (ع) ابنته ليلى، فكان له منها عبيد اللّه‏[[436]](#footnote-436) فروى الراوندي عن الباقر (ع) اعتراضا له على وصيّة أبيه بطاعة الحسن (ع)[[437]](#footnote-437) ثمّ كان من المتخلّفين عن أخيه الحسين (ع).[[438]](#footnote-438)

وكأنّه بعد أن أبعد ابن الزبير ابن الحنفيّة إلى جبل رضوى، قدم على المختار ليختاره بمكان ابن الحنفيّة صاحبا لأمره! فحكى الزبير بن بكّار: أنّ المختار قال له: إنّ صاحب أمرنا منكم ولكنّه رجل لا يعمل فيه السلاح! فإن شئت نجرّب فيك السلاح فإن لم يضرّك فأنت صاحبنا ونبايعك! فأبى وخرج من عنده إلى البصرة وعليها مصعب.

وجمع عبيد اللّه حوله جمعا ليخرج بهم عليه! فأرسل عليه مصعب من يفرّق جمعه ويعرض عليه الأمان، فقبل الأمان وذهب إليه فلم يزل عنده‏[[439]](#footnote-439).

ص: 224

بداية أمر مصعب مع المختار

كان المهلّب بن أبي صفرة الأزدي البصري منذ عام (42 ه-) من قوّاد جند البصرة في غزوكور سجستان إلى سفوح جبال كابل وسمرقند عام (56 ه-)[[440]](#footnote-440) وكان عامل ابن الزبير على فارس. فلمّا أكثر الناس على مصعب بالمسير إلى الكوفة كتب مصعب إليه: إنا نريد المسير إلى الكوفة فأقبل إلينا لتشهد أمرنا. وكره المهلّب ذلك فاعتلّ بأمر الخراج وأبطأ عليه.

واستحثّ ابن الأشعث مصعبا فأعلمه أنّه لا يشخص دون أن يأتيه المهلّب وأمره أن يذهب بكتابه إليه فيقبل به. فذهب محمّد بن الأشعث بكتاب مصعب إلى المهلّب. فقال له المهلّب: أما وجد مصعب بريدا غيرك؟! ومثلك يا محمّد يأتي بريدا! فقال محمّد: واللّه ما أنا ببريد أحد! غير أنّ عبداننا وموالينا غلبونا على أبنائنا وحرمنا ونسائنا!

فحمل المهلّب أموالًا عظيمة وجموعاً كثيراً وهيئة لم يكن بها أحد من أهل البصرة قبله، وأقبل حتّى دخل البصرة وأتى باب مصعب ليدخل عليه، ولم يعرفه حاجبه فحجبه فضربه المهلّب فكسر أنفه! فدخل إلى مصعب يشكو إليه المهلّب ودخل المهلّب خلفه، فقال مصعب لحاجبه: عد إلى عملك!

ثمّ أمر مصعب الناس أن يعسكروا عند الجسر الأكبر ثمّ جعل مالك بن مسمع على خمس بكر بن وائل، ومالك بن المنذر على خمس عبد القيس، والأحنف بن قيس التميمي على خمس تميم، وزياد بن عمروالأزدي على خمس الأزد، وقيس بن الهيثم على خمس أهل العالية. وجعل المهلّب بن أبي‏

ص: 225

صفرة على ميسرته، وعمر بن عبيد اللّه على ميمنته، وقدّم أمامه عباد بن الحصين التميمي على مقّدمته‏[[441]](#footnote-441).

واستخلف على البصرة عبيد اللّه بن معمر وخرج منها[[442]](#footnote-442).

عبيد اللّه بن الحرّ الجعفيّ‏

روى المدائني قال: لمّا قتل عثمان وهاج الهياج بين عليّ (ع) ومعاوية قال عبيد اللّه بن الحرّ: إنّي احبّ عثمان ولأنصرنّه ميّتا! فخرج إلى الشام فأقام عند معاوية وكان معه في صفّين، ثمّ لم يزل معه حتّى قتل عليّ (ع)، فلمّا قتل قدم الكوفة على إخوانه.

فلمّا مات معاوية وهاج الهياج على (يزيد اعتزل) فلمّا مات يزيد بن معاوية وهرب عبيد اللّه بن زياد وهاجت فتنة ابن الزبير قال: ما أرى قريشا تنصف. ثمّ جمع إليه كلّ خليع من كلّ قبيلة فكانوا معه سبعمائة فارس! فخرج بهم إلى المدائن على درب الأموال من الجبال (إيران) إلى سلطان العراق، فلم يترك مالا إلا يأخذه فيأخذ منه عطاءه وأعطية أصحابه، ويكتب لصاحب المال براءة بما قبض من المال! ثمّ جعل يتقصّى الكور والقرى على مثل ذلك.

فلم يزل على ذلك حتّى ظهر المختار وبلغه ما يصنع بالسواد، وكان قد ترك امرأته امّ سلمة الجعفيّة بالكوفة! فأمر المختار بارتهانها رهينة فحبسها. فلمّا بلغ ذلك إلى عبيد اللّه أقبل في فتيانه حتّى دخل الكوفة ليلا فكسر باب السجن وأخرج امرأته وسائرهم! وبعث المختار عليه من يقاتله فقاتلهم حتّى خرج من الكوفة. فأحرق المختار داره، وكانت له ضيعتان بالبداة والجبّة فانتهبها الهمدانيّون، وكان لعبد الرحمان بن سعيد الهمداني ضياع في ماه فأنهبها وما

ص: 226

لهمدان، ولم يترك مالا لهمداني إلا أخذه! ويأتي المدائن فيمر بعمّال جوخى فيأخذ أموالهم ويعود إلى جبال إيران، ولم يزل على ذلك حتّى‏[[443]](#footnote-443) خرج مصعب لقتال المختار فالتحق به فيمن لحق به من مخالفي المختار، وتقبّله مصعب ضمنهم، ويبدوأنّه كان معه السبعمائة من جنوده.

واستعدّ المختار وخطب‏

بلغ ذلك المختار فقام في أصحابه فحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال: يا أهل الكوفة، يا أهل الدين وأعوان الحق وأنصار الضعيف و «شيعة» الرسول وآل الرسول! إنّ الذين بغوا عليكم منكم ثمّ فرّوا ذهبوا إلى أشباههم من الفاسقين فاستغووهم عليكم، ليذهب الحقّ وينتعش الباطل ويقتل أولياء اللّه، واللّه لوتهلكون ما يعبد اللّه في الأرض إلا بالافتراء على اللّه و «اللعن لأهل بيت نبيّه» انتدبوا مع أحمر بن شميط، وإنّكم لوتلقونهم تقتلونهم إن شاء اللّه.

وكان بعض رؤساء الأرباع بالكوفة ممن كان مع ابن الأشتر رأوه كأنّه متهاون بأمر المختار ففارقوه وانصرفوا عنه إلى الكوفة، فاليوم دعاهم المختار وبعثهم مع أحمر بن شميط، وخرج الأحمر فعسكر في حمّام أعين، وبعث المختار معه جيشا كثيفا. وبعث الأحمر على مقدّمته عبد اللّه بن كامل الشاكري الهمداني إلى المذار بأرض البصرة، وخرج هوخلفه‏[[444]](#footnote-444).

ص: 227

أنصار المختار بالمذار

بلغ ابن كامل الشاكري الهمداني المذار، وورد خلفه ابن شميط، وجاء عسكر مصعب حتّى عسكروا قريبا منهم. فجعل الأحمر الشاكري على ميمنته، وعلى الرجّالة كثير بن إسماعيل الكندي، وعلى الخيل رزين عبد بني سلول، وكيسان مولى عرينة على الموالي وكان كثير منهم على الخيول، وجعل على ميسرته عبد اللّه بن وهب الجشمي. وكان قد لقي بعض أهل الكوفة من الموالي ما يكرهون، ومنهم هذا الجشمي فأحبّ اليوم إن كانت الدّبرة عليهم أن يكون الموالي رجالا لئلّا ينجوأحد منهم! فجاء إلى الأحمر وقال له: إنّي أخاف إن طورد الموالي ساعة وضوربوا وطوعنوا أن يطيروا على متون خيولهم ويسلموك! فإنّهم أهل خور! وأنت تمشي فمرهم أن ينزلوا معك، فإنّك إن أرجلتهم لم يجدوا بدّا من الصبر معك! وظن ابن شميط أنّ الجشمي إنّما أراد بذلك نصحه ليصبروا ويقاتلوا. فقال لهم: يا معشر الموالي! انزلوا معي فقاتلوا. فنزلوا يمشون مع رايته.

وجاء مصعب وقد جعل على خيله عبّاد بن الحصين، فجاء عبّاد حتّى دنا من ابن شميط وأصحابه فناداهم: إنّا ندعوكم إلى كتاب اللّه وسنّة رسوله وبيعة أمير المؤمنين عبد اللّه بن الزبير. فأجابوه: ونحن ندعوكم إلى كتاب اللّه وسنّة رسوله وبيعة الأمير المختار وإلى أن نجعل هذا الأمر شورى في «آل رسول اللّه» فمن زعم أنّه ينبغي له أن يتولّى عليهم جاهدناه! وأمره مصعب أن يحمل عليهم. فحمل عليهم فما زالوا حتّى رجع إلى موضعه. فحمل المهلّب الأزدي في ميسرته على الشاكري في ميمنة المختار فجال أصحاب الشاكري وثبت هوومن معه حتّى انصرف المهلّب إلى مكانه وتوقّفوا ساعة.

ص: 228

ثمّ قال المهلّب لأصحابه: إنّ القوم بجولتهم قد أطمعوكم فيهم فكرّوا عليهم كرّة صادقة! ثمّ حمل عليهم حملة منكرة صبروا لها ثمّ هزموا.

ثمّ حمل الناس جميعاً على ابن شميط البجلي ومعه بجلة وخثعم فتنادوا معه الصبر الصبر! فناداهم المهلّب: بل الفرار الفرار علام تقتلون أنفسكم مع هؤلاء العبيد؟! ومال بخيله على الرجّالة مع ابن شميط فقاتل حتّى قتل، وافترقت الرجّالة حوله ثمّ انهزمت في الصحراء.

فدعا المصعب بعبّاد بن الحصين على الخيل وقال له: خذهم اسراء فاضرب أعناقهم!

وكان محمّد بن الأشعث على خيل أهل الكوفة ممّن فرّوا من المختار، فسرّحهم مصعب وقال لهم: دونكم ثأركم! فكانوا أشدّ عليهم من أهل البصرة! لا يدركون منهزما ولا يأخذون أسيرا إلا قتلوه! فأبيدت تلك الرجّالة ولم ينج منهم إلا طائفة من أهل الخيل.

وكان معاوية بن قرة قاضي البصرة يقول: إنّ دماءهم كانت أحلّ عندنا من الترك والديلم!

وحيث كان المختار قد وعدهم النصر فلمّا بلغ الموالي العجم مع المختار ما لقي إخوانهم قالوا بالفارسيّة: «اين بار دروغ گفت!»: كذب هذه المرّة[[445]](#footnote-445)!

مصعب إلى الكوفة

وأقبل مصعب بجيشه حتّى بلغ كسكر، ثمّ حمل الرجال وأثقالهم وضعفاء الناس في السفن، في نهر كان يقال له: نهر خورشاد ثمّ نهر قوسان ثمّ إلى الفرات.

ص: 229

وبلغ المختار ذلك فحصّن قصره بحصار له واستعمل على الكوفة عبد اللّه ابن شدّاد البجلي ثمّ سار بأنصاره حتّى نزل بهم في السيلحين حيث مجتمع الأنهار نهر السيلحين ونهر الحيرة ونهر القادسيّة ونهر يوسف فسدّ أفواهها فذهب ماء الفرات في هذه الأنهار فرست سفن البصريين في الطين، فخرجوا يمشون، وجاءت خيل منهم فكسروا السدّ الذي عمله المختار. وأقبل المختار حتّى نزل حروراء بينهم وبين الكوفة.

وجعل على ميمنته سليم بن يزيد الكندي، وعلى ميسرته سعيد بن منقذ الثوري الهمداني، وعلى الخيل عمر بن عبد اللّه النهدي، وعلى الرجال مالك بن عمروالنهدي، وعلى شرطته عبد اللّه بن قراد الخثعمي، ثمّ بعث اثنين منهم إلى خمسين من أخماس البصرة: فبعث الثوري صاحب ميسرته على بكر بن وائل وعليهم مالك بن مسمع البكري، وبعث الكندي صاحب ميمنته إلى بني تميم وعليهم الأحنف بن قيس! وكان على بيت مال المختار عبد الرحمن بن شريح الشبامي فبعثه إلى عبد قيس البصرة وعليهم مالك بن المنذر العبدي، وبعث عبد اللّه ابن جعدة المخزومي إلى أهل عالية البصرة وعليهم قيس بن الهيثم السلمي، وبعث مسافر بن سعيد الناعطي إلى أزد البصرة وعليهم زياد بن عمروالعتكي.

وأبقى مصعب على خيله عبّاد بن الحصين الحبطي، وجعل على الرجّالة مقاتل بن مسمع البكري، وعكس أمر الميمنة والميسرة فجعل عليها عمر بن عبيد اللّه التيمي وجعل المهلّب الأزدي على ميمنته، وأبقى محمّد بن الأشعث على أهل الكوفة وبعثه حتى نزل بينه وبين المختار ميامنا مغرّبا، فأرسل المختار إليه السائب بن مالك الأشعري، ووقف هوفي بقيّة أصحابه‏[[446]](#footnote-446).

ص: 230

حرب مصعب والمختار

وتزاحف الناس ودنا بعضهم من بعض، وبدأ الثوري في ميسرة المختار على بكر بن وائل البصرة في ميسرتهم، ومعه الشبامي على عبد قيس البصرة، فقاتلوهم قتالًا شديداً وصبروا لهم، فإذا تراجع الثوري بجمعه حمل الشبامي وبالعكس وربّما حملا معا. وبعث المختار إلى ابن جعدة المخزومي أن احمل على من بإزائك وهم أهل عالية البصرة، فحمل عليهم فكشفهم حتّى انتهوا إلى المصعب! وأخذ المصعب يرمي بسهامه، ثمّ تحاجزوا. وبعث المصعب على المهلّب وهوفي خمسين من أخماس البصرة كثيري الفرسان والعدد وهم جامّون لم يحملوا، فأمرهم المهلّب بالحملة على من يليهم، فحملوا حملة منكرة حتّى حطّموا أنصار المختار وكشفوهم، وانقصفوا انقصافة شديدة كأنّهم أجمة شبّ فيها حريق!

وكان مالك بن عمروالنهدي على رجّالة المختار فأخذ ينادي: أين أهل البصائر والصبر! فثاب إليه خمسون منهم عند المساء فكرّبهم على محمّد بن الأشعث وأصحابه فقتلوه وعامّة أصحابه وقتل مالك.

وانكشفت ميسرة المختار مع الثوري وثبت معه سبعون من قومه فقتلوا.

وانكشفت ميمنة المختار مع سليم الكندي وثبت معه تسعون من قومه فقتلوا.

ومرّ المختار بأنصاره على مقتل مالك النهدي وابن الأشعث والكوفيّين ثمّ توقّف على فم سكّة شبث بن ربعي فنزل ونادى: يا معشر الأنصار كرّوا على الثعالب الرّواغة، وحمل على من يليه من أهل البصرة فقاتلهم وهويريد ألا يبرح وقاتل هزيعا من الليل حتّى انصرفوا عنه، وقاتل معه تلك الليلة رجال من أهل الحفاظ من أنصاره حتّى قتلوا.

ص: 231

فلمّا تفرّقوا عن المختار قال له أنصاره: أيّها الأمير! قد ذهب القوم، فانصرف إلى منزلك بالقصر.

فقال لهم: أما واللّه ما نزلت وأنا اريد أن أرجع إلى القصر، فأمّا إذا انصرفوا فاركبوا بنا على اسم اللّه! فركب وانسحب حتّى دخل دار الإمارة بالكوفة[[447]](#footnote-447).

مصير عبيد اللّه بن عليّ (ع)

مرّ الخبر: أنّ المختار لمّا سمع بعزم مصعب على الخروج إليه، بادر بإرسال جمع من أنصاره مع أحمر بن شميط البجلي إلى مذار البصرة، وأنّ مصعبا لمّا خرج من البصرة إلى المذار في أراضي البصرة قدّم أمامه عبّاد بن الحصين الحبطي التميمي على مقدّمته‏[[448]](#footnote-448) ثمّ لمّا كرّ توجّه إلى حروراء الكوفة لحرب المختار جعل هذا الحبطي التميمي على الخيل‏[[449]](#footnote-449) ثمّ لم يذكر الخبر له أيّة مقدّمة لجيشه إلى حروراء الكوفة.

وفي خبر الراوندي عن الباقر (ع) أنّ عبيد اللّه بن عليّ (ع) لمّا لم يسلّم له المختار زمام اختياره بعد حصار ابن الحنفيّة ونفيه إلى جبال رضوى، غضب وذهب إلى مصعب بالبصرة (كذا) فلمّا خرج مصعب لقتال أهل الكوفة قال له عبيد اللّه: ولّني قتال أهل الكوفة! فكان على مقدّمة مصعب لمّا التقوا بحروراء (وليس بالمذار) فلمّا حجز الليل بينهم أصبحوا ووجدوه في فسطاطه مذبوحاً لا يدرى من قتله! كما قال له أبوه عليّ (ع): كأنّي بك وقد وجدت مذبوحا في خيمة[[450]](#footnote-450).

ص: 232

وعليه فهومقتول مجهول قاتله وليس أصحاب المختار! وفي حروراء وليس في المذار. هذا ويظهر أنّه نسب إليه قبر بالمذار قبل عصر الطوسي، كما حكى ذلك ابن إدريس عن رسالة «المسائل الحائريّات» قال لمّا سأله السائل عمّا ذكره المفيد في «الإرشاد»: أنّ عبيد اللّه قتل مع أخيه الحسين (ع)؟ فأجاب:

بأنّه قتله أصحاب المختار بالمذار! وقبره معروف هناك عند أهل تلك البلاد! وزاد ابن إدريس: أنّ قبره هناك ظاهر والخبر بذلك متواتر! وعلّق المحقّق: أنّ ذلك لا يوجد في «المسائل الحائريات» للطوسي‏[[451]](#footnote-451)!

وروى أبومخنف قال: فلمّا أصبح المصعب أخذ يسير بمن معه نحوسبخة الكوفة فلاقاه المهلّب فقال له: يا له فتحا ما أهنأه لولم يكن قتل محمّد بن الأشعث! قال: صدقت فرحم اللّه محمّدا ثمّ قال له: أعلمت أنّ عبيد اللّه بن عليّ ابن أبي طالب قد قتل! أما إنّه كان يحبّ أن يرى هذا الفتح ثمّ لا نجعل أنفسنا أحقّ منه بشي‏ء مما نحن فيه! وكأنّه خاف أن يتّهم بقتله فقال: أتدري من قتله؟

إنّما قتله من يزعم أنّه «شيعة» لأبيه! أمّا إنّهم قد قتلوه وهم يعرفونه‏[[452]](#footnote-452) فهو له تأكيد على نسبة قتله إلى «الشيعة» وهذه أقدم بادرة بهذا الاتهام، بحروراء الكوفة وليس بمذار البصرة.

ص: 233

مصعب وحصار المختار

كان ممّن خرج على المختار في الكوفة عبد الرحمن بن مخنف الأزدي ففرّ إلى مصعب بالبصرة، فلمّا عزم مصعب على حرب الكوفة دعا عبد الرحمن وقال له: انسلّ إلى الكوفة فادعهم سرّا إلى بيعتي واستخرج منهم إليّ كلّ من قدرت عليه فادّعى أبومخنف له أنّه انسلّ إلى الكوفة ولكنّه تستّر ولم يتكلّم بشي‏ء[[453]](#footnote-453) فلمّا وصل مصعب إلى الكوفة خرج إليه جمع من أهل الكوفة وفيهم عبد الرحمان فقال له: ما صنعت فيما كنت وكّلتك به؟ قال: أصلحك اللّه وجدت الناس صنفين: أمّا من كان له هوى فيك فقد خرج إليك، وأما من كان يرى رأي المختار فلم يكن ليدعه ولا ليؤثّر عليه أحداً! فلم أبرح بيتي حتّى قدمت. فصدّقه مصعب وبعثه إلى جبّانة السبيع، وبعث عبد الرحمان بن محمّد بن الأشعث الكندي إلى الكناسة، وبعث عبّاد بن الحصين الحبطي التميمي إلى جبّانة كندة، وبعث زحر بن قيس الجعفي إلى جبّانة مراد، وكان معه عبيد اللّه بن الحرّ الجعفي فبعثه إلى جبّانة الصائديين من همدان، كلّهم ليقطعوا عن المختار وأصحابه الماء والمادّة!

فأصابهم جهد شديد فكانوا يعطون على القربة الدينار والدينارين، وربّما خرج المختار بجمع من أصحابه فيقاتلون قتالًا ضعيفا لا نكاية له، فكانوا يصبّون عليهم الماء القذر والحجارة من فوق البيوت! وأحيانا كان يخرج بعض نسائهم إليهم وقد التحفت على ماء وطعام وكأنّها تريد المسجد للصلاة أوتأتي أهلها أوتزور ذات قرابة لها فإذا دنت من القصر دخلته لزوجها أولحميمها بطعام‏

ص: 234

وشراب.

وكان إذا اشتدّ عليهم العطش في قصرهم استقوا من البئر في القصر وأمر بصبّ عسل فيه ليغيّر طعمه فيشربوا منه، فكان أكثرهم يرتوي منه.

ثمّ أمر مصعب ليقتربوا من القصر، فنزل عبّاد الحبطي التميمي عند مسجد جهينة حتّى مسجد بني مخزوم فمنع النساء من الوصول إلى القصر. وبعث مصعب زحر بن قيس فنزل عند الحدّادين وباعة الدّواب! وبعث عبيد اللّه بن الحرّ فنزل عند دار بلال، وبعث حوشب بن يزيد فوقف في فم سكّة من زقاق البصريّين، ونزل المهلّب الأزدي في (چهار سوق- مفترق طرق) خنيس، وجاء عبد الرحمان بن مخنف إلى دار السقاية، وبادر شباب من الكوفة والبصرة إلى السوق.

ثمّ أقبل هؤلاء الأمراء والرؤوس من كلّ جانب، فلم يكن لأصحاب المختار طاقة عليهم فدخلوا القصر واشتدّ عليهم الحصار، فكان المختار يقول لهم: انزلوا بنا فلنقاتل. فلا يقبلون ضعفا وعجزا، فكان يقول: أمّا أنا فواللّه لا أعطي بيدي ولا احكّمهم في نفسي.

وكان عبد اللّه بن جعدة بن هبيرة المخزومي مع المختار فلمّا رأى ذلك تدلّى بحبل من القصر حتّى اختبأ عند إخوانه.

وكان معه السائب بن مالك الأشعري صهر أبي موسى الأشعري ومعه ابنه محمّد صبيّ أومراهق، فلمّا أراد المختار الخروج من القصر للقتال قال له:

ماذا ترى؟ قال: الرأي رأيك .. فهنا روى أبومخنف عن المختار قال: إنّما أنا رجل من العرب، فرأيت ابن الزبير انتزى على الحجاز، ورأيت نجدة الخارجي انتزى على اليمامة ومروان على الشام فلم أكن دونهم فأخذت هذه البلاد فكنت‏

ص: 235

كأحدهم، إلا أنّي قد طلبت بثأر «أهل بيت النبيّ» إذ نامت العرب عنه فقتلت من شرك في دمائهم وبالغت في ذلك إلى يومي هذا! فاسترجع السائب‏[[454]](#footnote-454).

مصير المختار وأنصاره‏

روى أبومخنف قال: لمّا رأى المختار ما بأصحابه من ضعف وفشل اغتسل وتحنّط وتطيّب، وإنّما تبعه للخروج من القصر تسعة عشر رجلًا. ونادى أصحاب مصعب قال لهم: أتؤمّنوني وأخرج إليكم؟ قالوا: لا، إلا على حكمنا. فقال: لا احكّمكم في نفسي أبداً.

ثمّ ضاربهم بسيفه وضاربوه حتّى قتلوه ومن معه من أصحابه، قتله رجلان أخوان من بني حنيفة من تميم، عند موضع الزيّاتين‏[[455]](#footnote-455).

ولمّا كان الغد من قتل المختار نزل أنصاره على الحكم! فبعث إليهم مصعب عبّاد بن الحصين الحبطي التميمي، فنزعهم أسلحتهم وكتّفهم وأخرجهم مكتّفين!

وكان فيهم من قوّاد المختار رئيس شرطته عبد اللّه بن قراد، فلمّا دخلوا عليه فأخذوا سيفه وكتّفوه وأخرجوه مكتوفا أدركته الندامة فأخذ يطلب حديدة أوعصا أوشيئاً يقاتل به فلم يجده! وكأنّ عبد الرحمان بن محمّد بن الأشعث عرفه أنّه قاتل أبيه فنزل إليه وقال: أدنوه منّي، فأدنوه منه فضرب عنقه.

وكان من أشراف أنصار المختار عبد اللّه بن شدّاد الجشمي ومعه ابنه شدّاد، وطلب عبد الرحمان من مصعب أن يدفع إليه ابن شدّاد، فأمر له به، فجاء وأخذه‏

ص: 236

فضرب عنقه، وترك ابنه.

وجاءوا إلى مصعب ببجير بن عبد اللّه المسلمي ومعه منهم ناس كثير، فقال المسلمي: الحمد للّه الذي ابتلانا بالإسار وابتلاك بأن تعفوعنّا ... ومن عفا عفا اللّه عنه وزاده عزّا ومن عاقب لم يأمن القصاص! يابن الزبير! نحن أهل قبلتكم وعلى ملّتكم، ولسنا تركاً ولا ديلماً ... وقد ملكتم فاسجحوا وقد قدرتم فاعفوا ... فما زال بهذا القول ونحوه حتّى رقّ لهم الناس ورقّ لهم مصعب وأراد أن يخلّي سبيلهم.

فقام عبد الرحمان بن محمّد بن الأشعث وقال لمصعب: يابن الزبير اخترنا أواخترهم!

وقام محمّد بن عبد الرحمان الهمداني وقال له: قتل أبي وخمسمائة من أشراف أهل المصر وعشيرة همدان ثمّ تخلّى سبيلهم؟! اخترنا أواخترهم!

وقام كلّ قوم اصيب منهم رجل فقالوا نحوا من هذا القول، فلمّا رأى مصعب ذلك أمر بقتلهم.

وكان فيهم مسافر بن سعيد بن نمران فقال لمصعب: يابن الزبير! ما تقول للّه إذا قدمت عليه وقد قتلت امّة من المسلمين- صبرا- حكّموك في دمائهم! فكان الحقّ ألا تقتل نفسا بغير نفس. وفينا رجال كثير لم يشهدوا من حربنا وحربكم يوماً واحدا وإنّما كانوا في الجبال والسواد يجبون الخراج ويؤمّنون السبيل! فإن كنّا قتلنا عدّة رجال منكم فاقتلوا عدّة من قتلنا منكم وخلّوا سبيل بقيّتنا! فلم يتكلّم.

ثمّ أمر مصعب أن يقطعوا كفّ المختار فيسمّروها بمسمار إلى جانب المسجد الجامع! ففعلوا ذلك‏[[456]](#footnote-456).

ص: 237

وقال الواقدي: كان المختار حين وقف لمصعب في عشرين ألفا! وتوجّه منهم نحوالقصر ثمانية آلاف لم يجدوا من يقاتل بهم ووجدوا المختار في القصر .. فأقام مصعب يحاصره أربعة أشهر، يخرج إليهم في سوق الكوفة فيقاتلهم من وجه واحد ولا يقدرون عليه حتّى قتل المختار. فلمّا قتل المختار بعث من في القصر يطلب الأمان فأبى مصعب حتّى ينزلوا على حكمه، فلمّا نزلوا على حكمه وهم ثمانية آلاف سبعة آلاف من العرب وسائرهم عجم! فلمّا خرجوا أراد مصعب أنّ يترك العرب ويقتل العجم!

فقال له من معه: أيّ دين هذا؟! تقتل العجم وتترك العرب ودينهم واحد! فقدّمهم فضرب أعناقهم.

وعن النميري البصري عن المدائني: أنّ مصعبا شاور أصحابه في من نزل على حكمه من المحصورين في القصر، فقال ابن الأشعث وأمثاله: اقتلهم، وكان معهم عبيد اللّه بن الحرّ الجعفي فقال له: أيّها الأمير، ادفع كلّ رجل منهم إلى عشيرته تمنّ بهم عليهم، ولا غنى بنا عنهم في ثغورنا، وادفع عبيدنا إلى مواليهم فإنّهم لأيتامنا وأراملنا وضعفائنا يردّونهم إلى أعمالهم، واقتل الموالي فإنّه قد بدا كفرهم وعظم كبرهم وقلّ شكرهم.

وكان الأحنف التميمي ساكتا فقال له مصعب: وما ترى يا أبا بحر؟ فعرّض بقتلهم كلّهم فقتلهم كلّهم!

وكان ذلك للرابع عشر من شهر رمضان من سنة سبع وستّين، وللمختار سبع وستّون سنة[[457]](#footnote-457).

ص: 238

وأحضر مصعب امرأتي المختار: امّ ثابت بنت سمرة بن جندب الأنصاري الفزاري فقال لهما: ما تقولان في المختار؟ فقالت: ما نقول فيه إلا ما تقولون أنتم فيه، فقال لها: فاذهبي.

وقال لعمرة بنت النعمان بن بشير الأنصاري: ما تقولين فيه؟ قالت: رحمة اللّه عليه، إنه كان عبداً من عباد اللّه الصالحين! فأمر بحبسها وكتب فيها إلى أخيه عبداللّه وقال: إنّها تزعم أنّه نبيّ! فكتب إليه بقتلها! فأخرجها بعد العتمة إلى ما بين الكوفة والحيرة فضربها قاتلها ثلاث ضربات بالسيف فقتلها وهي تصرخ: يا أبتاه! يا أهلاه! يا عشيرتاه‏[[458]](#footnote-458)!

وحجّ مصعب فلقي عبد اللّه بن عمر زوج صفية اخت المختار، فسلّم عليه وكأنّه كان لا يعرفه فعرّفه بنفسه أنّه مصعب فقال له ابن عمر: أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة! قال مصعب: إنّهم كانوا كفرة سحرة! (فهومنبع هذا التشنيع) فقال ابن عمر: واللّه لو قتلت عدّتهم غنماً من تراث أبيك لكان ذلك سرفاٌ[[459]](#footnote-459)!

ص: 239

مصير إبراهيم بن الأشتر

كان سواد العراق وجبال شماله وشطر من إيران تابعا لحكومة الكوفة، فلمّا قتل المختار طمع عبد الملك بن مروان في تطميع النخعيّ في الموصل في حكم العراق فكتب إليه: أمّا بعد، فإنّ آل الزبير انتزوا على أئمة الهدى! ونازعوا الأمر أهله! وألحدوا في بيت اللّه الحرام! واتّخذوا الحرام حلًا! واللّه ممكّن منهم وجاعل دائرة السوء عليهم. وإنّي أدعوك إلى اللّه وإلى سنّة نبيّه، فإن قبلت وأجبت فلك سلطان العراق ما بقيت وبقيت، عليّ عهد اللّه وميثاقه بالوفاء بذلك.

وبعث مصعب عمّاله على السواد والجبال، وخاف التحاق النخعيّ بالأموي فقدم رسوله بكتاب مصعب إلى ابن الأشتر وفيه: أمّا بعد، فإنّ اللّه قد قتل المختار «الكذّاب» و «شيعته الذين دانوا بالكفر وكادوا بالسحر!» وإنّا ندعوك إلى كتاب اللّه وسنّة نبيّه وإلى بيعة أمير المؤمنين! فإن أجبت إلى ذلك فأقبل إليّ، فإنّ لك أرض الجزيرة وأرض المغرب (مغرب العراق- الشام) كلّها! ما بقيت وبقي سلطان آل الزبير، لك بذلك عهد اللّه وميثاقه وأشدّ ما أخذ اللّه على النبيّين من عهد أوعقد، والسلام.

فدعا إبراهيم أصحابه فأقرأهم الكتابين واستشارهم الرأي، فقائل يقول: عبد الملك، وقائل يقول: ابن الزبير. فقال لهم: ورأيي اتّباع أهل الشام، ولكن كيف لي بذلك وليست قبيلة بالشام إلا وقد وترتها! ولست بتارك عشيرتي وأهل مصري‏[[460]](#footnote-460)! فكتب إلى مصعب، فكتب إليه مصعب أن أقبل فأقبل إليه‏[[461]](#footnote-461) فلمّا بلغ‏

ص: 240

ذلك إلى مصعب بعث المهلّب الأزدي البصري إلى عمل‏[[462]](#footnote-462) إبراهيم على الموصل والجزيرة وأذربيجان وأرمينية، وأقام مصعب بالكوفة[[463]](#footnote-463) أميرا على العراقين وتوابعهما من إيران.

وبذلك تعاظم أمره، ورأى أخوه عبد اللّه أنّ مروان بن الحكم إن حكم تصبح حكومته ملوكيّة وراثيّة كما فعل معاوية قبله، فتوارثها ابنه عبد الملك، فأراد عبد اللّه أن يربّي لها ابنه الأكبر حمزة[[464]](#footnote-464) فعزل مصعبا عن البصرة وولاها ابنه حمزة. فظهرت منه بالبصرة خفّة وضعف وتخليط، كان أحيانا يجود حتّى لا يترك ما يملك، وأحيانا يمنع ما لا يمنع مثله. وكان على الخراج مردانشاه الفارسي فاستحثّه على الخراج فأبطأ عليه فقام عليه بسيفه فقتله! وهمّ بالأشراف أن يضربهم! فكتب الأحنف التميمي بذلك إلى ابن الزبير وسأله أن يعيد عليهم مصعبا، ففعل، فاحتمل حمزة مالا كثيرا من بيت المال معه وترك أباه وذهب إلى‏

المدينة واستودع الأموال عند رجال فذهبوا بها! فلمّا علم ابن الزبير بما فعل قال: أبعده اللّه! أردت أن اباهي به بني مروان! فنكص! فولّى مصعب على الكوفة الحارث بن عبد اللّه بن أبي ربيعة المعروف بالقباع وانصرف إلى البصرة بعد سنة[[465]](#footnote-465) أي في (68 ه-).

ص: 241

مصير عبيد اللّه بن الحرّ

روى المدائني قال: لما قتل المختار قال الناس لمصعب: إنّ ابن الحرّ قد شاقّ ابن زياد ثمّ المختار، ولا نأمنه أن يثب بالسواد كما كان يفعل. فحبسه مصعب (بالكوفة، قبل أن يعود للبصرة).

وتوصّل ابن الحرّ إلى وجوه مذحج (وهومنهم) وقال لهم: سعى بي قوم كذبة وخوفوا مصعبا ممّا لم أكن أفعله! وما لم يكن من شأني! فحبسني على غير جرم، فاتوه وكلّموه في أمري. فوعدوه ذلك. فأرسل إلى فتيانهم قال: أرسلت قوما إلى مصعب يكلمونه في أمري، فالبسوا سلاحكم وليكن مستورا بثيابكم، واذهبوا معهم وقفوا ببابه، فإن خرج القوم وقد شفّعهم فلا تعرضوا لشي‏ء، وإن خرجوا ولم يشفّعهم فكابروا السجّانين وأنا اعينكم من داخل! فجاء القوم من مذحج فدخلوا على مصعب فكلّموه فشفّعهم وأطلقه.

فلمّا أتاه الناس يهنئونه قال لهم: قد عهد إلينا رسول اللّه (ص): أن «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» وما رأينا بعد الأربعة الماضين‏[[466]](#footnote-466) إماما صالحا ولا وزيرا تقيّا، كلّهم عاص مخالف، قويّ الدنيا ضعيف الدين، فعلام تستحلّ حرمتنا ونحن أصحاب النخيلة والقادسيّة وجلولاء ونهاوند! نلقى الأسنة بنحورنا والسيوف بجباهنا، ثمّ لا يعرف لنا حقّنا وفضلنا! فقاتلوا عن حريمكم، فأيّ الأمر ما كان فلكم فيه الفضل، وإنّي قد قلبت ظهر المجن! وأظهرت لهم العداوة فإنّ هذا الأمر لا يصلح إلا لمثل خلفائكم الماضين، وما نرى لهم فينا ندّا ولا شبيها فنلقي بأزمّتنا إليه ونمحضه نصيحتنا، فإن كان إنّما هو «من عزّ بزّ» فعلام نعقد لهم بيعة في أعناقنا وليسوا بأشجع منّا لقاء ولا أعظم منّا غناء .. ولا قوّة إلا باللّه!

ص: 242

وحيث كان هو من مراد من مذحج، أرسل إليه مصعب سيف بن هانئ (ابن عروة) المرادي فقال له: إنّ مصعبا يعطيك خراج بادوريا على أن تبايع وتدخل في طاعته! فأبى.

فبعث مصعب إليه الأبرد الرياحي في نفر لقتاله، فقاتله ابن الحرّ فهزم الأبرد الرياحي. فبعث مصعب إليه حريث بن زيد في نفر، فقاتله ابن الحرّ فقتله وهزم جمعه. فبعث مصعب إليه الحجّاج بن حارثة الخثعمي فلقيه على نهر صرصر فقاتله ابن الحرّ فهزم الخثعمي.

فأرسل مصعب قوما إليه يدعونه إلى أن يؤمّنه ويولّيه أيّ بلد شاء! فأبى.

وكان على الفلّوجة دهقان يدعى تيز جشنش (بالفارسية) فأتاه ابن الحرّ ففرّ الدهقان بمال الفلّوجة إلى عين التمر وعليها بسطام بن مصقلة بن هبيرة الشيباني ومعه مائة وخمسون فارساً، وتابع ابن الحرّ الدهقان، فخرج إليه بسطام بجمعه، ووافاهم الحجّاج الخثعمي كرّة، فبارزه الحجّاج فأسره ابن الحرّ، وبارزه بسطام فأسره أيضاً، وبعث دلهم المرادي بفوارس من أصحابه يطلبون الدهقان فأصابوه وأخذوا الأموال، فأخذها وتركهم إلى تكريت فهرب عاملها، فأقام ابن الحرّ بها يجبي الخراج.

فوجّه مصعب إليه الأبرد الرياحي والجون الهمداني في ألف فارس، وأمدّهما المهلّب من الموصل بخمسمائة مع يزيد بن المغفّل، فتقاتلوا وقتل كثير من فرسان ابن الحرّ وتحاجزوا مساء فخرج من تكريت إلى الشام ثمّ عاد بهم إلى الكوفة ليخوّف مصعبا، فأتى على كسكر فنفى عاملها وأخذ بيت مالها، ثمّ أتى الكوفة إلى دير الأعور، فبعث إليه مصعب حجّار بن أبجر فقاتله ابن الحرّ فهزمه، فضمّ مصعب إليه الجون الهمداني وعمر بن معمر، فانهزم حجّار ثمّ كرّ وقاتلوه كلّهم، فكثرت الجراحات في أصحاب ابن الحرّ وعقرت خيولهم حتّى أمسوا، وخرج ابن الحرّ إلى المدائن.

ص: 243

وكان مصعب قد جعل على المدائن يزيد بن الحارث الشيباني، فكتب إليه بقتال ابن الحرّ، فقدّم يزيد ابنه حوشبا بجمع فلقي ابن الحرّ في باجسرا، فقاتله ابن الحرّ فهزمه وأقبل ليدخل المدائن فتحصّنوا، ثمّ توجّه إليه بشر الأسدي إلى تامرّا فلقيه ابن الحرّ فقتله وهزم أصحابه، وتوجّه إليه جون الهمداني في حولايا، فقاتله ابن الحر فهزمهم وتبعهم، فخرج إليه بشير العجلي فالتقوا في سورا فاقتتلوا قتالًا شديدا ثمّ انحاز بشر عنه فرجع إلى عمله. وأقام ابن الحرّ يغير على السواد ويجبي الخراج.

وكأنّ مصعباً خرج من الكوفة إلى البصرة واستخلف عليها الحارث بن أبي ربيعة، فتوجّه ابن الحرّ إليه وبلغ ذلك بني قيس عيلان وكان ابن الحرّ قد هجاهم بشعره، فسألوا الحارث أن يبعث معهم جيشا لحرب ابن الحر فوجّه معهم، فلقوه وقاتلوه ساعة ثمّ غرق فرسه فركب بلما ليعبر فتصايح الأنباط: هذا طلبة أمير المؤمنين فضربوه بالمرادي فغرق واستخرجوه وحزّوا رأسه فبعثوا به إلى الكوفة ثمّ البصرة[[467]](#footnote-467).

ص: 244

الأزارقة بعد ابن الحرّ

أوقع المهلّب الأزدي بالأزارقة الخوارج أتباع نافع بن الأزرق بالأهواز فلحقوا بفارس ونواحي إصفهان وكرمان، وقتل الأزرق فبايعوا الزبير بن ماحوز.

فلمّا شخص المهلّب عن ذلك الوجه ووجّه عاملا على الموصل وضواحيها، وجعل على فارس عمر بن معمر، اذ حطّت الأزارقة عليه مع ابن ماحوز إلى فارس فلقيهم في شاپور فقاتلهم قتالًا شديدا حتّى غلبهم فتركوا المعركة وذهبوا حتّى نزلوا بإصطخر فارس، فسار إليهم حتّى لقيهم على قنطرة طمستان، فقاتلهم قتالًا شديدا حتّى غلبهم فقطعوا القنطرة وارتفعوا إلى إصفهان ثمّ كرمان فأقاموا بها. حتّى قووا وكثروا واستعدّوا وأقبلوا حتّى مرّوا بفارس فأخذوا على شاپور ثمّ خرجوا على أرجان ثمّ توجّهوا قبل الأهواز، وتبعهم عمر بن معمّر فالتقى بهم هناك، وبلغ إقبالهم إلى مصعب بالبصرة في ولايته الثانية فخرج بالناس فعسكر بهم عند الجسر الأكبر.

وأقبل هؤلاء الخوارج الأزارقة حتّى نزلوا الأهواز، فأخبرتهم عيونهم بأنّهم بين مصعب وعمر بن معمر، فسار بهم ابن ماحوز حتّى قطع بهم أرض جوخى ثمّ النهروانات ثمّ لزم شاطئ دجلة حتّى خرج على المدائن، وكان عليها كردم ابن مرثد الفزاري فهرب، فشنّوا الغارة على أهل المدائن يقتّلون الرجال والولدان والنساء ويبقرون الحبالى! ثمّ أقبلوا إلى ساباط المدائن فوضعوا سيوفهم في الناس.

وكان على الكوفة الحارث الملقّب بالقباع فأتاه أهل الكوفة وقالوا له:

إنّ هذا عدوّنا قد أظلّنا فاخرج بنا! فخرج ونزل النخيلة فأقام أيّاماً، وخرج معه إبراهيم بن الأشتر النخعي فقال له: فانهض بنا إليه وأمر بالرحيل! فخرج فنزل‏

ص: 245

دير عبد الرحمان فأقام فيه، وخرج معه شبث بن ربعي التميمي فكلّمه بمثل مقال ابن الأشتر فارتحل إلى الصّراة في بضعة عشر يوماً وقد انتهى إليها أوائل خيول العدو وطلائعه، فلمّا أخبرهم عيونهم بخروج جمع أهل الكوفة إليهم قطعوا الجسر دونهم!

فقال إبراهيم للحارث: اندب معي الناس حتّى أعبر إلى هؤلاء الكلاب! وكان شبث بن ربعي وأسماء بن خارجة الفزاري ويزيد بن الحارث الشيباني ومحمّد بن عمير بن عطارد ومحمّد بن الحارث حاضرين فكأنّهم حسدوا ابن الأشتر فقالوا للحارث: لا تبدأهم دعهم فليذهبوا! واغتنم الحارث ذلك فتحبّس عنهم. فقام رجال وطلبوا منه إعادة الجسر حتّى يعبروا إليهم، فأمر بذلك فاعيد الجسر، فعبر الناس إليهم فطار الخوارج الأزارقة إلى المدائن ثمّ خرجوا منها، فأتبعهم الحارث بعبد الرحمان بن مخنف الأزدي في ستّة آلاف ليخرجهم من أراضي الكوفة فإذا دخلوا أراضي البصرة خلاهم، ففعل ذلك ثمّ انصرف عنهم.

ومضوا إلى إصفهان وعليها عتّاب بن ورقاء فأقاموا عليه وحاصروه، فخرج إليهم فقاتلهم فلم يطقهم وشدّوا على أصحابه حتّى دخلوا المدينة، وأخذ يخرج إليهم في كلّ يوم فيقاتلهم على باب المدينة، ويرمونهم من السور بالنبل والنشّاب والحجارة. وأقاموا عليهم أشهراً حتّى نفدت أطعمتهم واشتدّ عليهم الحصار وأصابهم الجهد الشديد! فخطبهم عتاب وعاتبهم فأعدّهم للخروج في الصباح.

ثمّ إنّه حين أصبح خرج بهم على راياتهم فصبّحهم في معسكرهم وهم آمنون فشدّ عليهم حتّى انتهى إلى ابن ماحوز فقاتل بأصحابه حتّى قتل. وعاد عتّاب فدخل المدينة.

ص: 246

وانحاز الخوارج إلى قطريّ بن الفجاءة فبايعوه، فارتحل بهم إلى كرمان فأقام بها حتّى اجتمع إليه جمع كثير! واجتبى الأموال وأكل الأرض ثمّ عاد إلى إصفهان ثمّ إلى إيذة فإلى الأهواز فأقام بها.

فكتب الحارث إلى مصعب يخبره: أنّ الخوارج قد خرجوا إلى الأهواز، وأنّه ليس لهم إلا المهلّب الأزدي.

فبعث إلى المهلّب وهوعلى الموصل والجزيرة فأمره بالمسير إلى الخوارج وقتالهم، فجاء إلى البصرة.

وبعث إلى عمله إبراهيم بن الأشتر[[468]](#footnote-468) فكأنّه وفى له اليوم بما وعده بعد قتل المختار، بعد أكثر من سنة.

وفيات بعض الأعلام وابن العبّاس‏

في عهد المختار في سنة (66 ه-) مات عدي بن حاتم الطائي، ومن الصحابة زيد ابن أرقم الأنصاري كلاهما بالكوفة. وفي (67 ه-) مات الأحنف التميمي البصري بالكوفة مع المصعب فصلّى عليه ومشى في جنازته بغير رداء!

وفي (68 ه-) بالمدينة: أبوواقد الحارث بن مالك الليثي، وأبوشريح خويلد بن عمروالخزاعي الكعبي، وزيد بن خالد الجهني وجابر بن عبد اللّه الأنصاري الخزرجي.

وعامل المدينة عن ابن الزبير جابر بن الأسود الزهري فطلب سعيد بن المسيّب التابعي على بيعة ابن الزبير فأبى فضربه ستّين أوسبعين سوطاً.

ومات بالطائف: أبوالعبّاس عبد اللّه ابن العباس‏[[469]](#footnote-469).

ص: 247

قال اليعقوبي: وهوابن إحدى وسبعين سنة، وحضره محمّد بن الحنفيّة فصلّى عليه، ودفن في مسجد جامعها، وضرب عليه فسطاط. وكان له خمس بنين أكبرهم العبّاس الأعنق، ومحمّد، والفضل، وعبد الرحمان، وعلي وهوأصغرهم سنّا وتقدّم لنبله.

نقل ذلك اليعقوبي وأرسل عنه قال: أردفني رسول اللّه فقال لي: يا غلام! ألا اعلّمك كلمات ينفعك اللّه بهنّ؟ قلت: بلى يا رسول اللّه! قال: جفّ القلم بما هوكائن؛ ولوجهد الخلق على أن ينفعوك بشي‏ء لم يكتبه اللّه لم يقدروا عليه، ولوجهدوا على أن يضرّوك بشي‏ء لم يكتبه اللّه عليك لم يقدروا! فعليك بالصدق واليقين. وإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب، و «إنّ مع العسر يسرا» وإذا سألت فاسأل اللّه، وإذا استعنت فاستعن باللّه، واذكر اللّه في الرخاء يذكرك في الشدّة، واحفظ اللّه تجده أمامك، واحفظ اللّه يحفظك‏[[470]](#footnote-470).

وقال المسعودي: وكان يخضّب شيبه بالحنّاء وله وفرة شعر طويلة، وقد ذهب بصره لبكائه على عليّ والحسن والحسين (عليهم السلام) وهوالذي يقول:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إن يأخذ اللّه من عينيّ نورهما |  | ففي لساني وقلبي منهما نور |
|  |  |  |

ومصعب لمّا عاد من باجميرا إلى البصرة وأعاد المياه إلى مجاريها، رجع إلى باجميرا، فيبدوأنّ ذلك بلغ عبد الملك بدمشق فخلّف عليها ابن عمّته الأشدق وسار إلى زفر بن الحارث الكلابي في قرقيسيا وبلاد الرحبة.

قال المسعودي: فبلغه أنّ عمراً بدمشق قد دعا الناس إلى بيعته، فكرّ راجعا إليها، فامتنع عمروفيها، وصارت فيما بينه وبين عبد الملك محادثات ومكاتبات‏

ص: 248

وخطب طويل طلبا للملك، وكان ممّا كتب إليه عبد الملك: استدراج النعم إيّاك أفادك البغي، ورائحة الغدر أورثتك الغفلة، زجرت عمّا وافقت عليه، وندبت إلى ما تركت سبيله، ولوكان ضعف الأسباب يؤيّس الطالب لما انتقل سلطان ولا ذلّ عزيز! وعن قريب يتبيّن من صريع بغي وأسير غفلة!

وناشده عبد الملك الرحم بينهم وقال له: لا تفسد أمر أهل بيتك وما هم عليه من اجتماع الكلمة، وفي ما صنعت قوّة لابن الزبير! إرجع إلى بيتك فإنّي سأجعل لك العهد! فرضى وصالح‏[[471]](#footnote-471).

وجرى بينهم السفراء حتّى اصطلحا وتعاقدا وكتبا بينهما كتاباً بالعهود والمواثيق والأيمان على أن لعمروبن سعيد الخلافة بعد عبد الملك، ودخل عبد الملك دمشق‏[[472]](#footnote-472).

وبقي عمرو متحيّزاً في خمسمائة فارس يزولون معه حيث زال.

فقال عبد الملك يوماً لحاجبه: ويحك! أتستطيع إذا دخل عمروأن تغلق الباب دون أصحابه؟ قال: نعم. وكان مروان قد ترك ابنه عبد العزيز على مصر وكان قد قدم هذا ذلك اليوم من مصر فتواطأ عبد الملك معه على قتل الأشدق، وكان الوليد بن عبد الملك قد تزوّج أخت الأشدق، وأمرهما بقتل الأشدق‏[[473]](#footnote-473)! ودعاه إلى قصره ولعلّه بحجّة زيارة أخيه عبد العزيز القادم من مصر.

فتدرّع الأشدق تحت قبائه وقام ليخرج فعثر بالبساط فتطيّرت امرأته نائلة ابنة الفريض وقالت له: انشدك اللّه ألا تأتيه! فأبى وقال لها: دعيني فواللّه لوكنت نائما ما أيقظني! وخرج وكان عمرورجلا عظيم الكبر لا يرى لأحد فضلا عليه، وإذا

ص: 249

[[474]](#footnote-474)

مشى إلى أحد فلا يلتفت وراءه. فلمّا فتح الحاجب الباب ودخل عمرو، أغلق الباب دون أصحابه ومضى عمرولا يلتفت وهويظنّ أنّ أصحابه قد دخلوا كما كانوا يدخلون. فلمّا دخل على عبد الملك قام من هناك من بني أميّة، فعاتبه عبد الملك طويلًا. ثمّ قال له: إنّي كنت حلفت لئن ملكتك لأشدنك في جامعة! فاتي بجامعة فوضعها في عنقه وأخذ يشدّها عليه ويشدّه إليه! فأيقن عمروبالهلاك، فقال له: أنشدك اللّه يا أمير المؤمنين! فقال له عبد الملك: يا أبا اميّة! ما لك جئت في الدرع أللقتال؟! والتفت عمروإلى أصحابه فلم يرهم في الدار! فكلّمه عبد الملك وأغلظ له بالقول.

فقال الأشدق: يا عبد الملك! أتستطيل عليّ كأنّك ترى لك فضلا عليّ؟! واللّه إن شئت نقضت العهد بيني وبينك ثمّ نصبت لك الحرب! فقال عبد الملك: قد شئت ذلك! فقال الأشدق: وأنا قد فعلت! وكان صاحب حرسه يدعى أبا الزعيزعة وكان قد وصّاه أن يضرب عنق الأشدق، فهنا قال له: يا أبا الزعيزعة شأنك! فضربه أبوالزعيزعة فقتله‏[[475]](#footnote-475).

ونقل ابن قتيبة عن أبي معشر قال: فأمر رجلًا عنده يقال له: ابن الزويرع فضرب عنقه، ثمّ أدرجه في بساط تحت سريره.

وكان لعبد الملك أخ من الرضاعة قد تفقّه يقال له: قبيصة بن ذويب الخزاعي (الصحابي) كان عبد الملك يشاوره وقد سلّمه خاتمه‏[[476]](#footnote-476)! فدخل عليه الساعة، ولعلّه لذا أخفى جثة الأشدق، فسأله عبد الملك: كيف رأيك في عمروبن سعيد؟ وأبصر قبيصة رجل عمرو تحت السرير! فقال له: يا أمير المؤمنين اضرب عنقه! فقال عبد الملك: جزاك اللّه خيرا! ما علمتك إلا أمينا ناصحا موفّقا! فما ترى في هؤلاء الذين أحدقوا بنا وأحاطوا بقصرنا؟! وفيه: أنّهم كانوا أربعة

ص: 250

آلاف رجل مسلّح! فقال قبيصة: يا أمير المؤمنين! اطرح رأسه إليهم ثمّ اطرح عليهم الدنانير والدراهم يتشاغلون بها! هذا وهوالخازن. فأمر عبد الملك أن يطرح إليهم رأس عمرومن أعلى القصر وتطرح لهم الدنانير وتُنثر عليهم الدراهم! ففعلوا ذلك. ثمّ ناداهم مناديه: إنّ أمير المؤمنين قد قتل صاحبكم بما كان من القضاء السابق والأمر النافذ! ولكم على أمير المؤمنين عهد اللّه وميثاقه: أن يحمل راجلكم ويكسوعاريكم ويغني فقيركم، ويبلّغكم إلى المائتين في الديوان بل إلى أكمل ما يكون من الرزق والعطاء! فاعرضوا أنفسكم على ديوانكم، ويسلم لكم دينكم ودنياكم! فصاحوا: نعم نعم سمعا وطاعة لأمير المؤمنين‏[[477]](#footnote-477)!

ووافى أخوعمرو: يحيى بن سعيد بمن معه من رجاله إلى باب القصر ليكسره فخرج إليه موالي عبد الملك فاقتتلوا .. ثمّ اخذ أسيرا إلى عبد الملك.

وهكذا اجتمعت الكلمة له وانقاد الناس إليه.

وقال لابنه الوليد وأخيه عبد العزيز: واللّه ما أردت قتله إلا من أجلكم ألا يحوزها دونكم‏[[478]](#footnote-478)!

ثمّ خرج عبد الملك للصلاة فصعد المنبر وذكر عمرا وخلافه وشقاقه فوقع فيه‏[[479]](#footnote-479).

ابن مروان في العراق ومقتل ابن الأشتر

قال المسعودي: في بقيّة سنة سبعين أقام عبد الملك بدمشق، ثمّ نزل إلى قرقيسيا فحاصرها، فنزل زفر بن الحارث العامري الكلابي على إمامة عبد الملك وبايعه وتابعه.

ص: 251

فسار عبد الملك حتى نزل على نصيبين فحاصرها، فنزل يزيد والحبشي من بقايا أنصار المختار على إمامة عبد الملك وانضافوا إليه.

وفي سنة اثنتين وسبعين خرج مصعب في أهل العراق يريد عبد الملك، فدلف إليه عبد الملك في عساكر الشام والجزيرة، وعلى مقدّمته أوساقته الحجّاج بن يوسف الثقفي.

وأخذ عبد الملك يكاتب سرّا رؤساء أهل العراق ممن هم بعسكر مصعب وغيرهم يرغّبهم ويرهبهم.

وممّن كتب إليه إبراهيم بن الأشتر النخعي، فلمّا أوصل جاسوسه كتابه إليه أتى بالكتاب إلى مصعب، فسأله مصعب: أقرأته؟ قال: أعوذ باللّه! فلمّا تأمّل مصعب ما فيه وجده أمانا له وولاية لما شاء من العراق. وقال النخعي:

واللّه ما كاتبني حتّى كاتب غيري، ولا امتنعوا عن إيصالها إليك إلا للرضا به والغدر بك، فأبدأ بهم ثمّ الق هذا الرجل، فأبى ذلك مصعب.

ثمّ سار إبراهيم على مقدّمة مصعب متسرعة ومعه عتّاب بن ورقاء التميمي‏[[480]](#footnote-480) والتقوا في أرض العراق قرب قرية مسكن على شاطئ دجلة، وعلى مقدّمة عبد الملك الحجّاج بن يوسف الثقفي‏[[481]](#footnote-481) أومحمّد بن مروان أخوعبد الملك‏[[482]](#footnote-482).

وكان ممّن دخل في خيل مصعب من أهل الكوفة القاسم بن حبيب بن مظاهر الأسدي الفقعسي، وقاتل أبيه البديل بن صريم التميمي العقفاني، وكان ممّن فرّ من نقمة المختار إلى مصعب بالبصرة، ولم تكن للقاسم همّة إلا اتّباع أثر قاتل أبيه ليجد منه غرّة فيقتله بأبيه! فلمّا غرّه مصعب باجميرا (لغزو ابن مروان)

ص: 252

دخل القاسم عسكره حتّى عرف فسطاط قاتل أبيه، فأخذ يختلف إليه التماس غرّته، حتّى دخل عليه نصف النهار وهوفي قيلولته فضربه بسيفه حتى برد[[483]](#footnote-483).

ثمّ التقوا فاقتتلوا حتّى قرب المساء وقد أشرف إبراهيم على الفتح، فحسده عتّاب التميمي فقال: يا إبراهيم، إن الناس قد جهدوا فمرهم بالانصراف! فقال إبراهيم: وكيف ينصرفون وعدوّهم بإزائهم؟! وكان عتاب على ميمنته فقال له: فمر الميمنة أن تنصرف! فأبى ذلك إبراهيم، فمضى عتاب إليهم وأمرهم بالانصراف فانصرفوا فأكبّت ميسرة الشام عليهم واختلط الرجال وصمدوا لإبراهيم وأسلمه من معه، فنزل ودار به الرجال وازدحموا عليه واشتبكت عليه الأسنّة فقتل، فقيل إنّ قاتله ثابت بن يزيد مولى الحصين بن نمير السكوني الكندي وحمل رأسه‏

إلى عبد الملك، واتي بجسده والقي بين يديه، فجمع مولى الحصين عليه حطباً واحرقه‏[[484]](#footnote-484)!

ص: 253

حرب مصعب وعبد الملك‏

ثمّ سار عبد الملك من موضعه في صبيحة تلك الليلة حتّى نزل بدير الجاثليق (الكاثوليك) من أرض العراق (على فرسخين من الأنبار) وكان عبيد اللّه ابن زياد البكري من زعماء بكر بن وائل وسادات ربيعة ومعه عكرمة بن ربعي فأقبلا برايات بني ربيعة فالتحقوا بعبد الملك ودخلوا في طاعته وأضافوها إليه‏[[485]](#footnote-485)!

قال ابن قتيبة: وكان مصعب وعبد الملك قبل ذلك صديقين متحابّين متصافيين لا يعلم بين اثنين من الناس ما بينهما من الإخاء والصداقة! ولذا تقدّم اليوم هنا عبد الملك وبعث إليه: أن ادن منّي اكلّمك! فدنا منه وتنحّى الناس عنهما.

فسلّم عبد الملك عليه وقال له: يا مصعب قد علمت ما جرى بيني وبينك منذ ثلاثين سنة من الصحبة والإخاء، فواللّه لأنا خير لك من عبد اللّه وأنفع لدينك ودنياك! فثق بذلك منّي وانصرف إليّ وخذ بيعة المصرين (الكوفة والبصرة) والأمر أمرك لا تعصى ولا تخالف. وإن شئت اتّخذتك صاحبا ووزيرا لا تعصى.

فقال مصعب: ما ذكرت من مودّتي وإخائي وثقتي بك، فذلك كما ذكرته ولكنّه قبل قتلك لعمروبن سعيد، وبعد قتلك له فلا يطمأنّ إليك وهوأقرب منّي رحما إليك وأولى بما عندك فقتلته غدرا، وواللّه لوقتلته في محاربة لمسّك عاره ولما سلمت من إثمه.

وأمّا ما ذكرت من أنّك خير لي من أخي فدع عنك أبا بكر وإيّاك وإيّاه لا تتعرّض له واتركه ما تركك! فقال عبد الملك: إنّ فيه لثلاث خصال لا يسود بها أبدا: عجب قد ملأه، واستغناء برأيه، وبخل قد التزمه! فلا يسود بهذه أبدا[[486]](#footnote-486)!

ص: 254

ثمّ تخلّى عن مصعب من كان معه من مضر واليمن! وبقي في نفر يسير منهم ابنه عيسى فقال له: يا بني دعني فإنّي مقتول واركب فرسك فانج بنفسك والحق بمكّة بعمّك فأخبره بما صنع بي أهل العراق! فأبى وتقدّم فقاتل حتّى قتل أمامه.

وكان عليّ بن عبد اللّه بن العباس بعد وفاة أبيه قد التحق بعبد الملك! وكان خالد بن يزيد بن معاوية صهر ابن الزبير مع عبد الملك، وكأنّ محمّد بن مروان رقّ لمصعب، فسأل أخاه عبد الملك أن يؤمّن مصعبا، فاستشار عبد الملك من حضره، فأبى عليّ بن عبد اللّه، ووافق خالد وارتفع الكلام بينهما حتّى تسابّا، ووافق عبد الملك خالداً وأخاه محمّداً فأمره أن يمضي إلى مصعب فيؤمّنه.

فمضى محمّد حتّى وقف قريبا من مصعب ثمّ ناداه: يا مصعب، أنا ابن عمّك! محمّد بن مروان وقد أمّنك أمير المؤمنين! على نفسك ومالك وكلّ ما أحدثت، وأن تنزل أيّ البلاد شئت، فانشدك اللّه في نفسك! فأبى، وقاتل حتّى اثخن بالجراح وعرقب فرسه فترجّل، فأقبل عليه عبيد اللّه بن ظبيان البكري فضربه مصعب على رأسه وضربه عبيد اللّه فقتله، واحتزّ رأسه وأتى به عبد الملك، فسجد عبد الملك! وذلك في يوم الثلاثاًء لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة (72 ه-). وأمر عبد الملك بمصعب وابنه عيسى فدفنا بدير الجاثليق (الكاثوليك)[[487]](#footnote-487).

عبد الملك ملك العراق‏

وسار عبد الملك من دير الجاثليق (الكاثوليك) حتّى نزل النخيلة بظهر الكوفة، فخرج إليه أهله فبايعوه. فوفى لمن وعدهم في مكاتبته إيّاهم سرّا، وخلع‏

ص: 255

وأجاز وأقطع، ورتّب الناس على قدر مراتبهم. ودخل دار الإمارة بالكوفة وقد حمل معه رأس مصعب فجي‏ء به حتّى وضع بين يديه.

فنقل المسعودي عن أبي مسلم النخعي أنّه لمّا رأى ذلك اضطرب، ورآه عبد الملك فسأله، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين! دخلت هذه الدار فرأيت رأس الحسين (ع) بين يدي ابن زياد في هذا الموضع، ثمّ دخلتها فرأيت رأس ابن زياد بين يدي المختار، ثمّ دخلتها فرأيت رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير، وهذا رأس مصعب بين يديك! فوقاك اللّه يا أمير المؤمنين!

فوثب عبد الملك وأمر بهدم طاق ذلك المجلس! كأنّه هوعامل هذه المقاتل!

وكان مع عبد الملك أخوه بشر بن مروان فولاه على الكوفة، وخلّف معه جماعة من أهل الرأي والمشورة من أهل الشام منهم روح بن زنباع الجذامي.

وأرسل الحجّاج بن يوسف الثقفي لحرب ابن الزبير بمكّة، وعاد ببقيّة أهل الشام إلى الشام بعد أن ولّى على البصرة خالد بن عبد اللّه‏[[488]](#footnote-488).

وقال المضاء بن علوان كاتب مصعب: دعاني عبد الملك فقال لي:

علمت أنّه لم يبق من أصحاب مصعب وخاصته أحد إلا كتب إليّ يطلب الأمان والجوائز والصلات والإقطاعات! قلت: يا أمير المؤمنين! وقد علمت أنّه لم يبق من أصحابك أحد إلا وقد كتب إلى مصعب بمثل ذلك وهذه عندي كتبهم!

وجئته بإضبارة عظيمة! فلمّا رآه قال: ما حاجتي أن أنظر فيها فافسد قلوبهم عليّ! يا غلام أحرقها بالنار! فأحرقها.

ثمّ ندب الناس للخروج إلى عبد اللّه بن الزبير، وانتدب الحجّاج لذلك فوجّهه في عشرين ألفا من أهل الشام وغيرهم‏[[489]](#footnote-489).

ص: 256

ولمّا وصل خبر قتل مصعب إلى أخيه عبد اللّه أعرض عن ذكره حتّى تحدّث بذلك الناس في سكك مكّة، فصعد المنبر وجبينه يرشح عرقا فحمد اللّه وأثنى عليه ولم يصلّ على محمّد وآله وقال: إنّه أتانا خبر من العراق أحزننا وأفرحنا وهوقتل مصعب، أحزننا لفراق الحميم ثمّ إلى كريم الصبر وجميل العزاء، وأفرحنا بشهادته‏[[490]](#footnote-490)! وكان مصعب حين قتله ابن أربعين سنة[[491]](#footnote-491).

ولعلّ قتل مصعب غلّب طارق بن عمرومولى عثمان بن عفّان على المدينة داعيا إلى عبد الملك، وأخرج منها والي ابن الزبير طلحة بن عبد اللّه بن عوف‏[[492]](#footnote-492).

ص: 257

حرب الحجّاج وابن الزبير

قال اليعقوبي: كان ابن الزبير يأخذ الحُجّاج بالبيعة له، فلمّا رأى عبد الملك ذلك منعهم من الخروج إلى مكّة (ولعلّه إعدادا لحربه) فضجّ الناس وقالوا: تمنعنا من حجّ بيت اللّه الحرام وهوفرض من اللّه علينا!

فبنى قبة على الصخرة في مسجد بيت المقدس وأقام لها سدنة وعلّق عليها ستور الديباج، وروى له ابن شهاب الزهري: أنّ رسول اللّه لمّا صعد من المسجد

إلى السماء وضع قدمه عليها! وأنّه قال (عن أبي هريرة): «ألا لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس!».

فقال عبد الملك للناس: هذا ابن شهاب يحدّثكم الحديث عن رسول اللّه ..

فهويقوم لكم مقام المسجد الحرام! وهذه الصخرة التي يروي فيها: أنّ رسول اللّه وضع قدمه عليها! فهي تقوم لكم مقام الكعبة! وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة[[493]](#footnote-493).

ثمّ أجمل اليعقوبي في عدد جنود عبد الملك من الشام والكوفة مع الحجّاج لحرب ابن الزبير بمكّة في عشرين ألفا كما مرّ، وفصّله ابن قتيبة فقال: خرج الحجّاج إلى ابن الزبير في ألف وخمسمائة من رجال الشام إلى الطائف، وتابع عبد الملك إرسال الجيوش إليه حتّى توافى عنده قدر ما يظنّ أن يقدر بهم على قتال ابن الزبير فخرج بهم في (هلال) ذي القعدة سنة (72 ه-) إذ خرج بهم من الطائف (عشرين ألفاً) حتّى نزل بمنى.

ثمّ نصب الحجّاج المنجنيق على أبي قبيس وسائر جبال مكّة فحاصر ابن الزبير ومن معه ورماهم بالحجارة[[494]](#footnote-494).

ص: 258

وقال اليعقوبي: فجعلت الصواعق تأخذهم والحجّاج يقول لجنده من أهل الشام: يا أهل الشام! لا تهولنّكم هذه الصواعق فإنّما هي من تهامة! فلم يزل يرميه بالمنجنيق حتّى هدم الكعبة! وكان ابن الزبير شديد البخل فكان يجرى لجنده نصف صاع من تمر! فرأى فيهم تثاقلا فقال لهم: أكلتم تمري وعصيتم أمري‏[[495]](#footnote-495)! فذهب مثلًا جارياً.

وكان ابن الزبير قد منع الحجّاج وجمعه أن يطوفوا بالبيت معتمرين، وجاء الحجّ فوقف الحجّاج بالناس بعرفة محرماً في درع ومغفر! كما لم يخرج ابن الزبير إلى عرفة بسبب الحجّاج حتّى أنّه نحر بمكّة. واستمر حصاره وحربه (سبعه أشهر إلى شهر جمادى الآخرة)[[496]](#footnote-496).

وكان أخوه عروة بن الزبير مع عبد الملك فخرج إليه، وكان عبد الملك قد كتب إلى الحجّاج يأمره بتعاهد عروة وألا يسوؤه في نفسه وماله! وكان مع الحَجّاج عمرو بن عثمان بن عفّان وخالد بن عبد اللّه بن خالد بن أسيد فدعاهم الحَجّاج وعرض عليهم أمان عبد الملك لابن الزبير على ما أحدث ومن معه، وأن ينزل أيّ بلاد شاء. فرجع عروة إلى أخيه وقال له: هذا عمرو بن عثمان وخالد بن عبد اللّه يعطيانك أمان عبد الملك على ما أحدثت ومن معك، وأن تنزل أيّ بلاد شئت، لك بذلك عهد اللّه وميثاقه! فأبت أمّه أسماء بنت أبي بكر وكان لها مائة سنة فهي عمياء، وقالت له: أي بني إيّاك أن تعطي بيدك أوتؤسر! مت كريماً ولا تقبل خطّة تخاف على نفسك منها مخافة القتل. فأبى ابن الزبير[[497]](#footnote-497).

وقال ابن قتيبة: جمع القرشيّين وقال لهم: ما ترون؟ فقال رجل من بني مخزوم: واللّه لقد قاتلنا معك حتّى ما نجد مقاتلا ... وإنمّا هي إحدى خصلتين:

ص: 259

إمّا أن تأذن لنا فنخرج، وإمّا أن تأذن لنا فنأخذ الأمان لك ولأنفسنا. وقال رجل آخر: اكتب إلى عبد الملك، فقال عبد اللّه: أفأكتب إليه: من عبد اللّه أمير المؤمنين! فواللّه لا يقبل منّي هذا أبدا! أم أكتب إليه: لعبد الملك أمير المؤمنين من عبد اللّه بن الزبير! فواللّه لئن تقع الخضراء على الغبراء أحبّ إليّ من ذلك!

وكان أخوه عروة جالساً معه على سريره فقال له: يا أمير المؤمنين! قد جعل اللّه لك اسوة! قال: ومن هواسوتي؟ قال: الحسن بن عليّ بن أبي طالب! إذ خلع نفسه وبايع معاوية! فرفع عبد اللّه رجله عليه وضربه حتّى ألقاه من سريره وقال: لا أقبل شيئاً ممّا تقولون!

ثمّ لمّا أصبح اغتسل وتطيّب وتحنّط ثمّ تقلّد سيفه وخرج حتّى أسند ظهره إلى الكعبة وإنمّا معه نفر يسير[[498]](#footnote-498).

وخطبهم فقال: أيّها الناس! إنّ الموت قد أظلّكم سحابه، وأحدق بكم ربابه، فغضّوا أبصاركم عن الأبارقة (السيوف) وليشغل كلّ امرئ قرنه، ولا يلهينّكم التساؤل: أين أمير المؤمنين، ألا فمن يسأل عنّي فإنّي في الرعيل الأول‏[[499]](#footnote-499)!

ثمّ جعل يقاتل بهم أهل الشام فيهزمهم ثمّ يلتجئ إلى البيت .. وتكاثر عليه الرجال من أهل الشام فلم يزل يضرب فيهم حتّى يخرجهم من المسجد ويعود إلى البيت، واستلم الحجر، ثمّ تكاثروا عليه، وأتاه حجر فصكّ جبينه فأدماه، فكشفهم عن المسجد وعاد على من بقي من أصحابه عند البيت وقال لهم:

ألقوا أغماد السيوف، وليصن كلّ رجل منكم سيفه كما يصون وجهه، لا ينكسر سيف أحدكم فيقعد كالمرأة! ولا يسأل أحد: أين عبد اللّه فإنّني في الرعيل الأوّل! وتكاثر عليه أهل الشام ألوفا من كلّ باب. فحمل عليهم، فشدخ بالحجارة فانصرع‏[[500]](#footnote-500).

ص: 260

وقال ابن قتيبة: وكان يمشي فجاءه حجر من حجارة المنجنيق فأصاب قفاه فسقط! وما درى أهل الشام أنّه هوحتّى بكته جاريته تقول: وا أمير المؤمنيناه! فاحتزّوا رأسه ورأس عبد اللّه بن صفوان بن أميّة وعمارة بن عمروبن حزم وجاؤوا بهما إلى الحجّاج، فبعث الحجّاج برؤوسهم إلى عبد الملك‏[[501]](#footnote-501).

وقال المسعودي: بل أكبّ عليه موليان له فقتلوا جميعاً، وتفرّق من بقي معه من أصحابه، وأمر الحجّاج فصلب‏[[502]](#footnote-502) بالتنعيم ثلاثاً أوسبعاً.

الحجّاج وابن عمر وابن الحنفيّة

وكان عبد اللّه بن عمر معتمرا بمكّة (وبايع الحجّاج) ومرّ بعبد اللّه مصلوبا فوقف وقال له: أبا خبيب! يرحمك اللّه! لولا ثلاث كنّ فيك لقلت إنّك أنت!:

إلحادك في الحرم! ومسارعتك إلى الفتنة، وبخل بكفّك! وما زلت أتخوّف عليك هذا المركب وما صرت إليه منذ كنت أراك ترمق بغلات شهبا لابن حرب فيعجبنك! إلا أنّه كان أسوس منك لدنياه!

ثمّ جاءت أمّه أسماء وهي عمياء تقاد حتّى وقفت لدى الحجّاج وقالت له:

أما آن لهذا الراكب أن ينزل بعد؟! فأمر به فانزل‏[[503]](#footnote-503) ودفن.

وكان عبد اللّه بن عمر قد جاوز الثمانين من عمره ومع ذلك كأنّه كان قد حمل السلاح مع ابن الزبير[[504]](#footnote-504) وكأنّه أحسّ بشرّ الحجّاج عليه فخاطب ابن الزبير بما

ص: 261

مرّ من عتابه له، وكأنّه اشتدّ به الخوف فطرق على الحجّاج بابه ليلا ليبايع لعبد الملك لكي لا يبيت تلك الليلة بلا إمام! إذ كان يروى عن النبي (ص) قوله: «من مات ولا إمام له مات ميتة جاهليّة»! فبلغ من احتقار الحجّاج له واسترذال الحال به أن أخرج له رجله من فراشه وقال له: اصفق بيدك عليها! ففعل‏[[505]](#footnote-505)!

ومع ذلك لم يتحمّله الحجّاج فدسّ إليه رجلا سمّ زجّ رمحه وزاحمه في طريقه فطعنه بظهر قدمه، ثمّ عاده الحجّاج فقال له: يا أبا عبد الرحمان من أصابك؟ قال: ولِمَ تقول هذا رحمك اللّه! قال: لأنّك حملت السلاح في بلد لم يكن يحمل السلاح فيه! ثمّ مات ابن عمر فدفن في حائط حرماز[[506]](#footnote-506) عند ردم بني جمح.

وقد مرّ أنّ ابن الزبير كان قد نفى ابن الحنفيّة إلى جبال رضوى بين مكّة والطائف، وقد آن الأوان للعود إلى مكّة، ولكنّه كان يخاف مِنَ الحجّاج فكتب بذلك إلى ابن مروان: أنّ الحجّاج قد قدم بلدنا وقد خفته! فاحبّ ألا تجعل له عليّ سلطاناً بيد ولا لسان!

فكتب عبد الملك إلى الحجّاج: أنّ محمّد بن عليّ كتب إليّ يستعفيني منك، وقد أخرجته من يدك فلم أجعل لك عليه سلطانا بيد ولا لسان فلا تتعرّض له!

فأمن بذلك ابن الحنفية من الحجّاج فنزل إلى مكّة مع الحجّاج في الطواف فلقيه الحجّاج فعضّ على شفته ثمّ قال له: لم يأذن لي فيك أمير المؤمنين! فقال له محمد: ويحك أما علمت أنّ للّه تبارك وتعالى في كلّ يوم وليلة ثلاثمائة وستّين لحظة (أو: نظرة) فلعلّه ينظر إليّ بنظرة فيرحمني فلا يجعل لك عليّ سلطانا بيد ولا لسان!

ص: 262

وكان ملك الروم قد كتب إلى ابن مروان يتوعّده، فكتب الحجّاج بجواب ابن الحنفية إلى ابن مروان فكتب به إلى ملك الروم، فكتب إليه ملك الروم: هذه ليست من سجيّتك ولا من سجيّة آبائك! ما قالها إلا نبيّ أورجل من «أهل بيت» النبيّ‏[[507]](#footnote-507)!

ثمّ أعاد الحجّاج بنيان الكعبة على ما كانت عليه قبل بناء ابن الزبير، فنقص منها ما كان زاده طولًا وعرضاً في جانب حجر إسماعيل ستّة أذرع، وأغلق الباب الثاني ورفع الباب الأوّل‏[[508]](#footnote-508).

الحجّاج في المدينة

وفي سنة (74 ه-) سار الحجّاج إلى المدينة فأخذ يتعنّت على أهلها ويستخفّ ببقايا من فيها من صحابة رسول اللّه (ص): ختم في أيديهم وأعناقهم (بالرصاص) يذلّهم بذلك: أنس بن مالك، وجابر بن عبد اللّه الأنصاري، وسهل ابن سعد الساعدي، فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون‏[[509]](#footnote-509).

ولكنّه لم يعرض لآل أبي طالب، ذلك أنّ عبد الملك كان قد كتب إليه:

جنّبني دماء آل أبي طالب؛ فإنّي قد رأيت الملك استوحش من آل حرب حين سفكوا دماءهم. نقل ذلك المسعودي وقال: فكان الحجّاج يتجنّب آل أبي طالب خوفاً من زوال ملك آل مروان لا خوفا من اللّه عزّ وجل‏[[510]](#footnote-510).

ص: 263

وبالبحرين مرّة اخرى خرج من عبد القيس أبومعبد العبدي، وكان عامل البصرة من قبل الحجّاج: الحكم بن أيّوب الثقفي فبعثه إليه فخرج إليه وقاتله وقتله وفرّق جمعه‏[[511]](#footnote-511).

ص: 265

[عهد الحجّاج فى العراق‏]

ضرب النقود الإسلاميّة

كانت مصر عند الفتح الإسلامي في حكم الروم، وكانت صناعة القراطيس فيها رومية نصرانيّة قبطيّة تبعا لأكثرهم، وأصبح المسلمون يستعملونها كما هي، وكان عليها طراز بالرومية مغفولا عنه، ولعلّ هذه المناوشات الروميّة الأخيرة بعثت عبد الملك أن يطلب ترجمة ذلك الطراز وإذا هو: باسم الأب والابن وروح القدس!

وكان هذا يطرّز على الأقمشة للستائر والثياب أيضاً، فلمّا ترجم له قال: ما أغلظ هذا في أمر الدين والإسلام! وكان على مصر أخوه عبد العزيز فكتب إليه أن ينهاهم عنه ويأمرهم أن يبدّلوها بصورة التوحيد: «شهد اللّه انّه لا إله إلا هو ...» أوبسورة التوحيد. وكتب إلى الآفاق بإبطال ذلك ومعاقبة من وجد عنده بعد النهي شي‏ء منه بالضرب الوجيع والحبس الطويل! ففعلوا ذلك وعملوه.

وحملت القراطيس إلى الروم وإلى ملك الروم‏[[512]](#footnote-512) بطراز التوحيد بالخطّ العربي، وترجم ذلك له فأنكره وغلظ عليه واستشاط غيظا إلا أنّه أرسل إلى عبد الملك بهدية وكتاب يطلب منه أن يردَّ الطراز الرومي! فردّ عبد الملك الهديّة

ص: 266

والكتاب بلا جواب. فكتب ملك الروم إليه: «لتأمرنّ بردّ الطراز إلى ما كان عليه، أولآمرنّ بنقش الدنانير[[513]](#footnote-513) بشتم نبيّك! وإنّك تعلم أنّه لا ينقش منها شي‏ء إلا ما ينقش في بلادي»! فحبس رسوله.

واستشار عبد الملك أصحابه لذلك فقال له روح بن زنباع الجذامي:

إنّك لتعلم المخرج من هذا الأمر ولكنّك تتعمّد تركه! فقال: ويحك من؟ قال: «عليك بالباقي‏[[514]](#footnote-514) من أهل بيت النبيّ (ص)» قال: صدقت ولكنّه ارتجّ عليّ الرأي فيه!

ثمّ كتب إلى عامل المدينة: أن أشخص إليّ عليّ بن الحسين مكرّما ...

فلمّا وافاه أخبره الخبر، فقال (ع): لا يعظم هذا عليك، فإنّه ليس بشي‏ء من جهتين:

إحداهما: أنّ اللّه عزّ وجل لم يكن ليطلق ما تهدّد به صاحب الروم في رسول اللّه (ص)! والأخرى: وجود الحيلة فيه. فقال عبد الملك: وما هي؟ قال: تدعوفي هذه الساعة بُصنّاع يضربون بين يديك سككا .. وتجعل النقش عليها سورة التوحيد في وجه وذكر رسول اللّه في الوجه الثاني، وتجعل في مدارها ذكر البلد الذي يضرب فيه والسنة. ثمّ فصّل ذلك حسب أوزان الدراهم والدنانير[[515]](#footnote-515) وضرب الحجّاج بالعربية أيضاً بالعراق‏[[516]](#footnote-516).

ص: 267

وقتال الخوارج الأزارقة وغيرهم‏

قال اليعقوبي: وألحّ الحجّاج في قتال الأزارقة فجادّهم المهلّب بن أبي صفرة الأزدي فما زال يهزمهم من منزل إلى منزل حتّى انتهى بهم إلى سجستان فقتل هناك من رؤسائهم عطيّة بن الأسود الحنفي التميمي. وصاروا إلى كرمان مع رئيسهم قطريّ بن فجاءة، ثمّ عثروا على كذبة منه فاستتابوه فأبى أن يوجب على نفسه التوبة فخلعوه! فلمّا امتنع أن يجيبهم إلى التوبة فيوجد لهم السبيل إلى خلعه.

كان في جمعه رجلان يسمّيان بعبد ربّه وقع بأسهم بينهم وانحاز كلّ واحد منهما في جيش مخالفا لقطري، فقصد المهلّب عبد ربّه الصغير حتّى قتله، ثمّ قصد عبد ربّه الكبير وفرّق جمعه.

ولكن بقي مع ذلك قطريّ في اثنين وعشرين ألفا! فصاروا إلى طبرستان، فأرسل إلى إصبهبدها يسأله أن يدخل بلاده فسمح له وفعل، فلمّا سمن دوابّهم وبرئ جرحاهم عرض قطري الإسلام على الإصبهبد أويؤدّي الجزية صاغرا وأنّه لا يجوز في ديننا غير هذا! فخرج الإصبهبد يحاربه فانهزم إلى سفيان بن الأبرد الكلبي وهويومئذ عامل الريّ وقد تهيّأ لقتال الأزارقة، فأدخله إلى طبرستان من طريق مختصرة. فقتل قطريّا وبعث برأسه إلى الحجّاج سنة (79 ه-)[[517]](#footnote-517).

ص: 268

وكان على البحرين زياد بن الربيع الحارثي الهمداني فعزله زياد وولّى محمّد بن صعصعة الكلابي على البحرين وعمان، ومن قرية طاب من قرى الخطّ (القطيف اليوم) بالبحرين خرج عليه الريّان النكري ومعه جيداء الأزديّة فهرب‏

منه الكلابي، فبعث الحجّاج يزيد بن أبي كبشة فلقي النكري في ميدان الزارة فقتل الريّان وجيداء وعامّة أصحابهما[[518]](#footnote-518).

ميلاد زيد للسّجاد (ع)

من أمّ ولد أهداها المختار الثقفي للسجّاد (ع) ولدت أربعة أولاد، خديجة وعلياً وزيداً[[519]](#footnote-519) قبل الثمانين للهجرة[[520]](#footnote-520). وفي تسميته بزيد روى الحلّي عن ابن قولويه عن بعض أصحاب السجّاد (ع) قال: كان إذا صلّى الفجر لم يتكلّم (إلا بالتعقيب) حتّى تطلع الشمس، فجاءوه يوماً وبشّروه بولادة ولد له بعد الفجر، وسمع ذلك من حوله فسألهم: ما تروني أن اسمّي هذا المولود؟ فقال كلّ منهم:

سمّه كذا وسمّه كذا. فالتفت إلى غلامه وقال له: يا غلام عليّ بالمصحف.

فجاءه بالمصحف فوضعه في حجره وفتحه ونظر إلى أوّل الورقة (يمينا) فإذا فيه: فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجاهِدِينَ عَلَى الْقاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً[[521]](#footnote-521) فأطبقه ثمّ فتحه ونظر في أوّل الورقة «يمينا» فإذا فيه: إِنَّ اللَّهَ اشْتَرى‏ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْراةِ

ص: 269

وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفى‏ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بايَعْتُمْ بِهِ وَ ذلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ‏[[522]](#footnote-522) فقال يكرّر: هوواللّه زيد، هوواللّه زيد، فسمي زيداً[[523]](#footnote-523).

وقد روى الباقر عن أبيه السجّاد عن أبيه الحسين (عليهم السلام): أنّ النبيّ (ص) قال له: يا حسين: يخرج من صلبك رجل يقال له: زيد، تخطّى هو وأصحابه يوم القيامة رقاب الناس غرّا محجّلين، يدخلون الجنّة بغير حساب‏[[524]](#footnote-524). وعليه فالسجّاد (ع) كان على علم بذلك لمّا تفأل لاسمه بكتاب اللّه وتكرّرت آيات الجهاد والشهادة شهد ذلك بأنّه هوفسمّاه زيداً بتسمية النبيّ له‏[[525]](#footnote-525).

وفاة ابن جعفر وابن الحنفيّة

في سنة ثمانين توفّي عبد اللّه بن جعفر بن أبي طالب‏[[526]](#footnote-526) وكان جواداً سخيّاً، ومات بدعائه: إذ أتاه آت يسأله معونته على أمره ولم يكن يحضره ما يعينه به، فخلع ثيابه عليه ثمّ دعا فقال: اللهمّ إن نزل بي بعد اليوم حقّ لا أقدر على قضائه فأمتني قبله! فمات في يومه ذلك‏[[527]](#footnote-527).

ص: 270

وقال المسعودي: في سنة ثمانين كان الطاعون العامّ بالعراق والجزيرة والشام ومصر والحجاز، فلمّا قلّ مال ابن جعفر سمع يوم الجمعة في المسجد الجامع (؟) يقول: اللهمّ إنّك قد عوّدتني عادة فعوّدتها عبادك، فإن قطعتها عنّي فلا تبقني! فمات في تلك الجمعة، وقد ولد في هجرة والديه إلى الحبشة، وصلّى عليه والي المدينة أبان بن عثمان بن عفّان، وحين أملق عبد اللّه وافتقر تزوّج الحجّاج بإحدى بناته‏[[528]](#footnote-528) وإنمّا تزوّج الحجّاج بابنته ليبتذل أويذلّ بذلك آل أبي طالب‏[[529]](#footnote-529) ولعلّه كان قبل أن ينتقل الحجّاج إلى العراق.

وقال ابن قتيبة: كانت أمّ كلثوم ابنة عبد اللّه بن جعفر لزينب بنت عليّ (ع) تزوّجها القاسم ابن عمّها محمّد بن جعفر، ثمّ تزوّجها الحجّاج بن يوسف! كما تزوّج ابنته الاخرى: أمّ أبيها عبد الملك بن مروان‏[[530]](#footnote-530)! ومع ذلك افتقر وأملق قهرا!

وقال في محمّد بن عَلِيّ المعروف بابن الحنفيّة: إنّه هرب من ابن الزبير إلى الطائف فمات بها سنة إحدى وثمانين وهوابن خمس وستّين‏[[531]](#footnote-531) ونقل قوله المسعودي ولكنّه اختار أنّه توفّي في المدينة وأذن أكبر ولده أبوهاشم عبد اللّه لوالي المدينة أبان بن عثمان بن عفّان أن يصلّي عليه فصلّى عليه ودفن بالبقيع‏[[532]](#footnote-532).

وقال النوبختي: فلمّا توفّي محمّد بن الحنفيّة بالمدينة في المحرّم سنة إحدى وثمانين وهوابن خمس وستّين سنة تفرّق أصحابه على ثلاث فرق:

ففرقة تبعت من أصحابه ابن كرب وهوقال: إنّ محمّد بن الحنفيّة هوالمهدي فلا يجوز (يمكن) أن يموت، بل غاب لا يدرى أين. ولا إمام بعد غيبته، بل‏

ص: 271

يزعمون أنّ محمّد بن الحنفيّة سيظهر بنفسه بعد الاستتار ينزل إلى الدنيا ويكون أمير المؤمنين ويملك الأرض، وهذه هي آخرتهم!

وفرقة قالت: إنّ محمّد بن الحنفيّة لم يمت بل هوحيّ مقيم بجبال رضوى بين مكّة والمدينة، وهوعندهم الإمام المنتظر الذي بشّر به النبيّ (ص): أنّه يملأ الأرض عدلًا وقسطاً، عن يمينه أسد وعن يساره أسد أونمر يحفظانه إلى أوان قيامه ومجيئه وخروجه، تغدوعليه الآرام (الغزلان) وتروح فيشرب من ألبانها ويأكل من لحومها!

وفرقة منهم قالت: إنّ محمّد بن الحنفيّة أوصى إلى أكبر ولده أبي هاشم عبد اللّه بن محمّد فهوالإمام بعده، وغالوا فيه وقالوا بأنّه هوالمهدي وهويحيي الموتى ولا يموت‏[[533]](#footnote-533) وكانت شيعة أبيه تتولّاه ولا عقب له، وكان عند موته بالشام وعنده محمّد بن عليّ بن عبد اللّه بن العبّاس فأوصى إليه وقال له: أنت صاحب هذا الأمر وهوفي ولدك! ودفع إليه كتبه (؟!) وصرف شيعته إليه‏[[534]](#footnote-534).

هذا، وقد روى الكليني بطريقين إلى زرارة وأبي عبيدة عن الباقر (ع):

أنّ عليّ بن الحسين (ع) أخبر ابن الحنفية: أنّ أباه الحسين (ع) كان أوصى إليه قبل أن يتوجّه إلى العراق وعهد إليه بالإمامة والوصيّة قبل شهادته وأودعه سلاح رسول اللّه (ص) ثمّ تحاكم معه إلى الحجر الأسود لينطق بالحقّ بحيث يسمعانه، فانطلقا وبدأ ابن الحنفيّة فلم يجبه، ثمّ دعا عليّ بن الحسين (ع) فأنطق اللّه الحجر بلسان عربي مبين: أنّ الإمامة والوصيّة بعد الحسين إلى عليّ بن الحسين (عليهماالسلام)، فانصرف ابن الحنفيّة وهويتولّى عليّ بن الحسين (عليهماالسلام)[[535]](#footnote-535).

ص: 272

وروى الطبرسي عن الصادق (ع): أنّ أبا خالد وردان الكابلي كان يقول بإمامة ابن الحنفيّة فسمعه يخاطب عليّ بن الحسين يقول: يا سيّدي! فسأله عن ذلك فقال له: إنّه حاكمني إلى الحجر الأسود فصرت إليه فسمعته يقول لي: سلّم الأمر إلى ابن أخيك فإنّه أحقّ به منك‏[[536]](#footnote-536).

وعليه، فهوكان يدّعي الإمامة أوّلا ثمّ أذعن للحقّ، ولم يذعن له أبناؤه وأصحابهم كلّهم.

ص: 273

الحجّاج وعبد الرحمان بن الأشعث‏

ولي الحجّاج العراقين وهوابن ثلاث وثلاثين سنة! وله أربعة بنين: محمّد وأبان وعبد الملك، والوليد[[537]](#footnote-537)! وأراد استمالة قوم الأشعث بن قيس الكندي إليه فتزوّج ميمونة بنت محمّد بن الأشعث قتيل المختار لابنه محمّد وهوغلام مراهق! ليكونوا له يدا على من ناوأه. وكان لها أخ يقال له: عبد الرحمان بن محمّد بن الأشعث، وكان بهيّا جميلًا منطيقاً وله ابّهة في نفسه، فألحقه الحجّاج بأفاضل أصحابه وأهل سرّه وخاصّته بل ألزمه بنفسه، وأجرى عليه العطايا الواسعة صلة، لصهره ولإتمام الصنيعة إليه وإلى جميع أهله، فملأه كبراً وفخراً وتطاولًا، حينا من الدهر.

ثمّ كتب له عهداً على سجستان‏[[538]](#footnote-538) ووجّه معه الحجّاج بعشرة آلاف منتخب‏[[539]](#footnote-539) جيشا كثيفا حسن العدّة حتّى سمّى جيش الطواويس، لغزو رتبيل ملك زابلستان‏[[540]](#footnote-540) وكل ملك يلي هذا الصقع من بلاد الهند! يقال له رتبيل‏[[541]](#footnote-541) فلمّا صار إلى سجستان أقام في بست وضبط أطرافه، ثمّ سار يريد رتبيل ملك البلد فلمّا أوغل في بلاده خاف الكمين فرجع إلى بست وكتب إلى الحجّاج يعلمه أنّه أخّر غزو رتبيل إلى العام المقبل فكتب إليه الحجّاج ينسبه إلى العجز ويغلظ له ويتوعّده فيه، فجمع أطرافه إليه وحرّضهم على الحجّاج ودعاهم إلى خلعه فأجابوه وبايعوا له لبغضهم الحجّاج وسطوته‏[[542]](#footnote-542).

ص: 274

وكان في عسكره أيّوب بن القريّة التميمي وكان كليما مفوّها، فسأله أن يصدر رسالة إلى الحجّاج يخلع فيها طاعة الحجّاج، فكتب له ابن القريّة رسالة فيها:

بسم اللّه الرحمن الرحيم من عبد الرحمان بن محمّد بن الأشعث! إلى الحجّاج بن يوسف، سلام على أهل طاعة اللّه وأوليائه الذين يحكمون بعدله ويوفون بعهده، ويجاهدون في سبيله ويتورّعون لذكره، ولا يسفكون دماً حراما ولا يعطّلون للربّ أحكاماً ولا يدرسون له أعلاماً، ولا يتنكّبون النهج ولا يسارعون في الغيّ، ولا يدلّلون الفجرة ولا يتراضون الجورة، بل يتمكّنون عند الاشتباه، ويتراجعون عند الإساءة.

أمّا بعد؛ فإنّي أحمد إليك اللّه حمداً بالغاً في رضاه، منتهياً إلى الحقّ في الامور الحقيقيّة عليه للّه. وبعد فإنّ اللّه أنهضني لمصاولتك وبعثني لمناضلتك، حين تحيّرت امورك وتهتّكت ستورك، فأصبحت عريان حيران مبهتاً، لا توافق وفقا ولا ترافق رفقا ولا تلازم صدقاً.

أؤمّل من اللّه الذي ألهمني ذلك أن يصيّرك في حبالك ويسحبك للذقن، وينصف منك من لم تنصفه من نفسك، ويكون هلاكك بيدي من اتّهمته وعاديته.

فلعمري لقد طالما تطاولت وتمكّنت وأخطيت وخلت أن لن تبور وأنّك في فلك الملك تدور! وستخبر مصداق ما أقول عن قريب!

فسر لأمرك ولاق عصابة خلعتك من حبالها خلعها نعالها! لا يحذرون منك جهداً ولا يرهبون منك وعيداً! يتأمّلون خزايتك وهم عطاشى إلى دمك ويستطعمون اللّه لحمك، يحاولونك به على طاعة اللّه وقد شروا أنفسهم تقرّبا إلى‏

ص: 275

اللّه! فأغض عن ذلك يابن امّ الحجّاج، فسنحمل عليك إن شاء اللّه، ولا حول ولا قوّة إلا باللّه، والسلام على أهل طاعة اللّه‏[[543]](#footnote-543).

خطبة الحجّاج على ابن الأشعث‏

قال ابن قتيبة: فلمّا ورد الكتاب على الحجّاج أمر فنودي: الصلاة جامعة، فاجتمع الناس، فخرج إليهم قد أخذ بطرف ردائه ويجرّ ذيله من خلفه حتّى صعد المنبر وقال فيما قال:

العجب العجب، وما هوأعجب! من العير الأبتر! أني وجّهته ومن معه من المنافقين، فانطلقوا في نحور العدوّ، ثمّ أقبلوا على راياتهم لقتال أهل الإسلام؛ من أجل عير أبتر! على حين أنّنا قد أمّنا الخوارج وأطفأنا الفتن، فتتابعت الفتن إليهم! فكان من شكركم- يا أهل العراق- ليد اللّه فيكم ونعمته عليكم وإحسانه إليكم! جرأتكم على اللّه وانتهاككم حرمته واغتراركم بنعمته! ألم يأتكم شبيب مهزوما ذليلا؟! فقبحت تلك الوجوه! فما هذا الذي يتخوّف منكم يا أهل العراق؟! واللّه لقد أكرمنا اللّه بهوانكم! وأهانكم بكرامتنا في مواطن شتّى تعرفونها وتعرفون أشياء حرّمكم اللّه اتّخاذها .. أرى الحزام قد بلغ الطبيين والتقت حلقتا البطان .. أنا ابن العرقيّة وابن الشيخ الأعزّ! كذبتم وربّ الكعبة! ما

الرأي كما رأيتم ولا الحديث كما حدّثتم، فافطنوا لعيوبكم وإيّاكم أن أكون وأنتم كما قال:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إنّك إن كلّفتني ما لم أطق‏ |  | ساءك ما سرّك منّي من خلق! |
|  |  |  |

والمخبر بالعلم ليس كالراجم بالظنون، فالتقدّم قبل التندّم، وأخو المرء نصيحته! ثمّ أنشد:

ص: 276

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| لذي الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا |  | وما علّم الإنسان إلا ليعلما |
|  |  |  |

ثمّ قال: احمدوا ربّكم، وصلّوا على نبيّكم (ص). ثمّ نزل.

وكان كاتبه مولاه نافِعاً فقال له: يا نافع اكتب: بسم اللّه الرحمن الرحيم، من الحجّاج بن يوسف إلى عبد الرحمان بن الأشعث، سلام على أهل النزوع من الزيغ ..

فإنّي أحمد اللّه الذي خلّاك في حيرتك حتّى أقحمك أمورا أخرجك بها عن طاعته وجانبت بها ولايته! وعسكرت بها في الكفر وذهلت بها عن الشكر! فلا تشكر في السرّاء ولا تصبر في الضرّاء .. أقبلت تستوقد الفتنة لتصلى بحرّها وجلبت لك ولغيرك ضرّها .. وعزّة ربك لتكبّن لنحرّك وتقلبنّ لظهرك، ولتدحضنّ حجّتك، ولتذمّن مقامك، كأنّي بك تصير إلى غير مقبول منك إلا السيف، عند كشوف الحروب عن ساقها ومبارزة أبطالها! والسلام على من إلى اللّه أناب وسمع وأجاب‏[[544]](#footnote-544).

سعيد بن جبير إلى ابن الأشعث‏

قال ابن قتيبة: اتي إلى الحجّاج بسعيد بن جبير- وكان من موالي بني والبة من بني أسد[[545]](#footnote-545)- فقال له: انطلق بهذا الكتاب إلى هذا الطاغية الذي قد فتن وفتن فاردعه عن قبيح ما دخل فيه، وعظيم ما أصرّ عليه، وحرمة ما انتهك عدواللّه من حقّ اللّه! إلى ما في ذلك من سفك الدماء وإباحة الحريم وإنفاق الأموال، ولولا معرفتي بأنّك قد حويت علما وأصبت فقها ... فخرج سعيد متوجّهاً إليه.

ص: 277

فلمّا قرأ عبد الرحمن الكتاب أوسمع به ارتعش هيبة له وجزعا منه وتبيّنت رعشته! وكتم الكتاب وجعل يستخلي بابن جبير فيسمر معه ليلا ويسأله الدخول معه فيما رأى من خلع الحجّاج، ومكث بذلك شهراً وسعيد يأبى ذلك عليه، ثمّ أجابه إليه‏[[546]](#footnote-546).

ودعا أبا عمر ذرّ بن ذرّ الهمداني القاصّ، فكساه ووصله وأمره أن يحضّض الناس على الحجّاج، فكان كلّ يوم يقصّ للناس فينال من الحجّاج وذلك في سنة إحدى وثمانين‏[[547]](#footnote-547).

وكتب إلى رتبيل ملك الهند أن يصالحه فيقف عنه أويلجأ إليه إن شاء، وكتب كتابا بينهم على ذلك. واستخلف رجلا من قبله على سجستان وخرج منها[[548]](#footnote-548) وكتب إلى المهلّب بن أبي صفرة وهويحاصر بلدي كش ونسف من بلاد خراسان الكبرى في سنة (81)، يدعوه إلى خلع الحجّاج، فانصرف عنهم المهلّب‏[[549]](#footnote-549).

وسار عبد الرحمن راجعا لإخراج الحجّاج من العراق ومسألة عبد الملك إبدالهم به، ولكنّه لمّا عظمت جموعه ولحق به كثير من أهل العراق ورؤسائهم ونسّاكهم عند قربه منها خلع عبد الملك في اصطخر فارس، وسمّى نفسه «ناصر المؤمنين».

وكان ممّا شاع من قبل في اليمنيّين أن رجلًا من قحطان يعيد الملك فيها فهم كانوا ينتظرونه، وأن اسمه على ثلاثة أحرف! فادّعى أنّه هو وأن أصل اسمه‏

ص: 278

«عبد» والرحمن خارج عن اسمه‏[[550]](#footnote-550)!

وقدم لأي بن شقيق السدوسي على الحجّاج فأخبره، فحمله من ساعته إلى عبد الملك، فردّه عبد الملك إلى الحجّاج يأمره بالتشمير والجدّ حتّى تأتيه الجنود[[551]](#footnote-551) وكتب إليه: لعمري لقد خلع طاعة اللّه بيمينه وسلطانه بشماله وخرج من الدين عريانا! وإنّي لأرجوأن يكون هلاكه وهلاك أهل بيته واستئصالهم في ذلك على يدي أمير المؤمنين! وما جوابه عندي في خلع الطاعة إلا قول القائل:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أناة وحلما وانتظارا بهم غدا |  | فما أنا بالواني ولا الضّرع الغمر[[552]](#footnote-552)! |
|  |  |  |

ص: 279

قتال الأهواز، وزاوية البصرة

ورأى الحجّاج أنّ حجّة ابن الأشعث الكندي الكوفي في الكوفة أقوى من حجّة الحجّاج بها، فسار إلى البصرة، وبلغ ذلك ابن الأشعث فسار إليه‏[[553]](#footnote-553) حتّى لقيه دون شوشتر بسبعة فراسخ‏[[554]](#footnote-554) في دير من ديار الأهواز يسمّى جنديشابور[[555]](#footnote-555) وكان ذلك يوم عيد النحر (الأضحى) (82 ه-) فالتقوا للقتال‏[[556]](#footnote-556) فقتل من أنصار الحجّاج ثمانية آلاف‏[[557]](#footnote-557) فانكشف الحجّاج راجعا حتّى دخل البصرة، وتبعه ابن الأشعث.

وكان عامل الخراج للحجّاج على البصرة قادان فرّخ فارسيّا فأشار عليه قال: اخرج له عن البصرة؛ فالبصريّون معه إذا شمّوا أولادهم ونساءهم قعدوا عنه!

فقبل الحجّاج مشورته وخرج إلى ناحية طفّ البصرة، ودخلها ابن الأشعث فكان كما قال الفارسي: قعد عنه عامّة من كان معه من أهل البصرة، حتّى سمع مناديه يناديهم: أين الذين بايعوا بالرخج؟! وقعد ابن الأشعث على المنبر يتوعّد الذين يتخلّفون عنه توعّداً شديداً!

ثمّ خرج ابن الأشعث فلقي الحجّاج بالزاوية فاقتتلوا قتالًا شديدا[[558]](#footnote-558) ونزل ابن الأشعث بالخريبة وذلك في أوائل سنة (83 ه-) فأقاموا يقتتلون نحواً من شهرين! ثمّ بدا لابن الأشعث أن يتغلّب على الكوفة فخرج إليها ليلا بشطر من أصحابه‏

ص: 280

الكوفيّين. وافتقده البصريّون صباحاً[[559]](#footnote-559) بلا خليفة له، وكان عندهم عبد الرحمان بن العبّاس بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطّلب الهاشمي فقالوا له:

إنّه تركنا ولحق بالكوفة وهذا الفاسق منيخ علينا! فبايعهم وسار إلى الحجّاج بالزاوية فقاتله فهزمه الحجّاج فلحق بالكوفة[[560]](#footnote-560).

وقائع دير الجماجم وظهر المربد وحراة

دخل ابن الأشعث الكوفة، فكتب الحجّاج كتاباً إلى عبد الملك يذكر فيه كثرة جيوش ابن الأشعث ويستنجده ويسأله الإمداد وقال في كتابه‏[[561]](#footnote-561): أمّا بعد فياغوثاه ثمّ يا غوثاه! فلمّا قرأ عبد الملك الكتاب كتب إليه: أمّا بعد، فيا لبّيك ثمّ يا لبّيك ثمّ يا لبّيك‏[[562]](#footnote-562)! وأمدّه بجيوش الشام مع أخيه محمّد بن مروان من الجزيرة، وابنه عبد اللّه بن عبد الملك، وسار الحجّاج حتّى نزل دير قرّة، وخرج ابن الأشعث من الكوفة إلى دير الجماجم، فاقتتلوا بدير الجماجم نحواً من أربعة أشهر، في نحومن ثمانين وقعةً! وابن الأشعث في ثمانين ألفا، ودونه الحجّاج، وقتل منهم جمع كثير، وسار ابن الأشعث إلى البصرة فتبعه الحجّاج فخرج منها، فالتقوا بأرض مسكن، فهزم أهل العراق (الكوفة) وقتلوا قتلًا ذريعاً، ومضى ابن الأشعث في من تبعه إلى سجستان‏[[563]](#footnote-563) فأتى مدينة زرنج وعليها عبد اللّه بن عامر

ص: 281

فامتنع عليه، فمضى إلى بست وعليها عياض بن عمرو فدبّر أن يغدر به ويتقرّب به إلى الحجّاج! فأدخلهم‏[[564]](#footnote-564).

وقال العصفري البصري: إنّ الأشعث سار إلى خراسان أوّلًا، فاجتمع فلّ عسكره (البصري) على عبد الرحمان بن العباس بن ربيعة الهاشمي أيضاً فاقتتلوا بظهر مربد البصرة ثلاثة أيّام ثمّ انهزموا فتبعوا عبد الرحمان إلى خراسان، فتركهم ابن الأشعث وسار إلى سجستان.

وكان على خراسان ابنا المهلّب: يزيد والمفضّل على هراة، فلقيهم فهزمهم وأسر ناساً منهم محمّد بن سعد بن أبي وقّاص وبعث به إلى الحجّاج فقتله‏[[565]](#footnote-565).

قال: وكان قد خرج مع ابن الأشعث خمسمائة من القرّاء كلّهم يرون القتال معه على الحجّاج وبني مروان، وسمّى خمسةً وعشرين رجلًا منهم، منهم من أهل البصرة: الحسن بن أبي الحسن البصري قيل أخرج كرهاً فلم يقتل، أخرجه ابن الأشعث لمّا قيل له: إن أحببت أن يقتّلوا حولك كما قتّلوا حول جمل عائشة فأخرجه! ومن أهل الكوفة سعيد بن جبير مولى أسد، وعامر الشعبي وعبد الرحمان بن أبي ليلى، والنضر بن أنس بن مالك وأبوعبيدة بن عبد اللّه بن مسعود ومحمّد بن سعد بن أبي وقّاص وعطاء بن السائب مولى ثقيف‏[[566]](#footnote-566) وسعد مولى حذيفة، وأبوالبختري مولى بني طي‏ء، وطلبه الباقون منهم يوم دير الجماجم ليؤمّروه عليهم فقال: أنا رجل من الموالي فأمّروا رجلًا من العرب! فأمّروا جبلة أوجهم بن زحر بن قيس الجعفي! وكان كثير منهم قد حلقوا رؤوسهم‏[[567]](#footnote-567) شعار

ص: 282

الشراة الخوارج. وكانت الهزيمة لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الاولى سنة (82 ه-) وبعدها في شعبان.

وفي وقعة ظهر المربد آخر المحرّم وأوّل صفر، كان مع أبي عمر كثير مولى عنزة بيّاع الكتّان مائتان من الموالي فأتبعهم من قوّاد الحجّاج: سفيان بن الأبرد الكلبي حتّى دخلوا البصرة فقتلهم ثمّ رجع فقتل من لقى منهم أربعمائة أوأكثر[[568]](#footnote-568).

وكان ممّا أثار خيار القرّاء والحجّاج على الحجّاج ما أثاره هومن العجاج واللجاج في تفضيل الخليفة الأموي حتّى على الرسول والنبيّ فضلا عن الوصيّ، حتّى أنهم سمعوه يخطب على المنبر يقول: أخليفة أحدكم في أهله أكرم عليه أم رسوله في حاجته؟! يعني أن الخليفة أكرم على اللّه من رسوله‏[[569]](#footnote-569)!

وممّا أثارهم على عبد الملك أنّه كتب إلى الحجّاج أن يبعث إليه بثلاثين جارية: عشرة من ذوات الأحلام وعشرة من النجائب وعشرة من قعّد النكاح‏[[570]](#footnote-570).

أسرى الخوارج، والحجّاج‏

لمّا انهزم ابن الأشعث حلف الحجّاج: ألا يؤتى بأسير منهم إلا ضرب عنقه‏[[571]](#footnote-571) ولعلّه بلغ ابن مروان، فروى العصفري البصري عن المدائني البصري قال:

كتب عبد الملك إلى الحجّاج في بقايا الخوارج مع ابن الأشعث: أن ادع الناس إلى البيعة، فمن أقرّ بالكفر! فخلّ سبيله، إلا رجلًا نصب راية أوشتم أمير المؤمنين.

ص: 283

وكان الحجّاج قد أسر ناساً كثيراً منهم بنوضبيعة من عنزة البصرة وسيّدهم مسمع ومن قرّاء مواليهم عمران بن عصام، وكان الحجّاج لمّا قدم العراق أمر مسمع أن يزوّج عمران ابنته ماوية! ثمّ أوفد من البصرة وفداً إلى عبد الملك فأوفده فيهم، ولم يكن يوفد الموالي! وجي‏ء اليوم بهم مع الأسرى، فقرأ عليهم كتاب عبد الملك، وفيهم عمران فدعا به الحجّاج وقال له: أتشهد على نفسك بالكفر؟! قال: ما كفرت باللّه منذ آمنت به! قال: ألم أقدم العراق فأوفدتك ولا يوفد مثلك؟! قال: بلى! قال: وزوّجتك سيّدة قومها ماوية بنت مسمع، ولم تكن لها بأهل! قال: بلى! قال: فما حملك على الخروج؟ قال: أخرجني باذان (؟) قال: فمن أخرجك عن حجلة أهلك؟! قال: أخرجني باذان! وكان معمّما فكشطوا عمامته فإذا هومحلوق! فأمر به فضربت عنقه‏[[572]](#footnote-572).

قال: واتي بالشعبي فعاتبه فقال الشعبي: أجدب بنا الجناب، وأحزن بنا المنزل، واستحلسنا الخوف (منك) وخبطتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء!

فقال الحجّاج: للّه أبوك! ومنّ عليه فتركه. وقتل الحجّاج في مسكن أربعة آلاف أوخمسة آلاف أسير[[573]](#footnote-573). وجعل يتلقّط بقاياهم حتّى قتل خلقا كثيرا، وعفا عن جماعة منهم الشعبي وإبراهيم النخعي.

وفي السنة التي هرب فيها ابن الأشعث بني الحجّاج مدينة واسط وقال: انزل بين البصرة والكوفة[[574]](#footnote-574) كأنّه استنكف من الأوبة إلى الكوفة بل والبصرة وقد قتل منهم خلقاً كثير!

ص: 284

وقال ابن قتيبة: لمّا انهزم ابن الأشعث وكان الحجّاج مترجّلًا وقد وضع له منبر من حديد دعا بدابّته فركبها وركب من معه فانتهى إلى ربوة فأومأ إليها ووقف في ذلك المرتفع، ينظر إلى معسكر ابن الأشعث وأصحابه ينتهبونه.

ثمّ رجع إلى معسكره فنزل إلى فسطاطه فجلس وأذن فدخلوا عليه يهنّئونه بفتحه، وأخذوا يأتونه بالأسرى فيقتلهم إلى الليل. ثمّ قفل إلى واسط التي بناها، وأقام لا يمرّ عليه يوم إلا ويؤتى بأسرى فيقتلهم! فلمّا رأى كثرة من يؤتى به أخذ يتحرّى فيقول له: أمؤمن أنت أم كافر؟! فمن أقرّ بالكفر أوالنفاق عفا عنه، ومن قال: مؤمن قتله‏[[575]](#footnote-575)!

وكان هو يلقّن ذلك من كان من الأسرى من ثقيف! أتي بأحدهم وخلفه رجل من السكون، فقال الحجّاج للثقفي أكفرت؟ قال: نعم، قال: لكن هذا الذي خلفك لم يكفر! فقال السكوني: أتخادعني عن نفسي! بلى واللّه ولوكان شي‏ء أشدّ من الكفر لبؤت به! فخلاهما[[576]](#footnote-576).

ثمّ أتي برجل من فرسان عبد الرحمن من بني عامر فقال له: واللّه لأقتلنّك شرّ قتلة! قال: واللّه ما ذلك لك! قال: ولم؟ قال: لأنّ اللّه يقول: فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقابِ حَتَّى إِذا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَ إِمَّا فِداءً فإمّا أن تمنّ علينا أوتفدينا عشائرنا!

فقال الحجّاج: أكفرت؟ قال: نعم، وغيّرت وبدّلت! فخلّاه‏[[577]](#footnote-577).

ص: 285

عامر بن شراحيل الشعبي‏

قال ابن قتيبة: كان عامر الشعبي مع ابن الأشعث وكان خاصّ المنزلة به، ليس لأحد منه مثلها للذي كان عليه من حاله إلا سعيد بن جبير، وأفلت سعيد بن جبير إلى مكّة.

وأتي بالشعبي إلى الحجّاج في سورة غضبه وهويقتل الأسرى إلا من أقرّ بالكفر أوالنفاق! فلقيه يزيد بن أبي مسلم مولى الحجّاج وحاجبه فقال له:

يا شعبي! لهفي للعلم الذي بين دفّتيك! وليس هذا بيوم شفاعة! إذا ادخلت على الأمير فأقرّ له بالكفر والنفاق عسى أن تنجو!

وأدخل الشعبي والحجّاج واضع رأسه، فلمّا رفع رأسه رآه وعرفه فقال له:

وأنت أيضاً يا شعبي ممّن أعان علينا وألّب؟ قال: أصلح اللّه الأمير؛ إنّي امرت بأشياء أقولها لك ارضيك بها وأسخط الربّ! فلست أفعل ذلك! ولكنّي اصدقك القول، فإن كان شي‏ء ينفع لديك فهوفي الصدق إن شاء اللّه: أحزن بنا المنزل. وأجدب الجناب، واكتحلنا السهر واستحلسنا الخوف (منك) وضاق بنا البلد العريض فوقعنا في خزية لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء!

فقال له الحجّاج: كذلك؟ قال: نعم أصلح اللّه الأمير وأمتع به. وكان مع الحجّاج جنود الشام فقال لهم:

يا أهل الشام: صدق واللّه ما كانوا بررة أتقياء فيتورّعوا عن قتالنا! ولا فجرة أقوياء فيقووا علينا! ثمّ قال للشعبي: انطلق يا شعبي فقد عفونا عنك فأنت أحقّ بالعفوممّن يأتينا وقد تلطّخ بالدماًء ثمّ يقول: كان كذا وكان كذا.

وبعد شهرين رفع إلى الحجّاج فريضة من فرائض الإرث أشكلت عليه في:

امّ وجدٍّ وأخت. فقال: من هاهنا نسأله عنها؟ فدلّ على الشعبي فأرسل إليه فسأله عنها، فقال له:

ص: 286

أصلح اللّه الأمير، قال فيها خمسة من أصحاب محمّد (ص): عليّ بن أبي طالب! وأمير المؤمنين عثمان! وعبد اللّه بن عبّاس، وعبد اللّه بن مسعود، وزيد بن ثابت، فاختار رأي عثمان وقال: يا غلام، قل للقاضي يمضيها على ما قال أمير المؤمنين عثمان‏[[578]](#footnote-578).

وأقام الأشعريّون منهم بقم‏

مرّ في أوائل أخبار المختار خبر قيام التابعيّ السائب ابن الصحابي مالك بن عامر الأشعري يردّ على الأمير الزبيري عبد اللّه بن المطيع العدوي قوله بأن يسير فيهم بسيرة عمر وعثمان، ولم يذكر عليّا (ع) بشي‏ء، فقال السائب: «لا حاجة لنا في سيرة عثمان ... ولا في سيرة عمر في فيئنا! وألا يسار فينا إلا بسيرة عليّ بن أبي طالب رحمة اللّه عليه»[[579]](#footnote-579).

وأنّه كان من أركان شؤون المختار وأنصاره في مساره حتى مصيره في حصره في قصره دار الإمارة حتّى قتل معه، وكان ابنه محمّد معه واستصغر فنجا من مجزرة مصعب بن الزبير لسبعمائة ممّن كان مع المختار، ثمّ كان مع السائب ابن الأشعث فقتله الحجّاج‏[[580]](#footnote-580).

وكان مع ابن الأشعث أيضاً أخ السائب: سعد بن مالك أوبعض أبنائه الخمسة: عبد اللّه وعبد الرحمان وإسحاق ونعيم والأحوص، واسر الأحوص وسجن وافرج عنه على غير متوقّع؛ ولذا كان في الحسبان أنّ شرطة الحجّاج سيعودون عليه، وكأنّ أخاه عبد اللّه لم يكن معه فأشار عليه ألا يبقى في‏

ص: 287

[[581]](#footnote-581)

الكوفة بل يخرج منها لكي لا يعودوا عليه بالقبض فالقتل أوالسجن، وتوافق إخوته عبد اللّه وعبد الرحمن وإسحاق ونعيم أن يلتحقوا به، قاصدين بني أعمامهم في خراسان، وكأنّهم لمّا علموا مقاتلة أبناء المهلّب الأزدي: يزيد والمفضّل في فارس وهراة في خراسان لفلول ابن الأشعث- كما مرّ- يئسوا من خراسان، فقصدوا جبال أرمينية في آذربايجان ليتحصّنوا بها، عن طريق «كمندان» فإصفهان.

فخرج الأحوص بأهله من الكوفة متّجها نحو إصفهان، لكنّه لما وصل إلى قرية أبرشتجان من قرى «كمندان» ورأوا القلاع والكلأ والماء بها، وكانت قبل أيّام النوروز، نزلوا بها والتحق به إخوته، ولهم إبل ومواشي كثيرة.

وكانت المنطقة ولا سيّما في تلك الأيّام (النوروز) معرّضة لهجوم طوائف من الديلم، وفي أوّل حملة للديلم بعد حضور الأشعريين في المنطقة، رأوا لهؤلاء إبلًا ومواشي كثيرة فأغاروا عليهم، فقاتلهم الأشعريون فقتلوا منهم وأسروا وهزموا بقاياهم، وكان رئيس «كمندان» يومئذ فارسيّاً منهم يسمّى «يزدانفر» فأرسلوا بالأسرى ورؤوس القتلى إليه، ففرح الأهالي بفعلهم وناشدوهم البقاء، وقدّموا إليهم الهدايا والتّحف ومراعي ومزارع وأراضي وبذوراً وأدوات الزراعة.

فقال عبد اللّه: ولكن ليس لنا هنا مسجد نصلّي فيه، فخالف البقاء هنا وأرادهم أن يذهبوا إلى بلاد قزوين ليصبحوا مرابطين لثغور المسلمين مع جبال الديلمان وهم على كفرهم يومئذ.

فقال له الأحوص: إنّ الديلم تهجم على هذه المنطقة في كلّ عام، كما رأيت- فهي رباط كذلك! وكان هناك محلّ لبيت نار فهدمه الأحوص وبناه مسجدا[[582]](#footnote-582)، ليزيل علّة أخيه عبد اللّه، فرضي وبقي وبقوا.

وقال الحموي: كان هناك سبع قرى اسم إحداها (أومركزها): گمندان‏

ص: 288

(المكان الضائع بين الجبال) فنزل هؤلاء الإخوة على هذه القرى ... واستوطنوها، واجتمع إليهم أبناء عمومتهم، والتحمت القرى فصارت سبع محالّ بها، فسمّيت باسم إحداها «كمندان» وعرّبوها وأسقطوا بعض حروفها، فصارت بتعريبهم: قم.

وكان لعبد اللّه ولد بالكوفة (موسى) ثمّ انتقل منها إلى قم، وكان هذا «إماميّا» فهوالذي نقل «التشيّع» إلى قم، فلا يوجد بها سنّي قط[[583]](#footnote-583)!

ولذا قال صاحب «تاريخ قم»: إنّ أوّل من أظهر التشيّع بقم: موسى بن عبد اللّه الأشعري‏[[584]](#footnote-584).

وبناءً على ما مرّ فإنّ إقامة الأشعريّين بقم كانت بمناشدة لهم من أهلها وتقديمهم الأراضي لهم، وحتّى بيت نارهم المتروك ليهدموه ويبنوه لأنفسهم مسجداً، بإزاء دفعهم أذى الديلمان عن «كمندان» والحموي عكس ذلك فضمن بيانه السابق ناقض فقال: نزل هؤلاء الإخوة على هذه القرى وقاتلوا أهلها حتّى افتتحوها واستولوا عليها واستوطنوها! فجعل القتال دفاعاً عنهم دفعاً لهم عن أموالهم وديارهم بل وأرواحهم. وهل كان هذا فتحاً مكرّراً بعد ما قال:

إنّها فتحت على يد الأحنف بن قيس التميمي على مقدّمة أبي موسى الأشعري‏[[585]](#footnote-585)؟!

ص: 289

ومصير ابن الأشعث الانتحار

قال اليعقوبي: مضى منهزماً لا يلوي على شي‏ء إلى زرنج من سجستان، وكان عليها عبد اللّه بن عامر فمانعه من دخولها، فمضى إلى بست، وكان عليها عياض بن عمروفدبّر أن يغدر به فيتقرّب به الحجّاج فأدخلهم ... ثمّ صار إلى رتبيل صاحب تلك البلاد فوفى له رتبيل بما كان بينهما فأقام عنده في أمن وسلامة ... في أربعة آلاف من أصحابه.

وبلغ الحجّاج ذلك فدعا عمارة بن تميم اللخمي وكتب معه إلى رتبيل يأمره أن يوجه إليه ابن الأشعث وإلا فإنّه يوجه إليه بمائة ألف مقاتل! ووجّهه إليه، فلم يفعل ... فعاد عمارة وأقام بمدينة بست. وهرب عبيد بن أبي سبيع من عند رتبيل فصار إلى عمارة بن تميم في بست وقال له: تجعلون لي شيئاً وتكفّون عن رتبيل وتصالحونه ويسلّم إليكم ابن الأشعث. فكتب عمارة بذلك إلى الحجّاج فوافق الحجّاج، فكتب عمارة لعبيد عهودا وختمها بخاتمه، فأخذها عبيد وعاد بها على رتبيل فلم يزل يرغّبه مرّة ويرهبه اخرى حتّى أجابه إلى أخذ ابن الأشعث فأخذه وأخاه وجماعة معه، وقيّدهم وحملهم معهم في الحديد إلى الحجّاج. وكان عبد الرحمان قد قيّد مع رجل يقال له أبوالعنز، وكان الفصل حارّا فأصعدوهم في الرخّج إلى سطح دار، فرمى بنفسه- وصاحبه- من فوق السطح فماتا جميعاً فاحتزوا رأس ابن الأشعث وحمل إلى الحجّاج، فحمله الحجّاج إلى عبد الملك‏[[586]](#footnote-586) ووجّه به عبد الملك إلى أخيه عبد العزيز في مصر وذلك في سنة (83 ه-)[[587]](#footnote-587).

ص: 290

خطبة الحجّاج لقتل ابن الأشعث‏

قال المسعودي: لمّا قتل ابن الأشعث واتي برأسه إلى الحجّاج، رقى منبر الكوفة (أوالواسط) فحمد اللّه وأثنى عليه وصلّى على رسوله ثمّ قال: يا أهل العراق، إن الشيطان استبطنكم فخالط منكم اللحم والعظم، والأعضاء والأطراف، وجرى منكم مجرى الدم، وأفضى إلى الأضلاع والأمخاخ، فحشاً ما هناك شقاقاً واختلافاً ونفاقاً، ثمّ أربع فيه فعشّش، وباض فيه وفرّخ، فاتّخذتموه دليلًا تتابعونه، وقائدا تطاوعونه، ومؤامرا تؤامرونه!

ألستم أصحابي «بالأهواز» حين سعيتم بالغدر بي فاستجمعتم عليّ حيث ظننتم أن اللّه سيخذل دينه وخلافته؟! واقسم باللّه أنّي (كنت) لأراكم بطرفي وأنتم تتسلّلون لواذاً منهزمين وسراعا متفرّقين، فكلّ امرئ منكم سيفه على عنقه رعبا وجبنا!

ثمّ يوم «الزاوية» وما يوم الزاوية (بالبصرة) كان بها فشلكم وتخاذلكم، وبراءة اللّه منكم، وتولّيكم على أكتافكم السيوف هاربين، ونكوص وليّكم عنكم، إذ ولّيتم كالإبل الشوارد إلى أوطانها. لا يسأل الرجل عن بنيه، ولا يلوي امرؤ على أخيه، حتّى عضّتكم السلاح وقصفتكم الرماح!

ويوم «دير الجماجم» كانت بها الملاحم والمعارك العظائم!

فما الذي أرجوه منكم يا أهل العراق! أم ما الذي أتوقّعه! ولماذا استبقيكم! ولأيّ شي‏ء أدّخركم؟ أللفجرات بعد الغدرات؟ أم للنزوة بعد النزوات؟ وما الذي اراقب بكم؟ وما الذي انتظر فيكم! إن بعثتم إلى ثغوركم جبنتم! وإن أمنتم أوخفتم نافقتم! لا تجزون بحسنة ولا تشكرون نعمة!

يا أهل العراق! هل استنبحكم نابح أواستشلاكم غاوأواستخفّكم ناكث أواستنفركم عاص إلا تابعتموه وبايعتموه، وآويتموه وكفيتموه؟!

ص: 291

يا أهل العراق! هل شغب شاغب أو نعب ناعب أو دبى كاذب إلا كنتم أنصاره وأشياعه؟!

يا أهل العراق! لم تنفعكم التجارب وتحفظكم المواعظ وتعظكم الوقائع، فهل يقع في صدوركم ما أوقع اللّه بكم عند مصادر الامور ومواردها؟! ثمّ التفت إلى الشاميّين الحاضرين وقال لهم:

يا أهل الشام! أنتم العدّة والعدّة! والجنّة في الحرب، إن نحارب حاربتم أو نجانب جانبتم! وأنا لكم كالظليم الرامح (المدافع) عن فراخه ينفي عنهنّ القذى ويكنفهنّ من المطر ويحفظهنّ من الذئاب ويحميهنّ من سائر الدوابّ! فلا يخلص معه إليهنّ قذى ولا يمسهنّ أذى ولا يفضي إليهنّ ردى! وما أنتم وأهل العراق إلا كما قال نابغة بني جعدة: و ان تداعيهم حظهم ولم ترزقوه ولم نكذب كقول اليهود: قتلنا المسيحولم يقتلوه و لم‏يصلب‏

احتجاج الحجّاج على عبد الملك:

قال المسعودي: ولمّا أسرف الحجّاج في قتل أسارى «دير الجماجم» (أربعة أو خمسة آلاف) وفي بذل الأموال لرجال القتال، بلغ ذلك عبد الملك، فكتب إليه: أمّا بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك في الدماء وتبذيرك في الأموال، ولا يحتمل أمير المؤمنين هاتين الخصلتين لأحد من الناس! فحكم عليك في الدماء في العمد القود وفي الخطأ الدية! وفي الأموال العمل فيها برأيه![[588]](#footnote-588)

فإنمّا أمير المؤمنين أمين اللّه! وسيّان عنده منع حقّ وإعطاء باطل ... وظنّ‏

ص: 292

بأمير المؤمنين كلّ شي‏ء إلا احتمالك على الخطأ! وإذا أعطاك (أوأتاك) الظفر على قوم فلا تقتلنّ جانحا ولا أسيرا! (بعد خمسة آلاف أو أربعة)! وختم كتابه بسبعة أبيات من شعره.

فلمّا قرأ الحجّاج كتابه كتب: أمّا بعد، فقد أتاني كتاب أمير المؤمنين! يذكر فيه سرفي في الدماء وتبذيري الأموال! ولعمري ما بلغت في عقوبة أهل المعصية ما هم أهله! (بعد أربعة أوخمسة آلاف)! وما قضيت حقّ أهل الطاعة بما استحقّوه! فإن كان قتلي اولئك العصاة سرفاً، وإعطائي اولئك المطيعين تبذيراً فليسوّغني أمير المؤمنين ما سلف! ثمّ ليحدّ لي فيه حدّاً أنتهي إليه إن شاء اللّه تعالى! ولا قوّة إلا باللّهِ! وواللّهِ ما ظلمتهم فأقاد بهم ولا أصبتهم خطأ فأديهم! ولا قتلت إلا فيك ولا أعطيتهم إلا لك. ثمّ قابله بمثله شعراً.

فلمّا انتهى كتابه إلى عبد الملك قال: خاف أبومحمد (الحجّاج) صولتي! ولن أعود لشي‏ء يكرهه‏[[589]](#footnote-589)!

أمر الحجّاج بإعجام كلام اللّه‏

كثر القرّاء على عهد الحجّاج بالعراق، وكثروا في عسكر عبد الرحمان بن الأشعث، وكثر قتل الحجّاج لأكثرهم، فكان ما قاله أبوأحمد العسكري: كثر التصحيف (في القراءة) وانتشر بالعراق، ففزع الحجّاج بن يوسف إلى كتّابه وسألهم أن يضعوا للحروف المشتبهة علامات. فيقال: إنّ نصر بن عاصم الليثي (تلميذ أبي الأسود الدؤلي) قام بذلك، فوضع النقط أفراداً وأزواجاً، وخالف بين أماكنها[[590]](#footnote-590).

ص: 293

وزاد غيره: يحيى بن يعمر العدواني البصري‏[[591]](#footnote-591) وكرهه إبراهيم النخعي وعامر الشعبي‏[[592]](#footnote-592) واستحسنه الحسن البصري ومحمّد بن سيرين‏[[593]](#footnote-593) وقالوا: أصلح الحجّاج الرسم القرآني في أحد عشر موضعاً فأصبحت أيسر وأوضح‏[[594]](#footnote-594) ونقل الزركشي عن أحمد بن الحسين: أنّ الحجّاج بعث فجمع قرّاء البصرة ثمّ اختار منهم جماعة ثمّ أمرهم أن يعدّوا حروف القرآن فعدّوها في أربعة أشهر، ثمّ ذكر التفاصيل‏[[595]](#footnote-595) ونقل السمهودي عن مالك بن أنس: أنّ الحجّاج أرسل إلى امّهات القرى بمصاحف (استكتبها) فمنها إلى المدينة، وكان في صندوق على يمين أسطوانة مقام النبي (ص)، وكان يفتح كلّ خميس وجمعة[[596]](#footnote-596) كلّ ذلك عسى ولعلّه يجبر كثرة قتله للقرّاء! وأكمل الخبر الصادق (ع) قال: كان بين الحائط والمنبر قدر ممرّ رجل وهومنحرف، فكان يوضع القرآن عند القامة والمنبر، فكان الرجل يأتي فيكتب السورة، ويجي‏ء آخر فيكتب السورة، كذلك كانوا يصنعون، ثمّ إنّهم اشتروا بعد ذلك‏[[597]](#footnote-597).

ص: 294

ويقترح الحجّاج ولاية الوليد

قال ابن قتيبة: لمّا كانت سنة (81 ه-) عقد عبد الملك لموسى بن نصير (المولى الفارسي) على إفريقية وما حولها وضمّ إليها برقّة، ووجّهه لقتال من بها من البربر. فلمّا قدم موسى بن نصير مصر متوجّها إلى برقة والبربر وإفريقية وانتهى ذلك إلى عبد العزيز بن مروان بمصر، ردّ موسى من مصر إلى الشام.

فانصرف موسى بن نصير إلى عبد الملك بالشام فذكر له ما استقبله به أخوه عبد العزيز وما ناله منه من الامتهان! فأجابه عبد الملك: إنّ عبد العزيز صنو أمير المؤمنين وقد أمضينا فعله!

وبعث عبد العزيز بدل موسى بن نصير: قرّة بن حسّان التغلبي، فتوجّه قرّة إلى إفريقيّة فقتل أكثر أصحابه وهزموا. وكان عبد العزيز وليّ العهد لعبد الملك من قبل أبيهما مروان.

وكأنّ الحجّاج أراد أن يتزلّف إلى عبد الملك فكتب يقترح عليه أن يكتب لابنه الوليد العهد من بعده وأن يبايع هوله في العراقين! فكتب عبد الملك إلى الحجّاج يقول له: ما أنت والتكلّم بهذه الأمور[[598]](#footnote-598)؟!

ثمّ عزم عبد الملك على ذلك فكتب إلى الحجّاج بأن يشخص إليه عامر بن شراحيل الشعبي الهمداني! فأشخصه إليه فآنسه وبرّه وأقام عنده أيّاماً ثمّ قال له:

إنيّ أأتمنك على شي‏ء لم أاتمن عليه أحداً! إنّه قد بدا لي أن ابايع للوليد بولاية العهد بعدي، فاذهب إلى عبد العزيز وزيّن له أن يخلع نفسه من ولاية العهد على أن تكون له مصر طعمة!

ص: 295

ثمّ نقل اليعقوبي عن الشعبي قال: فذهبت إلى عبد العزيز، فما رأيت ملكا أسمح أخلاقا منه! وذات يوم وأنا خال به احدّثه إذ قلت له: أصلح اللّه الأمير، واللّه إن رأيت ملكا أكمل ولا نعمة أنضر ولا عزّا أتمّ ممّا أنت فيه! ولقد رأيت عبد الملك طويل النصب كثير التعب، قليل الراحة دائم الروعة، هذا إلى ما يتحمّل من أمر الامّة! واللّه لوددت أنّهم أجابوك إلى أن يصيّروا مصر طعمة لك ثمّ يصيّروا عهدهم لمن أحبّوا! فقال: ولكن من لي بذلك؟ فعرفت ما عنده من الموافقة على ذلك.

فانصرفت عائدا إلى أخيه عبد الملك فأخبرته الخبر، فخلع عبد الملك أخاه من ولاية العهد وولاها ابنيه الوليد ثمّ سليمان بعده. فقيل: إنّ عبد العزيز سقي سمّا .. وكان على مصر والمغرب. فجعلهما لابنه الثالث عبد اللّه بن عبد الملك.

وطلب البيعة للوليد ولسليمان معاً. وكان على المدينة هشام بن إسماعيل المخزومي فطلبها من (ابن عمّه) سعيد بن المسيّب (المخزومي) فأبى أن يجمع بيعتين، فضربه هشام ستين سوطا وطاف به. فبلغ ذلك عبد الملك فكتب إلى هشام يلومه على ذلك‏[[599]](#footnote-599).

وقال خليفة: بل قال سعيد لهشام: إن أحبّ عبد الملك أن ابايع الوليد فليخلع نفسه! فقال هشام: فادخل من هذا الباب واخرج من آخر ليرى الناس أنّه قد بايع! فأبى وقال: لا يغترّبي أحد! فضربه مائة سوط! فحين بلغ ذلك عبد الملك قال: بئسما صنع هشام! مثل سعيد لا يضرب بالسياط، كان ينبغي أن يضرب عنقه! أويدعه! وكان ذلك سنة أربع (أوخمس) وثمانين.

وفيها كان أخوعبد الملك: محمّد بن مروان ما زال على الموصل والجزيرة وإلى أرمينية، وزحفت الروم إلى أرمينية، فكأنّه بلغه عنهم أنّهم استقبلوهم مرحّبين، فلمّا هزمهم محمّد بعث من موالي عثمان بن عفّان: زياد بن الجرّاح‏

ص: 296

ومعه جمع، فجمع أهل نخجوان النشوى والبسفرجان في كنائسهم وبيعهم وقراهم وحرّقها عليهم! فسمّيت عندهم سنة الحريق.!

ثمّ ولاها عبد اللّه بن حاتم الباهلي، فمات، فولاها أخاه عبد العزيز بن حاتم فبنى مدن النشوى وبرذعة ودبيل سنة (85 ه-).

وخرج من أنطاكية أكثر من ألف إلى طوانة بثغر المصّيصة من ثغور الروم، فلقيهم الروم في جموع كثيرة فاصيب نحومن ألف منهم من أهل أنطاكية.

وفي سنة (86 ه-) غزا مسلمة بن عبد الملك بلاد الروم ففتح حصن بولاق وحصن الأخرم قبيل وفاة أبيه.

وفيها في النصف من شوال مات عبد الملك بدمشق وهوابن ثلاث وستين سنة[[600]](#footnote-600).

الفجر الصادق لميلاد الصادق (ع)

مرّت أخبار لحوق محمّد بن أبي بكر (التيمي) بأمير المؤمنين عليّ (ع) حضانة وتربية وتأديبا حتى روى عنه (ع) قال فيه: «محمّد ابني من صلب أبي بكر». ومرّ أيضاً خبر لحوق ابنه القاسم النجيب بعمّته عائشة وأنّها احتضنته حاقدة على معاوية قتله لأخيها محمّد.

ومرّ في أخبار إجبار معاوية الجبّار لخيار الناس وفيهم عبد الرحمن ابن أبي بكر على البيعة لولاية عهده ليزيد، استنكاف عبد الرحمن من ذلك حتّى مات في ظروف غامضة، وقد صاهره القاسم النجيب ابن أخيه محمّد بن أبي بكر، وولد له منها أولاد منهم ابنة له أسماها فاطمة وعرفت بكنيتها أمّ فروة.

وتعلّم القاسم الفقه حتّى عدّ من فقهاء المدينة المعروفين، وعلّم ذلك أولاده ومنهم فاطمة. وشابه القاسم النجيب الفقيه أباه فأصبح من ثقات الإمام‏

ص: 297

السجّاد (ع) إلى جانب سعيد بن المسيّب المخزومي وأبي خالد الكابلي كنكر[[601]](#footnote-601) وفي حدود الثمانين للهجرة تقرّب الباقر (ع) من صاحب أبيه هذا الفقيه النجيب ليخطب منه ابنته النجيبة فاطمة لنفسه مباشرة! فطبيعي أن رجّح القاسم أن يكون أبوه السجّاد (ع) هوالذي يخطب له ويزوّجه‏[[602]](#footnote-602) وطبيعي أن السجّاد (ع) باشر ذلك فخطب له منه وزوّجه بها، وأظنّ أنّه إنّما قدّم الباقر (ع) قبله لكي لا يكون يحرجه يومئذ.

وفي اليوم السابع عشر من شهر ربيع الأوّل‏[[603]](#footnote-603) من سنة (83 ه-)[[604]](#footnote-604) ولد له منها ولد ذكر. ولم يكن السجّاد (ع) يجمع لابنه محمّد بين اسم محمّد وكنية أبي القاسم، بل كان يكنّيه بأبي جعفر، فسمّى ابنه هذا كذلك جعفر، وكنّاه أبا عبد اللّه، وحدّثهم عن أبيه عن جدّه عن رسول اللّه (ص) قال: إذا ولد ابني جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ فسمّوه الصادق، فإنّه سيكون في ولده سمي له يدّعي الإمامة بغير حقّها فيسمّى كذاباً[[605]](#footnote-605).

ص: 298

هلاك الملك عبد الملك‏

جاء في اليعقوبي: روى بعضهم: أن رجلا قال لسعيد بن المسيّب: رأيت كأنّ النبيّ موسى واقف على ساحل البحر، آخذ برجل رجل يدوّره كما يدوّر الغسّال الثوب، فدوّره ثلاثاً ثمّ دحا به إلى البحر! فما تفسيره؟ فقال سعيد: إن صدقت رؤياك فسيموت عبد الملك إلى ثلاثة أيّام! فلم تمض ثلاثة أيّام حتّى جاء نعيه! فسأل الرجل سعيد: من أين قلت هذا؟ قال: لأنّ موسى غرّق فرعون، ولا أعلم فرعون هذا الوقت إلا عبد الملك‏[[606]](#footnote-606).

قال: وخلّف أربعة عشر ذكرا: الوليد وسليمان وعبد اللّه ومسلمة ومروان ومعاوية ويزيد والحجّاج وعنبسة وآخرين. فلمّا حضرته الوفاة جمعهم وقال للوليد: إذا أنا متّ فشمّر وائتزر والبس جلد النمر! ثمّ ادع الناس إلى بيعتك فمن قال برأسه كذا فقل بالسيف كذا[[607]](#footnote-607)!

وقال ابن قتيبة: كان مروان قد زوّج ابنته فاطمة لابن أخيه عمر بن عبد العزيز وكان يومئذ حاضرا فأوصاه بها وبابنيه الوليد وسليمان- وكان قد عهد إليهما على التوالي- ثمّ قال لهم قوموا عصمكم اللّه وكفاكم! فقاموا وخرجوا من عنده، ثمّ دعا بالوليد وسليمان فقال للوليد: اسمع يا وليد، قد حضر الوداع وذهب الخداع وحلّ القضاء! فبكى الوليد فقال عبد الملك: لا تعصر عينيك عليّ كما

ص: 299

تعصر الأمّة الوكساء[[608]](#footnote-608) إذا أنا متّ فاغسلني وكفّني وصلّ عليّ واسلمني إلى عمر بن عبد العزيز يدلّيني في حفرتي. أمّا أنت فاخرج للناس والبس لهم جلد النمر واقعد على المنبر! وادفع الناس إلى بيعتك، فمن قال بوجهه عنك كذا فقل له بالسيف كذا! وتنكّر للقريب واسمح للبعيد! واوصيك بالحجّاج خيرا فإنّه هوالذي وطّأ لكم المنابر وكفاكم تقحّم تلك الجرائر! ثمّ مات.

فخرج الوليد إلى الناس وصعد المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه ثمّ قال: نعمة ما أجلّها! ومصيبة ما أعظمها! فإنّا للّه وإنّا إليه راجعون، فقد الخليفة، ونقلت الخلافة[[609]](#footnote-609).

وقال: أيّها الناس؛ عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة، فإنّه من أبدى ذات نفسه ضربت الذي فيه عيناه‏[[610]](#footnote-610)!

ثمّ دعا الناس إلى بيعته، فلم يختلف عليه أحد. ثمّ كتب ببيعته إلى الآفاق والأمصار، وإلى الحجّاج بالعراق‏[[611]](#footnote-611) فنعى إليه أباه عبد الملك ودعاه إلى بيعته.

فنادى الحجّاج بالصلاة جامعة ثمّ صعد المنبر فذكر عبد الملك وقرّظه ووصف فعله وقال: كان واللّه البازل الذكر! رابعا من الولاة الراشدين المهديّين (الامويّين!) وقد اختار له اللّه ما عنده! وعهد إلى نظيره في الفضل وشبيهه في الحزم والجلد والقيام بأمر اللّه! فاسمعوا وأطيعوا[[612]](#footnote-612)! فبايع الناس ولم يختلف عليه أحد. ثمّ كتب الحجّاج إلى الوليد:

ص: 300

أمّا بعد، فإنّ اللّه تعالى استقبلك- يا أمير المؤمنين!- في حداثة سنّك بما لا أعلمه استقبل به خليفة قبلك: من التمكين في البلاد والملك للعباد والنصر على الأعداء! فعليك بالإسلام فقوّم إوده وشرائعه وحدوده! ودع عنك محبّة الناس وسخطهم وبغضهم، فإنّهم قلّ ما يؤتى الناس من خير وشرّ إلا أفشوه (أونسوه) في ثلاثة أيّام، والسلام.

ودخل سليمان على الوليد وقال له: يا أمير المؤمنين! إعزل الحجّاج بن يوسف عن العراقين، فإنّ الذي أفسد أكثر مما أصلح! فقال الوليد:

إنّ عبد الملك قد أوصاني به خيرا! فقال سليمان: إنّ عزل الحجّاج والانتقام منه من طاعة اللّه وتركه من معصية اللّه! فقال الوليد: سنرى وترون إن شاء اللّه‏[[613]](#footnote-613).

ودفن عبد الملك وجاء في وصفه: أنّه كان مربوعاً أسمر قد طوّل لحيته، متيقّظاً في سلطانه، حازماً في أمره، لا يكل الأمور في أعدائه وأهل حربه حتّى يباشرها بنفسه، ويخطئ كثيراً ومع ذلك يسلم فتغرّه السلامة.

واستمرّ في الاعتماد على الكاتب سرجون بن منصور الرومي النصراني كاتب معاوية، ويزيد قبله، ثمّ كتب له عمروبن الحارث مولى بني عامر[[614]](#footnote-614) واتخذ الأخطل النصراني شاعرا قال فيه: لكلّ قوم شاعر وشاعر بني أميّة الأخطل! ولمّا أنشده قوله فيهم:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| شمس العداوة حتّى يستقاد لهم‏ |  | وأعظم الناس أحلاماً إذا قدروا! |
|  |  |  |

طرب له وقال لغلامه: يا غلام خذ بيده فألق عليه من الخلع ما يغمره! وأنشده الأخطل في الخمرة:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| إذا ما نديمي علّني ثُمّ علّني‏ |  | ثلاث زجاجات لهنّ هدير |
|  |  |  |

ص: 301

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| خرجت أجرّ الذيل تيهاً، كأنّني‏ |  | عليك- أمير المؤمنين- أمير[[615]](#footnote-615) |
|  |  |  |

وكان كثيراً ما يجلس بعد أبي الدرداء إلى امرأته امّ الدرداء، وكان قد بلغها أنّه يشرب فيسكر، فسألته: يا أمير المؤمنين! بلغني أنّك شربت الطلاء (الخمر) بعد

العبادة والنسك! قال: إي واللّه والدماء قد شربتها[[616]](#footnote-616) وكأنّه يشير بذلك إلى يأسه وقنوطه من رحمة اللّه.

وبنو مروان هم أوّل من ابتدع الأذان لصلاتي الفطر والقربان وهو أوّل من نقل الديوان من الفارسية إلى العربية بالترجمان‏[[617]](#footnote-617) إكمالًا لتعريبه دنانير الرومان.

نقل السيوطي ذلك وقال: لولم يكن من مساوي عبد الملك إلا الحجّاج وتوليته إيّاه على المسلمين وعلى الصحابة يذلّهم ويهينهم حبساً وشتماً وضرباً وقتلًا، وقد قتل من الصحابة وأكابر التابعين ما لا يحصى فضلا عن غيرهم، وختم في عنق أنس وغيره من الصحابة ختما يريد بذلك ذلّهم ... فلا رحمه اللّه ولا عفى عنه‏[[618]](#footnote-618).

ولذا قال قبله ابن الوردي بشأن ابن مروان: كان عالما ديّنا حتّى تولّى! بل نقل فيه عن الحسن البصري قال: ما أقول في رجل الحجّاج سيّئة من سيّئاته‏[[619]](#footnote-619)!

ص: 302

الوليد والمسجد النبويّ الشريف‏

كان الوليد قد صاهر عمّه عبد العزيز على ابنته أمّ البنين‏[[620]](#footnote-620) وقد عهد بدفن أبيه عبد الملك بوصيّته إلى ابن عمّه عمر بن عبد العزيز هذا وهوصهره على اخته فاطمة بنت عبد الملك‏[[621]](#footnote-621) فولاه المدينة بمكان هشام بن إسماعيل المخزومي، وأمره أن يوقف هشاما لاقتصاص الناس أومقاضاتهم؛ لأنّه كان قد جار في أحكامه وأساء السيرة. وأن يضرب البعث للفتوح على أهلها. وأن يهدم حجرات أزواج النبيّ (ص) وقد مات كلّهنّ، وكذا المنازل حوله فيدخلها في المسجد ويبنيه من جديد.

فحمل عمر ثقله على ثلاثين بعيرا إلى المدينة فدخلها مع دخول سنة (87 ه-)، فبدأ بإيقاف هشام المخزومي، وكان قد تحامل على آل رسول اللّه (ص) فكان يقول: ما أخاف إلا عليّ بن الحسين (ع) فمرّ به وهوموقوف فسلّم عليه! فناداه هشام: اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ‏[[622]](#footnote-622) فاقتدى به سعيد بن المسيّب فلم يعرض له ولا لأحد من أسبابه وحاميته.

وضرب البعث للغزو والفتوح على حاملي السلاح من أهل المدينة فأخرج منهم إلى الشام ألفي رجل.

وصالح الوليد ملك الروم، وكتب إليه يعلمه أنّه قد هدم مسجد رسول اللّه فليعنه فيه. فبعث إليه بمائة ألف مثقال ذهباً وأربعين حملًا فسيفساء! فبعث الوليد بذلك كلّه إلى عمروبن عبد العزيز.

ص: 303

ولمّا بدأ بهدم الحجرات (وفيها حجرة عائشة) قام خبيب بن عبد اللّه بن الزبير (حفيد أختها أسماء) فقال: نشدتك اللّه يا عمر أن تذهب بآية من كتاب اللّه يقول: إِنَّ الَّذِينَ يُنادُونَكَ مِنْ وَراءِ الْحُجُراتِ‏[[623]](#footnote-623). فأمر عمر به فضرب مائة سوط ثمّ نضح عليه بالماء البارد، وكان الفصل باردا، فمات!

ثمّ هدم الحجرات والمنازل التي حول المسجد وأدخلها فيه وفرغ من بنائه في سنة (90 ه-)، فحجّ الوليد سنة (91 ه-) لينظر إلى المسجد وما اصلح منه، فلمّا قرب من المدينة جمع عمر أشرافها وخرج فتلقّاه بهم، وأخرج من المسجد كلّ‏

من كان فيه إلا سعيد بن المسيّب. فدخل الوليد وجعل يطوف وسعيد بن المسيب جالس، فقال الوليد لعمر: أحسب أن هذا سعيد بن المسيّب؟ قال عمر: نعم، وقد ضعف بصره، كأنّه يعتذر له منه، فجاء الوليد حتّى وقف عليه بلا سلام وقال له: كيف أنت أيّها الشيخ؟ فعرفه وقال: يا أمير المؤمنين نحن بخير وكيف أنت؟ وانصرف الوليد وهويقول: هذا بقيّة الناس! ثمّ قسم بين أهل المدينة قسما كثيرة.

فلمّا كان يوم الجمعة صفّ الجند في المسجد صفّين وخرج الوليد في درّاعة وقلنسوة بلا عمامة ولا رداء فصعد المنبر وقعد عليه وخطب قاعدا! وتوعّد أهل المدينة فقال لهم: إنّكم أهل الخلاف والمعصية!

وكان قد جعل على مكّة خالد بن عبد اللّه القسري، وكان قد بعث إليه بثلاثين ألف دينار فضربت كصفائح على الأساطين داخل الكعبة وعلى الميزاب والأركان والباب، فكان أوّل من فعل ذلك. وصار إلى مكّة ففيها أيضاً خطب خطبة بتراء فيها الوعيد والتهديد! وفي عرفات نصب موائد وأطعم الناس‏[[624]](#footnote-624).

ص: 304

وعيّن ابن الوردي مساحة توسعة مسجد النبيّ بمائتي ذراع في مثلها، وأنّه ثمّن البيوت فوضع أثمانها في بيت المال، وقدمت الفعلة والصناع لذلك من الشام‏[[625]](#footnote-625).

وكان البدء بذلك في سنة (87 ه-)[[626]](#footnote-626). وهدم فيما هدم دار عليّ (ع) الذي كان في المسجد[[627]](#footnote-627).

الوليد ومسجد دمشق‏

قال اليعقوبي: وابتدأ في سنة (88 ه-) ببناء مسجد دمشق فأنفق عليه أموالًا عظاماً[[628]](#footnote-628) وكان في محلّه كنيسة فهدمها[[629]](#footnote-629) وهي كنيسة ماري حنّا، وكانت قد سلمت للرومان بدمشق لوقوعها في النصف من دمشق الذي أخذ صلحا، فأدخلها في جملة الجامع، وجاءه الصناع لعمارته من بلاد الروم وبلاد الإسلام‏[[630]](#footnote-630) واستبدلوا

ص: 305

محلّ الناقوس بالمئذنة، فهي من أوائل المآذن المبنيّة في الإسلام.

وأنفق عليه أربعمائة صندوق من الذهب في كلّ صندوق أربعة عشر ألف أوأربعة وعشرون ألف أو ثمانية وعشرون ألف دينار! فلامه الناس عليه فقال: إنّما هذا من مالي‏[[631]](#footnote-631)!

وأمر الوليد أن يكتب بالذهب على اللازورد على حائط المسجد! ربّنا اللّه لا نعبد إلا إيّاه. أمر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التي فيه عبد اللّه الوليد أمير المؤمنين في ذي الحجة سنة سبع وثمانين‏[[632]](#footnote-632).

فتوح في الروم والأسبان وخراسان‏

وكان مسلمة بن عبد الملك على مكّة فصرفه أخوه الوليد إلى غزوالروم فغزاهم سنة (87 ه-)؟ فافتتح بلدة قمقم وبجرة الفرسان وبلغ عسكره قلوذى ماثلس وسبى منهم وانصرف عنهم. وعاد عليهم في شتاء السنة التالية (88 ه-) ومعه العباس بن أخيه الوليد فرابطا على أنطاكية وشتّوا بها، وجمع الروم لهم جمعا كثيرا فزحفوا إليهم، فقاتلوهم وافتتحوا سوسنة وطوانة من ثغور مصيصة، وقيل قتل من الروم خمسون ألفا، وانصرفوا. وفي سنة (89 ه-) غزا مسلمة عمورية فلقي جمعا من الروم فهزمهم. وفي سنة (90 ه-) افتتح خمسة حصون من سورية! وفي (91 ه-) عزل الوليد أخاه محمّداً عن الجزيرة وأرمينية وأذربايجان وولاها أخاه مسلمة فغزا أذربايجان ففتح حصونا ومدائن منها حتّى بلغ الباب ودان له من وراءها[[633]](#footnote-633).

ص: 306

وقال اليعقوبي: وفي سنة (91 ه-) ولّى الوليد موسى بن نصير اللخمي (مولاهم) على بلاد الأندلس ووجّهه إليها ومعه مولاه طارق بن زياد[[634]](#footnote-634) وقال خليفة: بل في سنة (87 ه-) فأغزى عبد اللّه بن حذيفة الأزدي إلى سردانية من بلاد المغرب فأصاب سبيا وغنم وسلم. وأغزاها ابنه عبد اللّه فافتتح بلدة قولة[[635]](#footnote-635). وفي (89 ه-) أغزاه فغزا ميورقة ومنورقة جزيرتين بين صقلية والأندلس فافتتحهما. وأغزى ابنه مروان السوس الأقصى فافتتحها وبلغ سبيها أربعين ألفا[[636]](#footnote-636)!

وقال اليعقوبي: في سنة (91) وجّه مولاه طارقاً فالتقى الإدريق ملك الأندلس‏[[637]](#footnote-637) وقال المسعودي: عبر طارق إلى الأندلس (من مضيق طارق) وقاتل الاذريق ملك الإشبان الذين كانوا بالأندلس‏[[638]](#footnote-638) وزحف طارق إليه فاقتتلوا قتالًا شديداً، وفتح الأندلس، ثمّ خرج موسى إلى البلد فلقيه طارق وترضّاه فرضي عنه ووجّهه إلى مدينة طليطلة من عظائم مدائن الأندلس على مسيرة عشرين يوماً! فافتتحها وأصاب فيها مائدة ذهب مفصّصة بالجواهر فبعث بها إلى ابن نصير.

وكان قتيبة بن مسلم الباهلي عامل الحجّاج الثقفي في الريّ فكتب الحجّاج إليه أن يذهب بمن معه إلى مرو فيقبض على أبناء المهلّب بن أبي صفرة الأزدي:

يزيد والمفضّل وبني أبيه فيوثقهم ويشخصهم إلى الحجّاج، فقد عزلهم وولاه بدلهم على خراسان. فسار قتيبة بمن معه من الريّ حتّى قدم مرو فأخذ ولد المهلّب وأشخصهم إلى الحجّاج، فطالبهم بستّة آلاف ألف درهم (ملايين) وحبسهم في ذلك‏[[639]](#footnote-639) وعذّبهم لذلك بأشدّ عذاب، فسألوه أن يدخل إليهم التجّار

ص: 307

ليبيعوهم أموالهم‏وضياعهم فيوفّوه ما أراد، فأدخل عليهم التجّار، وكانوا قد تقدّموا إلى ذويهم أن يعدّوا لهم طعاماً كثيراً ويدخلوا عليهم النجائب، فركبوها واختلطوا بغمار الناس وخرجوا معهم متنكّرين إلى دمشق الشام! فصاروا إلى عبد العزيز بن الوليد فشفع لهم عند أبيه الوليد فآمنهم وأحضرهم وصالحهم على نصف ما أراد الحجّاج: ثلاثة آلاف ألف درهم (ملايين)[[640]](#footnote-640).

ثمّ صار قتيبة الباهلي إلى بخارى فافتتحها ومدنا منها معها، وخلّف فيها ورقاء بن نصر الباهلي وانصرف عنها، فلمّا انصرف قتيبة تحرّك صاحب السغد طرخون وحاكم بخارى في الأتراك لقتال قتيبة، فوجّه قتيبة حيّان النبطي إليهم فصالحهم. وكان على الطالقان (من خراسان) بادام، وكان قتيبة قد خاف عصيانه وطغيانه فاصطحب معه ابنه وجماعة رهينة، ومع ذلك عصى وتغلّب على البلد وتحصّن به وارتدّ، فلمّا بلغ ذلك إلى قتيبة أمر بقتل الرهائن وصلبهم، ثمّ التقى بادام فقاتله أيّاماً حتّى ظفر به فقتله وولده وامرأته، واستعمل على البلد أخاه عمروبن مسلم.

وكان يترك خان الترك من طخارستان قد أسلم وتسمّى عبد اللّه وكان يحضر مع قتيبة في حروبه، فلمّا افتتح قتيبة بخارى والطالقان استأذنه يترك ليرجع إلى بلاده طخارستان فأذن له، فلمّا عاد إليها كاتب الناس وبدأ يجمع الجموع عاصياً، فزحف إليه قتيبة ووجّه إليه قبله سليم الناصح فأعطاه الأمان من قتيبة فخرج إليه فقتله قتيبة وبعث برأسه إلى الحجاج.

ثمّ سار قتيبة إلى السغد فخرج إليه صاحبهم فصافّه أيّاماً ثمّ هرب فانصرف قتيبة عنهم.

وكتب الحجّاج إليه يأمره أن يصير إلى سجستان فيحارب رتبيل ملك ثغر الهند، وذلك في سنة (92 ه-) فسار حتّى صار إلى زالق وزحف إلى رتبيل، ثمّ‏

ص: 308

بدا له فولّى لذلك عبد ربّه الليثي وانصرف عنه. وكان قد بلغه أنّ سعيد بن ونوفار في خوارزم قد خرج على عامل قتيبة وقتله، فسار قتيبة إلى خوارزم حتّى قدمها وحاصر سعيد بن ونوفار حتّى قتله وسبى مائة ألف! وانصرف بغنائم لم يسمع بمثلها، وأصلح البلاد. واستخلف عليها عبد اللّه الكرماني. وأراد جنده أن يرجعوا بما في أيديهم إلى أوطانهم فلم يأذن لهم قتيبة أن يبرحوا وكان قد بلغه أن غوزك قد قتل طرخون ملك السغد في سمرقند وتملّك على البلد، فسار بأنصاره إليهم وقاتل غوزك في حروب شديدة، ثمّ دعاه إلى الصلح فأذعنوا له، واتّخذ غوزك ملك سمرقند لهم طعاماً وكتبوا كتاب الصلح كذا: هذا ما صالح عليه قتيبة ابن مسلم غوزك أخشيد السغد وأفشين سمرقند، على السغد وسمرقند وكشّ ونسف، صالحه على ثلاثة آلاف درهم يؤدّيها غوزك إليّ رأس كلّ سنة. وجعل له عهد اللّه وذمّته وذمّة الأمير الحجّاج بن يوسف وأشهد شهودا، وكان ذلك في‏

سنة (94 ه-) وولّى عليها أخاه عبد الرحمن بن مسلم وخرج منها. فأتاهم ملك الترك خاقان وغدر به أهل سمرقند فكتب بذلك إلى أخيه قتيبة، فتوقّف قتيبة حتّى ينحسر الشتاء ثمّ سار إليه فهزم الأتراك، واستقامت له خراسان‏[[641]](#footnote-641).

وفتوح في السند والهند

قال اليعقوبي: وجّه الحجّاج محمّد بن القاسم الثقفي سنة (92 ه-) إلى السند، وأمره أن يقيم بشيراز من أرض فارس حتّى يمكن الزمان. فقدم محمّد شيراز وأقام بها ستة أشهر، ثمّ سار في ستّة آلاف فارس إلى مكران فأقام بها نحو شهر،

ص: 309

ثمّ زحف إلى قنّزبور فحاربهم شهورا حتّى فتحها فغنم وسبى. ثمّ زحف إلى ارمائيل فحاربهم أيّاما حتّى فتحها فأقام بها شهوراً. ثمّ زحف إلى الدّيبل في خلق عظيم حتّى بلغها وأقام يحاربهم عدّة شهور ثمّ وضع السلالم على سورها وأصعد إليها الرجال حتّى فتحها عنوة، فقتل المقاتلة. وكان لهم بدّ (بت: صنم) يعبدونه طوله أربعون ذراعا فكسره، ووجد له سبعمائة راتبة لخدمته، وأخذ من ذلك المعبد أموالا عظاماً. ثمّ سار من الدّيبل إلى البيرون فصالحهم، ثمّ كتب إلى الحجّاج يستأذنه هل يتقدّم؟ فكتب إليه أن سِرْ فأنت أمير على ما فتحته! فمضى محمّد الثقفي لا يمرّ ببلد إلا غلب عليه ولا مدينة إلا فتحها صلحاً أوعنوة، حتّى عبر نهر السند دون شط مهران، ثمّ سار إلى سهبان ففتحها، ثمّ سار نحوشطّ مهران، فلمّا بلغ إلى ملك السند داهر مكان الثقفي وجّه إليه جيشاً عظيماً، فلقى ابن القاسم ذلك الجيش فهزمه، فزحف إليه داهر بجمعه وبنفسه فأقام مواقفا له عدّة شهور، ثمّ زحف إليه داهر على فيله واشتدّت الحرب بينهما وأخذت من الفريقين، حتّى عطش فيل داهر فغلب فيّاله فترجّل منه داهر ونزل يقاتل حتى قتل وانهزم جيشه، وفتح المسلمون، وكتب محمّد إلى الحجّاج بالفتح وبعث إليه برأس داهر، وحمل امرأة داهر معه.

ثمّ مضى في بلاد السند ففتح بلداً بلداً ومدينة مدينة حتى أتى الرور أعظم مدائن السند فحاصرها حصارا شديدا، ثمّ بعث إليهم بامرأة داهر قالت لهم: إنّ الملك قد قتل فاطلبوا الأمان! فطلبوه، ونزلوا على حكمه وفتحوا له باب المدينة، فدخلها، ثمّ استخلف عليها ومضى يقطع سائر البلاد ويفتح مدينة مدينة. وكتب الحجّاج إليه: إنّي كنت قد ضمنت لأمير المؤمنين الوليد أن أردّ إلى بيت المال ما أنفقت لهذا الغزوفأخرجني من ضماني! فحمل إليه أكثر ممّا أنفق. وأقام بالسند حتّى هلك الحجّاج والوليد[[642]](#footnote-642).

ص: 310

ونقل خليفة عن أبي عبيدة قال: ولّى الحجّاج محمّداً الثقفي وهوابن سبع عشرة سنة! ولذا قال الشاعر:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| قاد الجيوش لسبع عشرة حجّة |  | يا قرب ذلك سؤدداً من مولد[[643]](#footnote-643) |
|  |  |  |

وروى أنّ داهر داهمهم ذات ليلة فقاتلوه فقتلوه وهزم أصحابه فأتبعهم محمّد حتّى أتى مدينة براهما فحاصرها حتّى فتحها، ثمّ سار إلى الكيرج فافتتحها سنة (93 ه-) وفي سنة (95 ه-) افتتح مدينة المولتان‏[[644]](#footnote-644).

ونقل عن عوانة بن الحكم قال: في المحرم سنة (93 ه-) غزا موسى بن نصير اللخمي (مولاهم) مدينة طنجة على البحر فافتتحها. ثمّ عبر البحر لا يأتي على مدينة حتّى ينزلوا على حكمه أويفتحها عنوة، حتّى سار إلى قرطبة (كارتوبا) ثمّ اتّجه غربا فافتتح بلدة باجة على البحر، ثمّ افتتح مدينة البيضاء، ثمّ وجّه الجيوش فجعلوا يفتحون ويغنمون!

وفي سنة (94) بعث موسى بن نصير بالخمس من الأندلس إلى الوليد وقدم إليه بما معه من التيجان والأموال يخبره بما فتح اللّه عليه. وفي سنة (95) استخلف ابنه عبد اللّه بن موسى على إفريقية وقفل منها يحمل الأموال ومعه ثلاثون ألف رأس! إلى الوليد[[645]](#footnote-645).

قال: وفي سنة (93 ه-) كان أنس بن مالك الأنصاري النجّاري قد بلغ مائة سنة وثلاث سنين فتوفي‏[[646]](#footnote-646)، فكان آخر الأنصار بل الصحابة موتاً.

ص: 311

ونطق الفرزدق بالحّق‏

روى الكشيّ عن العيّاشي عن الغلّابي البصري عن ابن عائشة عن أبيه محمّد ابن عائشة: أنّ هشام بن عبد الملك حجّ في خلافة أبيه أوأخيه الوليد، فطاف بالبيت وأراد أن يستلم الحجر الأسود فلم يقدر عليه من الزحام، فنصب له منبر فجلس عليه وأطاف به أهل الشام ومعهم الفرزدق الشاعر. فبينا هوكذلك إذ أقبل عليّ بن الحسين (ع) وعليه إزار ورداء، وهو من أحسن الناس وجها وأطيبهم رائحة، بين عينيه سجّادة كأنّها ركبة عنز! فجعل يطوف بالبيت فإذا بلغ إلى موضع الحجر تنحّى الناس عنه حتّى يستلم! هيبة منه وإجلاله له!

فقال رجل من أهل الشام لهشام: يا هشام! من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة وأفرجوا له عن الحجر؟ وقد عرفه هشام ولكنّه قال: لا أعرفه! مخافة أن يرغب فيه أهل الشام! وكان الفرزدق همّام بن غالب البصري حاضراً فقال:

لكنّي أعرفه! فالتفت إليه الشامي وقال له: من هويا أبا فراس! فأنشأ يقول:

ص: 312

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| هذا الذي تعرف البطحاء وطأته‏ |  | والبيت يعرفه والحلّ والحرم‏ |
| هذا ابن خير عباد اللّه كلّهم‏ |  | هذا التقيّ النقيّ الطاهر العلم‏ |
| هذا عليّ، رسول اللّه والده‏ |  | أمست بنور هداه تهتدي الامم‏ |
| إذا رأته قريش قال قائلها |  | إلى مكارم هذا ينتهي الكرم‏ |
| ينمى إلى ذروة العزّ التي قصرت‏ |  | عن نيلها عرب الإسلام والعجم‏ |
| يكاد يمسكه عرفان راحته‏ |  | ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم‏ |
| يغضي حياء ويغضى من مهابته‏ |  | فما يكلّم إلا حين يبتسم‏ |
| ينجاب نور الهدى عن نور غرّته‏ |  | كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلم‏ |
| هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله‏ |  | بجدّه أنبياء اللّه قد ختموا[[647]](#footnote-647) |
|  |  |  |

قال: فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق، فحبس في عسفان بين مكّة والمدينة، فجعل الفرزدق يهجوهشاما وممّا هجاه به قوله:

|  |  |  |
| --- | --- | --- |
| أيحسبني بين المدينة والتي‏ |  | إليها قلوب الناس يهوي منييها |
| يقلّب رأسا لم يكن رأس سيّد |  | وعيناً له حولاء باد عيوبها |
|  |  |  |

وبعث إليه عليّ بن الحسين (ع) باثني عشر ألف درهم وقال له: أعذرنا يا أبا فراس، فلوكان عندنا أكثر من هذا لوصلناك به! فردّها وقال: يابن رسول اللّه! ما قلت الذي قلت إلا غضباً للّه ولرسوله! وما كنت لأقبل عليه أجرا! فردّها عليّ بن الحسين (ع) وقال له: بحقّي عليك لمّا قبلتها! فقد رأى اللّه مكانك وعلم نيّتك! فقبلها الفرزدق. ولمّا بلغ هشاماً أنّ الفرزدق يهجوه بعث إليه فأخرجه‏[[648]](#footnote-648) خوف الفضيحة، ولم يكن خليفة ولا وليّاً للعهد ليمكنه أن يفتك به، ولعلّ الفرزدق وافق هوى في ذلك للخليفة الوليد فتجرّأ على أخيه هشام.

وكأنّه بلغ الوليد أن كثيراً من الحجّاج الذين لم يكترثوا لهشام ولكنّهم انفرجوا للسجّاد (ع) إكراماً هم من العراقيّين الفارّين من جور الحجّاج، فكتب اليعقوبي: أنّ الوليد كتب إلى عامله على الحجاز خالد بن عبد اللّه القسري يأمره بإخراج مَن بالحجاز من أهل العراقين وحملهم إلى الحجّاج بن يوسف! فنادى مناديه بمكّة والمدينة- وأكثرهم بها-: ألا برئت الذمّة ممن آوى عراقيّا! ثمّ بعث‏

ص: 313

خالد إلى المدينة عثمان بن حيّان المرّي لإخراج من بها من أهل العراقين! وكان جماعاتهم يجتمعون في الجوامع فأخرجهم جميعاً إلى الحجّاج ولم يترك تاجراً ولا غير تاجر، وكان لا يبلغه أنّ أحداً منهم في دار أحد بالمدينة إلا أخرجه‏[[649]](#footnote-649).

وكأنّ هذا الأمر عمّ العراقيّين وخصّ منهم التابعيّ الجليل سعيد بن جبير مولى بني والبة من أسد الكوفة[[650]](#footnote-650)، وقد نصّ الصادق (ع) على أنه كان مستقيماً وكان يأتمّ بعليّ بن الحسين (ع). وكان عليّ يثني عليه‏[[651]](#footnote-651) وكان سعيد آخر من قتله الحجّاج ثمّ هلك، فإلى خبره.

مقتل سعيد بن جبير مولى بني أسد

بلغ (الوليد بن) عبد الملك‏[[652]](#footnote-652) أنّ سعيد بن جبير قد لجأ إلى مكّة، فولّى عليها خالد ابن عبد اللّه القسري بكتاب قرأه عليهم فيه: إلى أهل مكّة! أمّا بعد، فإنّي قد ولّيت عليكم خالد بن عبد اللّه القسري فاسمعوا له وأطيعوا، ولا يجعلنّ امرؤ على نفسه سبيلا، فإنّما هوالقتل لا غير، وقد برئت الذمّة من رجل آوى سعيد بن جبير، والسلام!

ثمّ التفت خالد إليهم وقال: والذي نحلف به ونحجّ إليه! لا أجده في دار أحد إلا قتلته وهدمت داره ودار كلّ من جاوره واستبحت حرمته! وقد أجّلتكم فيه ثلاثة أيّام! ثمّ نزل.

فأخبره رجل أنّ سعيد بن جبير بواد من أودية مكّة بمكان كذا مختفيا.

ص: 314

فأرسل خالد في طلبه. فأتاه الرسول ولكنّه قال له: إنّما امرت بأخذك ولكنّي أعوذ باللّه من ذلك فالحق بأيّ بلد شئت وأنا معك! قال ابن جبير: ألك أهل وولد هنا؟ قال: نعم. قال: فإنّهم يؤخذون وينالهم مثل ما ينالني! قال: فإنّي أكلهم إلى اللّه! قال سعيد: لا يكون هذا! فأتى به إلى خالد، فشدّه وثاقا وبعث به إلى الحجّاج، كذا أمره ابن مروان.

وكان معه جند من الشام فقال له أحدهم: إنّ الحجّاج قد أنذر به وأشعر قبلك فما عرض له، فلوجعلته فيما بينك وبين اللّه (؟) لكان أزكى من كلّ عمل يتقرّب به إلى اللّه!

وكان خالد حينها مسنداً ظهره إلى الكعبة فقال: واللّه لوعلمت أنّ (الوليد بن) عبد الملك لا يرضى عنّي إلا بنقض هذا البيت حجرا حجرا لنقضته لمرضاته!

فلمّا قدموا بسعيد على الحجّاج سأله: ما اسمك؟ قال: سعيد. قال: ابن من؟ قال: ابن جبير. قال: بل أنت شقيّ بن كسير! قال: أمّي أعلم باسمي واسم أبي. قال: شقيت وشقيت امّك! قال سعيد: الغيب يعلمه غيرك! قال الحجّاج:

لاوردنّك حياض الموت! قال سعيد: إذن أصابت أمّي في اسمي! قال الحجّاج:

لابدلنّك بالدنيا ناراً تلظّى! قال سعيد: ولوأنّي أعلم أنّ ذلك بيدك لاتخذتك إلهاً! قال: الحجّاج: فما قولك في محمّد؟ قال سعيد: نبيّ الرحمة ورسول ربّ العالمين إلى الناس كافّة بالموعظة الحسنة! فقال الحجّاج: فما قولك في الخلفاء؟ قال سعيد: لست عليهم بوكيل‏ كُلُّ امْرِئٍ بِما كَسَبَ رَهِينٌ‏[[653]](#footnote-653) قال الحجّاج: أشتمهم أم أمدحهم؟ قال سعيد: لا أقول إلا ما أعلم، إنمّا استحفظت أمر نفسي. قال الحجّاج: أيّهم أعجب إليك؟ قال: يفضل بعضهم على بعض، قال: صف لي‏

ص: 315

قولك في علي! أفي الجنّة هوأم في النار؟ قال سعيد: لودخلت الجنّة فرأيت أهلها علمت، ولورأيت من في النار علمت، فما سؤالك عن غيب قد حفظ بالحجاب! قال الحجّاج: فأيّ رجل أنا يوم القيامة؟! قال سعيد: أنا أهون على اللّه من أن يطلعني على الغيب! قال: أبيت أن تصدّقني! قال سعيد: بل لم أرد أن اكذبك! قال الحجّاج: فدع عنك هذا كلّه، وأخبرني ما لك لم تضحك قّط؟ قال: وكيف يضحك مخلوق من طين والطين تأكله النار ومنقلبه إلى الجزاء، واليوم يصبح ويمسي في الابتلاء! قال الحجّاج: فأنا أضحك. قال سعيد: كذلك خلقنا اللّه أطواراً! قال الحجّاج: هل رأيت شيئاً من اللهو؟ قال: لا أعلمه. فدعا الحجّاج بالعود والناي وأمر بضربهما، فلمّا ضرب بالعود ونفخ في الناي بكى! قال: ما يبكيك؟ قال: أمّا هذه النفخة فذكّرتني يوم النفخة في الصور! وأمّا هذه المصران فمن نفس هي معك إلى الحساب، وأمّا هذا العود فقد نبت بالحقّ وقطع لغير الحقّ! فقال الحجّاج: أنا قاتلك! قال سعيد: قد فرغ من تسبّب موتي. قال الحجّاج: أنا أحبّ إلى اللّه منك! قال سعيد: لا يقدم أحد على ربّه حتّى يعرف منزلته منه، واللّه أعلم بالغيب. قال الحجّاج: كيف لا أقدم على ربّي في مقامي هذا وأنا مع إمام الجماعة وأنت مع إمام الفرقة والفتنة؟! قال سعيد: ما أنا بخارج عن الجماعة ولا أنا براض بالفتنة، ولكنّ قضاء الربّ نافذ لا مردّ له.

قال الحجّاج: كيف ترى ما نجمع لأمير المؤمنين؟ ودعا بذهب وفضة وجواهر وكسوة!

فقال سعيد: هذا حسن إن قمت بشرطه! قال: وما شرطه؟ قال: أن تشتري له بما تجمع من هذا الأمن من الفزع الأكبر يوم القيامة! وإلا فإنّ كلّ مرضعة تذهل عمّا أرضعت وتضع كلّ ذات حمل حملها، ولا ينفعه إلا ما طاب منه. قال:

فترى جمعنا طيّبا؟ قال: برأيك جمعته فأنت أعلم بطيبه. قال: أتحبّ أن يكون لك شي‏ء منه؟ قال: لا احب ما لا يحب اللّه! قال: ويلك! قال: الويل لمن زحزح عن الجنّة وادخل النار! قال: فاقتلوه!

ص: 316

فقال له: يا حجّاج! فإنّي اشهدك أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، وأن محمّدا عبده ورسوله، أستحفظكهنّ حتّى ألقاك يا حجّاج. فأخذوه فلمّا أدبر سمع يضحك فقال الحجّاج: ما يضحكك يا سعيد؟ قال: عجبت من جرأتك على اللّه وحلم اللّه عليك! قال الحجّاج: إنّما أقتل من شقّ عصا الجماعة ومال إلى الفرقة التي نهى اللّه عنها. اضربوا عنقه.

فقال سعيد: حتّى اصلّي ركعتين فلمّا استقبل القبلة قال الحجّاج: اصرفوه عن القبلة إلى قبلة النصارى الذين تفرّقوا واختلفوا بغيا بينهم فإنّه من حزبهم! فصرفوه عن القبلة فتلا: فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ‏[[654]](#footnote-654) الكافي بالسرائر. فقال الحجّاج: لم نوكّل بالسرائر وإنّما وكّلنا بالظواهر. قال سعيد: اللهمّ لا تترك له ظلمي واطلبه بدمي واجعلني آخر قتيل يقتله من امّة محمّد! فقال الحجّاج: لا أخاف إلا دعاء من هو في ذمّة الجماعة من المظلومين، فأمّا أمثال هؤلاء فإنّهم ظالمون حين خرجوا عن جمهور المسلمين! فقتلوه. فقيل: لم يفرغ من قتله حتى خولط في عقله فجعل يصيح: قيودنا قيودنا[[655]](#footnote-655)!

ولمّا ضربت عنق سعيد سقط رأسه يتدحرج على الأرض ويسمع منه: لا إله إلا اللّه، ولم يزل كذلك حتّى أمر الحجّاج بعض رجاله أن يضع رجله على فيه! ففعل فسكت.

وروى في محاجّة الحجّاج إيّاه قال له: قدمت الكوفة فجعلتك إماماً! وليس يؤمّ بها إلا عربي! ثمّ إنّي ولّيتك القضاء فضجّ أهل الكوفة وقالوا: لا يصلح القضاء إلا لعربي! فاستقضيت أبا بردة (بن أبي موسى الأشعري) وأمرته ألا يقطع أمراً دونك! وجعلتك من سمّاري! فما أخرجك عليّ؟! واللّه لأقتلنّك! وقتله‏

ص: 317

وله ابنان: عبد اللّه وعبد الملك! وله تسع وأربعون سنة في سنة أربع وتسعين‏[[656]](#footnote-656).

وكذلك ذكره أبونعيم وقال: كان ذلك في شعبان‏[[657]](#footnote-657) في بلدة واسط ودفن بظهرها وقبره بها معلوم معروف، وهلك الحجّاج بعده بستّة أشهر[[658]](#footnote-658) في سنة (95 ه-) وله أربع وخمسون سنة، على رأس عشرين عاما من إمرته على العراقين‏[[659]](#footnote-659) وقال المسعودي: كان في شهر رمضان قبل موت الوليد بتسعة أشهر[[660]](#footnote-660) وقبل قتل سعيد قتل كميل بن زياد، فنذكره هنا.

قتل كميل بن زياد النخعي‏

كان كميل بن زياد النخعي من القرّاء الذين شاركوا في خروج عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث الكندي على الحجّاج وبني أميّة في وقعة دير الجماجم‏[[661]](#footnote-661) وكان قد بلغ الحجّاج أنّ كميلا كان ممّن شارك في الثورة على عثمان، فأمر بطلبه فهرب منه مختبئا في قومه، فحرم قومه النخع عطاءهم، فلمّا رأى كميل ذلك قال لهم: أنا شيخ كبير قد نفد عمري فلا ينبغي أن احرم قومي عطيّاتهم.

فخرج وأسلم بيده للحجّاج، فلمّا رآه قال له: لقد كنت أحبّ أن أجد عليك سبيلًا! فقال له كميل:

ص: 318

لا تصرف عليّ أنيابك ولا تهدّم عليّ، فواللّه ما بقي من عمري إلا مثل كواسل الغبار، فاقض ما أنت قاض، فإن الموعد اللّه، وبعد القتل الحساب! ولقد خبّرني أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (ع) أنّك قاتلي! فقال له الحجّاج: الحجة عليك إذن! فقال كميل: ذاك إن كان القضاء إليك‏[[662]](#footnote-662).

فقال له الحجّاج: أنت الذي فعلت بعثمان كذا؟! فقال كميل: لا تكثر عليّ اللوم ولا تهل عليّ الكثيب، وما ذاك؟ رجل لطمني فأنفد صبري وعفوت عنه،

فأيّنا كان المسي‏ء؟ فأمر به فضربت عنقه‏[[663]](#footnote-663) بالكوفة، ودفن بالثويّة بظهر الكوفة إلى النجف، وقبره بها معلوم معروف مشهور.

هلاك الحجّاج‏

قال المسعودي: بلغ عدد من قتله الحجّاج صبرا في غير حروبه: مائة وعشرين ألفا؛ منهم كميل بن زياد النخعي صاحب عليّ بن أبي طالب (ع) وسعيد بن جبير صاحب عبد اللّه بن العباس، مولى لبني والبة من أسد الكوفة.

وتوفّي الحجّاج وفي محبسه خمسون ألف رجل، وثلاثون ألف امرأة! وكان حبسه لا يكنّهم من برد ولا حرّ، ويسقون الماء مشوبا بالرماد!

وكان قد تولّى العراق وخراجها مائة ألف ألف (مليون) درهم، فلم يزل بعنته وسوء سياسته حتّى صار خراجها خمسة وعشرين ألف ألف (مليون) درهم، أي ربع ما كان من قبل‏[[664]](#footnote-664).

وقال ابن العبري: وكان الحجّاج مبتلى بأكل الطين! وكان له طبيبان‏

ص: 319

نصرانيّان: يتاذوق، وثاودون، فدخل هذا الثاني عليه يوماً فقال له: ما دواء أكل الطين؟ قال: أيّها الأمير عزيمة مثلك! فلم يعد إليها بعدها.

وذكروا أنّه أخذه السلّ فهجره النوم فأحضر منجّماً فسأله: هل ترى ملكاً يموت؟ قال: نعم أرى ملكاً يموت ولكن اسمه كليب! فقال: بذلك سمّتني امّي! قال المنجّم: كذلك تدل عليه النجوم! قال الحجّاج: فلاقدمنّك أمامي! ثمّ أمر به فضربت عنقه! ثمّ مات الحجّاج‏[[665]](#footnote-665).

وقال ابن الوردي: كان الحجّاج أخفش فصيحا رقيق الصوت! وقال عمر بن عبد العزيز: لوجاءت كلّ امّة بمنافقيها وجئنا بالحجّاج لفضلّناهم‏[[666]](#footnote-666)!

وكان الحجّاج يستخلف على عمله يزيد بن أبي مسلم، فأقرّه الوليد بن عبد الملك على ذلك‏[[667]](#footnote-667).

ص: 320

وفاة الإمام السجّاد (ع)

مرّ الخبر عن عدم اكتراث الحجّاج بهشام وانفراجهم للإمام السجّاد (ع)، وأنّ كثيراً منهم كان من حجّاج العراق الفارّين من الحجاج، وأن الوليد أمر بردّهم إليه عموما وخصّ منهم سعيد بن جبير، وجاء فيه عن الصادق (ع) قال: كان يأتمّ بعلي بن الحسين (ع) وما كان سبب قتل الحجّاج له إلا على هذا الأمر[[668]](#footnote-668)!

والحجّاج إنّما قتله بإرسال الوليد إيّاه إليه لذلك كما مرّ خبره، فلوكان قتله لا لائتمامه بعلي بن الحسين (ع)، فلا بعد فيما جاء أنّ الوليد سمّ الإمام (ع)[[669]](#footnote-669).

ولم يأت فيما رواه الكليني عن الحميري بسنده عن الصادق (ع) قال:

عاش عليّ بن الحسين بعد الحسين عليهما السّلام خمسا وثلاثين سنة، وقبض وهوابن سبع وخمسين سنة في عام خمس وتسعين‏[[670]](#footnote-670).

وقال المسعودي: في سنة (95 ه-) قبض عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، في ملك الوليد .. وهوابن سبع وخمسين سنة، وهوالسجّاد وذوالثفنات وزين العابدين، ودفن بالمدينة في بقيع الغرقد مع عمّه الحسن بن علي. وكلّ عقب الحسين من عليّ هذا[[671]](#footnote-671).

وقال ابن الوردي: في سنة (94 ه-) وقيل (95 ه-) توفّي عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب. الذي سلم من القتل؛ لأنّه كان مريضا على الفراش (لا

ص: 321

لصغره) وكان كثير العبادة، ولهذا سمّي زين العابدين. توفّي في المدينة ودفن بالبقيع، وعمره ثمان وخمسون سنة[[672]](#footnote-672).

وصاياه الأخيرة وصدقة السرّ

روى ابن الصبّاغ المالكي قال: دخل جماعة على عليّ بن الحسين (ع) عائدين له، فقالوا له: كيف أصبحت يابن رسول اللّه فدتك أنفسنا؟ قال: في عافية، واللّه المحمود على ذلك. ثمّ قال لهم: كيف أصبحتم أنتم جميعاً؟ قالوا:

أصبحنا واللّه يابن رسول اللّه لك وادّين محبّين. فقال: من أحبّنا للّه تعالى أدخله اللّه ظلًا ظليلًا يوم لا ظلّ إلا ظلّه، ومن أحبّنا يريد مكافأتنا كافأه اللّه عنّا بالجنّة، ومن أحبّنا لغرض دنيا آتاه اللّه رزقه من حيث لا يحتسب‏[[673]](#footnote-673).

وروى الخزّاز في «كفاية الأثر»: أنّه (ع) في أيّام مرضه جمع أولاده محمّداً والحسن وعبد اللّه وزيدا والحسين، وقال لأبي جعفر الباقر (ع): يا بُنيّ، العقل رائد الروح، والعلم رائد العقل، والعقل ترجمان العلم. واعلم أنّ العلم أبقى، واللسان أكثر هذراً، وأنّ صلاح الدنيا بحذافيرها في كلمتين بهما إصلاح شأن المعايش: مل‏ء مكيال: ثلثاه فطنة وثلثه تغافل؛ لأنّ الإنسان لا يتغافل عن شي‏ء قد عرفه ففطن له. واعلم أنّ الساعات تذهب عمرك، وأنّك لا تنال نعمة إلا بفراق أخرى. وإيّاك والأمل الطويل، فكم من مؤمّل أملا لا يبلغه، وجامع مال لا يأكله، ومانع ما سوف يتركه، ولعلّه من باطل جمعه، ومن حقّ منعه، أصابه حراما وورّثه واحتمل إصره وباء بوزره، ذلك هوالخسران المبين. ثمّ أوصى بالإمامة إليه‏[[674]](#footnote-674).

ص: 322

وروى الكليني بسنده قال: التفت عليّ بن الحسين (ع) وهوفي الموت إلى ولده وهم مجتمعون عنده، وكان قد أخرج قبل ذلك صندوقاً عنده، فالتفت إلى محمّد ابنه وقال له: يا محمّد احمل هذا الصندوق واذهب به إلى بيتك. فحمل بين أربعة[[675]](#footnote-675).

وروى بسنده عن الصادق (ع) قال: لمّا كانت الليلة التي وعد فيها عليّ بن الحسين (عليهماالسلام) قال لأبي: يا بُنيّ أبغني وضوءاً (ماء للوضوء) قال أبي: فقمت فجئته بوضوء، فقال: إنّ فيه شيئاً ميّتاً! قال: فخرجت فجئت بالمصباح فإذا فيه فأرة ميتة! فجئته بوَضوء غيره، فقال: يا بُني هذه الليلة التي وعدتها.

وروى بسنده عن الكاظم (ع) قال: إنّ عليّ بن الحسين (عليهماالسلام) لمّا حضرته الوفاة اغمي عليه ثمّ فتح عينيه وقرأ: إِذا وَقَعَتِ الْواقِعَةُ و إِنَّا فَتَحْنا لَكَ‏ ثمّ تلا: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنا وَعْدَهُ وَ أَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعامِلِينَ‏[[676]](#footnote-676) ثمّ لم يقل شيئاً حتّى قبض من ساعته.

وفي آخر الخبر السابق قال: لمّا مات عليّ بن الحسين عليهما السّلام فقد ناس من كان يخرج إليهم في الليلة الظلماء يحمل جراباً فيه صرر فيها دراهم ودنانير، حتّى يأتي باباً باباً فيقرعه ثمّ ينيل من يخرج إليه، فلمّا مات عليّ بن الحسين علموا أنّ علياً (ع) كان يفعله‏[[677]](#footnote-677).

ص: 323

ونقله الحلبي فلم يذكر صرار الدرهم والدينار وزاد: وكان إذا ناول فقيراً غطّى وجهه لئلا يعرفه. وأضاف: وفي خبر: أنّه كان إذا جنّ الليل وهدأت العيون قام فجمع ما بقي في منزله من قوت أهله وجعله في جراب وحمله على عاتقه، وخرج إلى دور الفقراء وهومتلثّم، فيفرّق عليهم. وكثيراً ما كانوا قياماً على أبوابهم ينتظرونه فإذا رأوه تباشروا وقالوا: جاء صاحب الجراب!

وروي عنه (ع) أيضاً قال: إنّه كان يعول مائة بيت من فقراء المدينة. وكان يعجبه أن يحضر طعامه الأضرّاء والزمنى واليتامى والمساكين الذين لا حيلة لهم، وكان يناولهم بيده، ومن كان منهم له عيال حمّله إلى عياله من طعامه، وقد قاسم اللّه ماله مرّتين‏[[678]](#footnote-678).

وفي حمله الطعام إلى دور الأيتام نقل الصدوق بسنده عن سفيان بن عيينة عن الزهري أنّه رأى عليّ بن الحسين في ليلة باردة مطيرة وعلى ظهره دقيق وحطب! فسأله: يابن رسول اللّه ما هذا؟ قال: اريد سفرا اعدّ له زادا أحمله إلى موضع حريز! وكان مع الزهري غلامه فقال: هذا غلامي يحمله عنك. فأبى. فقال الزهري: فأنا أحمله عنك فإنّي أرفعك (اجلّك) عن حمله. فقال عليّ بن الحسين: لكنّي لا أرفع نفسي عمّا ينجّيني في سفري ويحسن ورودي على ما أرد عليه، أسألك بحقّ اللّه لمّا مضيت لحاجتك وتركتني. فانصرف الزهري عنه، وبعد أيّام سأله: يابن رسول اللّه لست أرى لذلك السفر الذي ذكرته أثرا! قال: يا زهري، ليس ما ظننته، ولكنّه الموت وكنت أستعدّ له، والاستعداد للموت تجنّب الحرام وبذل الخير والندى.

فلمّا مات ووضع على السرير ليغسل شوهد ظهره وعليه مثل ركب الإبل ممّا كان يحمل على ظهره إلى منازل الفقراء والمساكين‏[[679]](#footnote-679).

ص: 324

ونقله الحلبي وفصّله عن أبي نعيم عن عمروبن ثابت قال: لمّا مات عليّ بن الحسين فغسّلوه جعلوا ينظرون إلى آثار سواد في ظهره فسألوا: ما هذا؟

فقيل: إنّه كان يحمل أجربة الدقيق على ظهره ليلا ليعطيها فقراء المدينة.

وزاد عن الزهري قال: لمّا مات زين العابدين (ع) فغسّلوه وجد على ظهره مجل (أثر حبل) فبلغني أنّه كان يستقي بالليل لضعفة جيرانه‏[[680]](#footnote-680).

وروى المفيد بسنده، عن يونس بن بكير الشيباني، عن محمّد بن إسحاق قال: كان بالمدينة كذا وكذا أهل بيت يأتيهم رزقهم وما يحتاجون إليه، لا يدرون من أين، فلمّا مات عليّ بن الحسين (عليهماالسلام) فقدوا ذلك‏[[681]](#footnote-681).

ونقله الحلبي عن الحلية والأغاني وزاد: فصرخوا صرخة واحدة، وعنهما، عن ابن اسحاق، عن الباقر (ع) وأبي حمزة الثمالي: أنّه (ع) كان يحمل جراب الخبز بالليل على ظهره فيتصدّق به ويقول: إنّ صدقة السر تطفى‏ء غضب الرب‏[[682]](#footnote-682).

وإنّما كان هذا من الإمام السجّاد (ع) لرعاية أيتام قتلى واقعة الحرّة وحرمان بقاياهم من العطاء، فكان ذلك لعلّة خاصّة، وهي قضيّة في واقعة، فلا يقاس عليها.

ص: 325

وأمّا يوم الوفاة: فأقدم ما بأيدينا فيه هوما ذكره المفيد: في الخامس والعشرين من المحرّم‏[[683]](#footnote-683) وتابعه تلميذه الطوسي‏[[684]](#footnote-684) وأوّل من خالف الفتّال فقال:

لاثنتي عشرة ليلة بقيت من المحرّم‏[[685]](#footnote-685) وتابعه الطبرسي والحلبي. وقلبه الشهيد الثاني فقال: قبض ثاني عشر شهر محرّم‏[[686]](#footnote-686) وكأنّ لفظ: بقيت، قرأها: خلت! وهو وهم.

ص: 327

مصادر الكتاب‏

1 الآثار الباقية عن القرون الخالية، أبو ريحان محمّد بن أحمد البروني (ت: 440 ه-. ق).

2 أخبار إصفهان، أبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد الإصفهاني (ت: 430 ه-. ق).

3 الأخبار الطوال، أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري (ت: 282 ه-. ق).

4 أخبار الزينبيّات، يحيى بن الحسن بن جعفر العبيدلي العقيقي (ت: 277 ه-. ق).

5 اختيار معرفة الرجال (رجال الكشي)، أبوجعفر محمّد بن الحسن الطوسي المعروف ب- (شيخ الطائفة) (ت: 460 ه-. ق).

6 تحقيق در باره أولين أربعين حضرت سيّد الشهداء، محمّد عليّ قاضي طباطبائي (معاصر).

7 الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، الشيخ المفيد أبي عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: 413 ه-. ق).

8 أصول الكافي (فروع الكافي) (روضة الكافي)، أبوجعفر محمّد بن إسحاق الكليني (ت: 329 ه-. ق).

9 أعلام الهداية (ج 6) (الإمام عليّ بن الحسين (ع) زين العابدين)، لجنة التأليف والتحقيق في المجمع العالمي لأهل البيت (عليهم السلام).

10 إعلام الورى بأعلام الهدى، أبوعلي الفضل بن الحسن الطبرسي (من أعلام القرن السادس الهجري).

ص: 328

11 إقبال الأعمال، رضي الدين عليّ بن موسى بن جعفر ابن طاووس اليماني (ت: 664 ه-. ق).

12 الأمالي، الصدوق أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (ت: 381 ه-. ق).

13 الأمالي، الشيخ الطوسي أبي جعفر محمّد بن الحسن الطوسي (ت: 460 ه-. ق).

14 الإمامة والسياسة، أبو محمّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276 ه-. ق).

15 الإمام الصادق كما عرفه الغرب، مجموعة من الكتّاب المؤمنين، مؤسّسة النعمان، بيروت.

16 أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت: 279 ه-. ق).

17 الأنوار البهيّة في تواريخ الحجج الإلهيّة، المحدّث القمّي، عبّاس بن محمّدرضا القمّي (ت: 1359 ه-. ق).

18 الإيقاد في وفيات المعصومين، محمّدعلي بن ميرزا محمّد الشاه عبدالعظيمي النجفي (ت: 1334 ه-. ق).

19 بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، محمّدباقر بن محمّد تقي المجلسي (ت: 1111 ه-. ق).

20 بحوث في تاريخ القرآن وعلومه، أبوالفضل مير محمّدي الزرندي (معاصر).

21 البدء والتاريخ، مطهّر بن طاهر المقدسي (ت: 507 ه-. ق).

22 البداية والنهاية (تاريخ ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: 774 ه-. ق).

ص: 329

23 البرهان في تفسير القرآن، هاشم بن سليمان بن إسماعيل الحسيني البحراني (ت: 1107 أو 1109 ه-. ق).

24 بلاغات النساء، أبو الفضل أحمد بن أبي طاهر بن طيفور (ت: 280 ه-. ق).

25 تاريخ أهل البيت (عليهم السلام)، نقلًا عن الأئمة (عليهم السلام) (رواية المحدّثين والمؤرّخين)، إعداد وتحقيق محمّدرضا الحسيني الجلالي (معاصر).

26 تاريخ ابن الوردي، زين الدين عمر بن المظفر المعروف ب- (ابن الوردي) (ت: 749 ه-. ق).

27 تاريخ الأُمم والملوك (تاريخ الطبري)، أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (ت: 310 ه-. ق).

28 تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911 ه-. ق).

29 تاريخ خليفة، أبو عمرو خليفة بن خيّاط بن خليفة الشيباني العصفري البصري (ت: 240 ه-. ق).

30 تاريخ قم (فارسي)، الحسين بن عليّ القمّي (ت: 806 ه-. ق).

31 تاريخ القرآن، أبو عبدالله بن عبدالرحيم بن نصر الله بن شيخ الإسلام الزنجاني (ت: 1360 ه-. ق).

32 تاريخ مختصر الدول، غريغوريوس أبو الفرج بن هارون النصراني الشهير ب- (ابن العبري) (ت: 683 ه-. ق).

33 تاريخ اليعقوبي (تاريخ ابن واضح)، أحمد بن أبي يعقوب بن وهب بن واضح (ت: 284 ه-. ق).

34 التبيان في آداب حَمَلة القرآن، أبوزكريا يحيى بن شرف بن بري بن حسن الحزامي الحوراني محيي الدين النووي الشافعي (ت: 677 ه-. ق).

ص: 330

35 تذكرة الخواص، أبو المظفر يوسف بن قزاوغلي عبدالله بن سبط ابن الجوزي (ت: 654 ه-. ق)، تحقيق الشيخ حسين تقي زاده.

36 تلخيص التمهيد، الشيخ محمّد هادي المعرفة (معاصر).

37 تذكرة الحفّاظ، أبوعبدالله محمّد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: 748 ه-. ق).

38 التمهيد، الشيخ محمّد هادي المعرفة (معاصر).

39 التنبيه والإشراف، أبوالحسن عليّ بن الحسين بن عليّ بن مسعود (ت: 346 ه-. ق).

40 تنبيه الخواطر ونزهة النواظر، ورام بن أبي فراس المالكي التستري (ت: 605 ه-. ق).

41 تهذيب الأحكام، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن الطوسي (ت: 460 ه-. ق).

42 جهاد الإمام زين العابدين (ع)، محمّدرضا الحسيني الجلالي (معاصر).

43 الجمل، الشيخ المفيد أبي عبدالله محمّد بن محمّد العكبري البغدادي (ت: 413 ه-. ق).

44 جواهر المطالب في فضائل عليّ بن أبي طالب (ع)، محيي الدين بن محمّد بن عليّ بن أحمد بن طريح الرماحي النجفي (ت: 1085 ه-. ق).

45 حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الإصفهاني (ت: 430 ه-. ق).

46 حياة الإمام زين العابدين (ع)، عبدالرزاق بن محمّد آل المقرم النجفي (ت: 1391 ه-. ق).

ص: 331

47 حياة الحيوان، أبو البقاء محمّد بن موسى بن عيسى بن عليّ الدميري المصري (ت: 808 ه-. ق).

48 الخرائج والجرائح، أبوالحسين سعيد بن عبدالله الراوندي المعروف ب- (قطب الدين الراوندي) (ت: 573 ه-. ق).

49 الخصائص، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911 ه-. ق).

50 دائرة المعارف البريطانية، اشترك في تأليفها رجال كاسبنر وغيره.

51 دراسات وبحوث في التاريخ الإسلامي، جعفر مرتضى العاملي (معاصر).

52 دروس في فقه الإمامية، عبدالهادي الفضلي (معاصر).

53 دلائل الإمامة، أبو جعفر محمّد بن جرير بن رستم الطبري (من أعلام القرن الخامس الهجري).

54 دلائل النبوّة، أبوبكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي (ت: 458 ه-. ق).

55 ديوان الفرزدق، همّام بن غالب بن صعصعة (ت: 110 ه-. ق).

56 ذيل المذيّل، أبو جعفر محمّد بن جرير الطبري (ت: 310 ه-. ق).

57 ذوب النضّار في شرح أخذ الثار، جعفر بن محمّد المعروف بابن نما الحلي (ت: 645 ه-. ق).

58 رجال الكشي (اختيار معرفة الرجال)، الشيخ الطوسي (ت: 460 ه-. ق).

59 روضة الواعضين، محمّد بن الحسن بن عليّ بن فتال النيسابوري (ت:

508 ه-. ق).

60 السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، أبو جعفر محمّد بن منصور بن أحمد بن إدريس العجلي الحلي (ت: 598 ه-. ق).

ص: 332

61 سمط النجوم العوالي في أخبار الأوائل والتوالي، عبدالملك بن الحسين العصامي الملكي الشافعي (ت: 1111 ه-. ق).

62 سليمان بن صرد الخزاعي، إبراهيم بيضون (معاصر).

63 السيّدة سكينة، عبدالرزاق بن محمّد آل المقرّم النجفي (ت: 1391 ه-. ق).

64 شرح نهج البلاغة (خطب ورسائل وكلمات الإمام عليّ بن أبي طالب (ع))، (ت: 40 ه-. ق)، شرح عزّ الدين عبدالحميد بن محمّد بن أبي الحديد المعتزلي (ت: 656 ه-. ق).

65 الشيعة وفنون الإسلام، أبومحمد حسن صدر الدين بن هادي الموسوي العاملي الكاظمي (ت: 1272 ه-. ق).

66 الطبقات الكبرى، أبو سعد محمّد بن سعد بن وزيع الهجري البصري (ت: 230 ه-. ق).

67 العقد الفريد، أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي (ت: 328 ه-. ق).

68 علل الشرائع، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي (الشيخ الصدوق) (ت: 381 ه-. ق).

69 عيون أخبار الرضا (ع)، أبوجعفر محمّد بن عليّ الصدوق (ت: 381 ه-. ق).

70 الغارات، أبو إسحاق إبراهيم بن محمّد الثقفي الكوفي (ت: 283 ه-. ق).

71 فرق الشيعة، أبو محمّد الحسن بن موسى النوبختي (ت: 300 ه-. ق).

72 فتوح البلدان، أحمد بن يحيى البلاذري (ت: 279 ه-. ق).

73 الفصول المهمّة في معرفة الأئمة (عليهم السلام)، عليّ بن محمّد بن أحمد المالكي الملكي المشهور ب- (ابن الصبّاغ المالكي) (ت: 855 ه-. ق).

74 قاموس الرجال، محمّد تقي التستري (معاصر).

ص: 333

75 قرب الإسناد، أبو العبّاس عبدالله بن جعفر الحميري (من أعلام القرن الثالث الهجري).

76 قم حرم أهل البيت (عليهم السلام)، محمّد عليّ الأنصاري.

77 الكامل البهائي (كامل السقيفة)، حسن بن عليّ بن محمّد بن عليّ المازندراني الشهير ب- (العماد الطبري) (من أعلام القرن السابع الهجري).

78 كتاب التصحيف، أبو أحمد الحسن بن عبدالله العسكري (ت: 382 ه-. ق).

79 كشف الغمّة في معرفة الأئمة (عليهم السلام)، عليّ بن عيسى الإربلي (ت: 692 ه-. ق).

80 كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر (عليهم السلام)، أبوالقاسم عليّ بن محمّد بن عليّ الخزّاز القمّي الرازي (من أعلام القرن الرابع الهجري).

81 مباحث في علوم القرآن، صبحي الصالح (معاصر).

82 مثالب العرب، أبو المنذر هشام بن محمّد بن السائب الكلبي (ت: 204 ه-. ق).

83 مثير الأحزان، محمّد بن جعفر بن أبي البقاء هبة الله بن نما الحلي (ت: 645 ه-. ق).

84 المحاسن والمساوئ، إبراهيم بن محمّد البيهقي (ت: 320 ه-. ق).

85 مختصر تاريخ الدول، أبو الفرج هارون النصراني المشهور ب- (ابن العبري) (ت: 685 ه-. ق).

86 مروج الذهب، عليّ بن الحسين بن عليّ المسعودي (ت: 346 ه-. ق).

87 مسار الشيعة في مختصر تواريخ الشريعة، الشيخ المفيد أبي عبدالله محمّد ابن محمّد بن النعمان العكبري البغدادي (ت: 413 ه-. ق).

ص: 334

88 مصباح المتهجّد، أبو جعفر محمّد بن الحسن بن عليّ بن الحسن الطوسي (ت: 460 ه-. ق).

89 المصاحف، أبوبكر بن أبي داوود عبدالله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني (ت: 316 ه-. ق).

90 مطالب السؤول في مناقب آل الرسول، محمّد بن طلحة الشافعي (ت: 654 ه-. ق).

91 المعارف، أبو محمّد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276 ه-. ق).

92 معجم البلدان، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الرومي (ت: 626 ه-. ق).

93 مقاتل الطالبيين، أبو الفرج عليّ بن الحسين بن محمّد الإصفهاني (ت: 356 ه-. ق).

94 مقتل الحسين (ع)، أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي الخوارزمي (ت: 568 ه-. ق).

95 مقتل الحسين، عبدالرزاق بن محمّد الموسوي المقرّم النجفي (ت: 1391 ه-. ق).

96 الملهوف على قتلى الطفوف، عليّ بن موسى بن جعفر بن طاووس الحسني (ت: 664 ه-. ق).

97 مناقب آل أبي طالب، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن شهرآشوب السروي (ت: 588 ه-. ق).

98 موسوعة التاريخ الإسلامي، محمّد هادي اليوسفي الغروي (المؤلف).

99 نسب قريش، الزبير بن بكار بن عبدالله القرشي الأسدي المكي (ت: 256 ه-. ق).

ص: 335

100 نفس المهموم في مصاب سيّدنا الحسين (ع)، عبّاس بن محمّد رضا بن أبي القاسم القمّي (ت: 1359 ه-. ق).

101 نهج البلاغة، أبوالحسن الشريف الرضي محمّد بن الحسين بن موسى الموسوى (ت: 406 ه-. ق).

102 الهداية الكبرى، أبو عبدالله الحسين بن حمدان الخصيبي (ت: 334 ه-. ق).

103 وسائل الشيعة، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي (ت: 1104 ه-. ق).

104 وقعة صفّين، نصر بن مزاحم المنقري (ت: 212 ه-. ق).

105 وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، نور الدين بن عليّ بن أحمد السمهودي (ت: 911 ه-. ق).

ص: 337

الفهرس‏

مقدّمة المجمع 7

تمهيد 9

والدة الإمام السجّاد (ع) 9

مولد الإمام السجّاد (ع) 10

زواج السجّاد بابنة عمّه الحسن (ع) 11

الإمام السجّاد (ع) في مجلس ابن زياد 13

موقف ابن عفيف 15

الرؤوس بين يدي يزيد 16

أم سلمة ونعي الحسين (ع) 19

السبايا في الشام 23

السبايا والسجاد (ع) 24

خطبة العقيلة في مجلس يزيد 25

ورأس الحسين (ع) إلى المدينة 28

خطبة السجّاد (ع) بالشام 29

ردّهم إلى أوطانهم 33

فزاروا الحسين (ع) في أربعينه 35

ثمّ انفصلوا من كربلاء نحوالمدينة حتّى قربوا منها فنزلوا: 36

ابن الزبير وقتل الحسين (ع) 38

يزيد، بعد الحسين الشهيد 41

يزيد، وبنو زياد: 42

ص: 338

إجلاء زينب ووفاتها 44

الوليد وعمرو بن سعيد 46

يزيد، وابن عباس 46

جواب ابن عبّاس ليزيد 47

يزيد، وابن الحنفية 51

وفد المدينة عند يزيد 53

مقدمات واقعة الحَرّة 56

تمرّد أهل المدينة على يزيد 56

نفي بني أميّة من المدينة 57

جيش الشام إلى المدينة 61

لقاء أهل المدينة بالأمويين 63

وقعة الحرّة 65

قتال يوم الحرّة 66

اقتحام خندق المدينة 68

نهب المدينة وإباحتها 70

أعداد القتلى في الحرّة 71

كتاب ابن عقبة إلى ابن معاوية 75

أخذه البيعة ليزيد 78

الإمام السجّاد و يزيد 82

خوارج البصرة 85

مسير ابن النمير إلى ابن الزبير 86

حصار الحصين على مكّة 87

هلاك يزيد وتبدّد الجنود 89

موت يزيد واستخلاف معاوية وموته 91

ص: 339

أحوال البلاد بعد يزيد 97

إعلان البيعة لابن الزبير، ولمروان: 98

حوادث السنة الخامسة والستّين وثورة التوّابين 103

استخلاف مروان لعبد الملك 103

استيلاؤه على فلسطين ومصر 103

بداية وثبة التوّابين عن تقصيرهم في شأن الحسين (ع) 105

الكوفة بعد موت يزيد 105

أوائل أقاويل الشيعة بالكوفة 107

مؤتمر امراء التوابين الخمسة 108

بيان سليمان الخزاعي 110

خطبة عبيد اللّه المزني 111

فلمّا مات يزيد بن معاوية 113

رسالة سليمان إلى سعيد بن حذيفة 114

واختار المختار أن يعود للديار 117

ودخل المختار الكوفة 118

ابن زياد إلى العراق، والكوفة 120

خروج التوّابين إلى النّخيلة 123

في الكوفة أو إلى الشام 124

ليس للدنيا خرجنا، فلا ننتظر 126

محاولات أمير الكوفة 127

خطبة سليمان ورحيلهم إلى كربلاء 129

زيارة الثوار لقبر أبي الأحرار 130

كتاب الأمير الخطمي وجواب الخزاعي 132

موقف قلعة قرقيسياء 134

ص: 340

خطبة الخزاعي في عين الوردة 137

غارة المسيّب الفزاري 138

معركة التوّابين في عين الوردة 139

ورفع الراية رفاعة، واستشهد آخرون 142

وارتفع رُفاعة بالباقين ليلًا 144

أواخر أخبار مروان 146

جيش حُبيش إلى المدينة 148

بداية أخبار المختار 150

وحبسوا المختار بعد ابن صرد 150

وأطلق المختار بكفالة وتحليف 153

أوّل خطبة لابن المطيع في الكوفة 154

استحضار المختار 155

حنفيّ يتحرّى إذن ابن الحنفية 156

المختار يبشّر الأنصار 157

ودعت همْدان سيّدها إبراهيم 159

أمر ابن الحنفية لابن الأشتر؟! 160

مقابلة قوّات الكوفة 162

يالثارات الحسين (ع) 164

إبراهيم يجمع من بايع ويقاتل بهم 165

أوائل قتال المختار 166[[687]](#footnote-687)

استعداد الوالي ومقابلة المختار 168

نكسة الشيباني: 169

حملة شبث ومقابلته 170

حملات إبراهيم النخعي 171

ص: 341

خطبة ابن مطيع وحملة النخعي 172

حصر ابن مطيع في القصر 174

خطبة المختار وبيعته وعطاؤه 175

وولّى على توابع الكوفة 177

ومدحه الشعراء 177

شرحبيل الهمداني إلى المدينة 180

فضيّق ابن الزبير على ابن الحنفية 183

ابن الزبير في اليعقوبي 185

ابن الزبير في المسعودي 186

وقعة الموَصل الأولى 190

وعادوا في عيد الأضحى 192

وتلاقى المرجفون في الكوفة 194

تواثب العرب على المختار ومحاورته لهم 195

وعاد أنصار المختار 196

ابن الأشتر لمضر والمختار لأهل اليمن 197

والشعراء يتّبعهم الغاوون 200

وأعاد ابن الأشتر لابن زياد 201

ابن الأشتر إلى الموَصل 202

الاستعداد لقتال ابن زياد 204

وقعة نهر الخازر بالموصل 206

أخبار الانتصار عند المختار 208

رأس ابن زياد عند السجّاد (ع) 209

وجاء مصعب للبصرة 210

وفرّ شمر وهلك 211

ص: 342

وتجرّد المختار لقتلة الحسين (ع) 212

وأربعة نهبوا خيام الحسين (ع) 213

وحامل رأس الحسين (ع) 214

عمر بن سعد الزهري والأمان! 215

وحرملة بن كاهل الأسدي 218

والطائي قاتل العباس 219

وقاتل عليّ بن الحسين (ع) 220

وقاتل عبد اللّه بن مسلم 220

صدمات الصدّائي والمختار 221

فرّوا فهدمت دورهم 221

ومحمّد بن الأشعث وشبث 222

وعبيد اللّه بن عليّ (ع) 223

بداية أمر مصعب مع المختار 224

عبيد اللّه بن الحرّ الجعفي 225

واستعدّ المختار وخطب 226

أنصار المختار بالمذار 227

مصعب إلى الكوفة 228

حرب مصعب والمختار 230

مصير عبيد اللّه بن عليّ (ع) 231

مصعب وحصار المختار 233

مصير المختار وأنصاره 235

مصير إبراهيم بن الأشتر 239

مصير عبيد اللّه بن الحرّ 241

الأزارقة بعد ابن الحرّ 244

ص: 343

وفيات بعض الأعلام وابن العباس 246

ابن مروان في العراق ومقتل ابن الأشتر 250

حرب مصعب وعبد الملك 253

عبد الملك ملك العراق 254

حرب الحجّاج وابن الزبير 257

الحجّاج وابن عمروابن الحنفية 260

الحجّاج في المدينة 262

[عهد الحجاج فى العراق‏] 265

ضرب النقود الإسلامية 265

وقتال الخوارج الأزارقة وغيرهم 267

ميلاد زيد للسّجاد (ع) 268

وفاة ابن جعفر وابن الحنفيّة 269

الحجّاج وعبد الرحمان بن الأشعث 273

خطبة الحجّاج على ابن الأشعث 275

سعيد بن جبير إلى ابن الأشعث 276

قتال الأهواز، وزاوية البصرة 279

وقائع دير الجماجم وظهر المربد وحراة 280

أسرى الخوارج، والحجّاج 282

عامر بن شراحيل الشعبي 285

وأقام الأشعريون منهم بقم 286

ومصير ابن الأشعث الانتحار 289

خطبة الحجّاج لقتل ابن الأشعث 290

احتجاج الحجّاج على عبد الملك 291

أمر الحجّاج بإعجام كلام اللّه 292

ص: 344

ويقترح الحجّاج ولاية الوليد 294

الفجر الصادق لميلاد الصادق (ع) 296

هلاك الملك عبد الملك 298

الوليد والمسجد النبويّ الشريف 302

الوليد ومسجد دمشق 304

فتوح في الروم والأسبان وخراسان 305

وفتوح في السند والهند 308

ونطق الفرزدق بالحّق 311

مقتل سعيد بن جبير مولى بني أسد 313

قتل كميل بن زياد النخعي 317

هلاك الحجّاج 318

وفاة الإمام السجّاد (ع) 320

وصاياه الأخيرة وصدقة السرّ 321

مصادر الكتاب 327

الفهرس 337[[688]](#footnote-688)

ص: 345

1. 1. الأخبار الطوال للدينوري: 141، فتوح البلدان للبلاذري: 322. [↑](#footnote-ref-1)
2. 1. عيون أخبار الرضا( ع) 128: 2 ب 35 ح 6. [↑](#footnote-ref-2)
3. . تاريخ الطبري 478: 4 عن النميري البصري عن المدائني البصري. [↑](#footnote-ref-3)
4. . الجمل للمفيد: 336. [↑](#footnote-ref-4)
5. . موسوعة التاريخ الإسلامي 665: 4- 667. [↑](#footnote-ref-5)
6. . وقعة صفين: 3، مروج الذهب 272: 2، وانظر موسوعة التاريخ الإسلامي 654: 4. [↑](#footnote-ref-6)
7. . كما عنه في الإقبال للسيد ابن طاووس 156: 3. [↑](#footnote-ref-7)
8. . الأنوار البهيّة: 107. [↑](#footnote-ref-8)
9. . كما في أصول الكافي 466: 1 غفلة من الكليني وليست رواية، وتبعه من بعده. [↑](#footnote-ref-9)
10. . عيون أخبار الرضا( ع) 25: 2، وفي أماليه: 116، أمالي الطوسي: 367 ح 781. [↑](#footnote-ref-10)
11. . أصول الكافي 467: 1. [↑](#footnote-ref-11)
12. . الإرشاد 15: 2. [↑](#footnote-ref-12)
13. . المصدر السابق 17: 2. [↑](#footnote-ref-13)
14. . كذا في تاريخ أهل البيت( عليهم السلام): 122 وكنيتها امّ عبدالله كما في أصول الكافي 469: 1. [↑](#footnote-ref-14)
15. . أصول الكافي 469: 1 بطريقين. [↑](#footnote-ref-15)
16. . مسار الشيعة: 56 عن جابر الجعفي. [↑](#footnote-ref-16)
17. . تاريخ أهل البيت: 138. [↑](#footnote-ref-17)
18. . إشارة إلى الآية 33 من الأحزاب. [↑](#footnote-ref-18)
19. . اقتباس من الآية 154 من آل عمران. [↑](#footnote-ref-19)
20. . وليس في المصادر الأولى المعتبرة جملة: ما رأيت إلا جميلًا، ولا جملة: فانظر لمن الفلج يومئذ ثكلتك امّك يابن مرجانة! [↑](#footnote-ref-20)
21. . هذا في الإرشاد 116: 2، وفي الطبري 457: 5: شجاعة! وهي لا تناسب ذيل الخبر: كان أبوها شاعراً سجّاعاً! [↑](#footnote-ref-21)
22. . تاريخ الطبري 457: 5 عن أبي مخنف. وروى في ذيل المذيّل: 630: عنه( ع) قال:

    قلت: كان لي أخ أكبر منّي. [↑](#footnote-ref-22)
23. . الزمر: 42، واكتفى بذكرها الإرشاد. [↑](#footnote-ref-23)
24. . آل عمران: 145، وليست في الإرشاد. [↑](#footnote-ref-24)
25. . الطبري 458: 5. [↑](#footnote-ref-25)
26. . الإرشاد 116: 2. [↑](#footnote-ref-26)
27. . تاريخ الطبري 457: 5 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-27)
28. . الإرشاد 116: 2- 117 أي مريضاً مرض الموت. [↑](#footnote-ref-28)
29. . تاريخ الطبري 459: 5 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-29)
30. . الكهف: 9. [↑](#footnote-ref-30)
31. . الإرشاد 117: 2، وليس في الطبري. [↑](#footnote-ref-31)
32. . كانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل مع عليّ( ع) ومعه في صفّين ذهبت عينه الأخرى، الطبري 458: 5. [↑](#footnote-ref-32)
33. . تاريخ الطبري 458: 5- 459 عن أبي مخنف الأزدي، وفي الإرشاد 117: 2 بلا تفصيل. [↑](#footnote-ref-33)
34. . تاريخ الطبري 459: 5 عن أبي مخنف، والإرشاد 118: 2. [↑](#footnote-ref-34)
35. . تذكرة الخواص 196: 2 بتحقيق تقي زاده. [↑](#footnote-ref-35)
36. . تاريخ الطبري 460: 5 عن الكلبي. والقيّ: القفر، والسبسب: القاحلة الجرداء، وفي الإرشاد 119: 2. [↑](#footnote-ref-36)
37. . مقاتل الطالبيين: 80. [↑](#footnote-ref-37)
38. . تذكرة الخواص 195: 2- 196 بتحقيق تقي زاده. وخندف اسم إحدى جدّاته. [↑](#footnote-ref-38)
39. . تاريخ الطبري 460: 5- 461 عن أبي مخنف، والإرشاد 119: 2- 120. [↑](#footnote-ref-39)
40. . كان ذلك قبل وصول السبايا إلى الشام. [↑](#footnote-ref-40)
41. . تاريخ اليعقوبي 245: 2- 246. [↑](#footnote-ref-41)
42. . بحار الأنوار 232: 45 عن بعض كتب المناقب؟! [↑](#footnote-ref-42)
43. . أمالي الطوسي: 315 المجلس 11، ح 78، المجلس 11، وبعده: ثمّ جاءت الركبان بخبره وأنّه قتل في ذلك اليوم. [↑](#footnote-ref-43)
44. . الإرشاد 130: 2. وعليه فالصياح والبكاء السابقان كانا خاصّين ولم يكن عامّين. وكانت وفاة امّ سلمة في( 63 ه-). [↑](#footnote-ref-44)
45. . الإرشاد 123: 2. [↑](#footnote-ref-45)
46. . تاريخ الطبري 464: 5 عن الكلبي عن عوانة. [↑](#footnote-ref-46)
47. . الإرشاد 123: 2، تاريخ الطبري 464: 5. [↑](#footnote-ref-47)
48. . شرح النهج للمعتزلي 72: 4 عن كتاب المثالب. [↑](#footnote-ref-48)
49. . تاريخ الطبري 461: 5- 462 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-49)
50. . الإرشاد 124: 2. [↑](#footnote-ref-50)
51. . تاريخ الطبري 466: 5 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-51)
52. . الإرشاد 124: 2. [↑](#footnote-ref-52)
53. . الشورى: 23. [↑](#footnote-ref-53)
54. . الإسراء: 26. [↑](#footnote-ref-54)
55. . الأحزاب: 33. [↑](#footnote-ref-55)
56. . أمالي الصدوق: 230، المجلس 31، ح 2. [↑](#footnote-ref-56)
57. . الحديد: 22. [↑](#footnote-ref-57)
58. . الشورى: 30. وروى أبو الفرج: أنّ يزيد بدأ بهذه الآية فأجابه الإمام بآية الشورى، وهو أنسب. [↑](#footnote-ref-58)
59. . الإرشاد 120: 2- 121، وانظر تاريخ الطبري 461: 5- 462 عن أبي مخنف، ومختصره عن الباقر( ع): 390. [↑](#footnote-ref-59)
60. . وأسنده الخوارزمي في المقتل 63: 2 عن رجل من تميم الكوفة! [↑](#footnote-ref-60)
61. . الروم: 10. [↑](#footnote-ref-61)
62. . آل عمران: 178. [↑](#footnote-ref-62)
63. . آل عمران: 169. [↑](#footnote-ref-63)
64. . مريم: 75. [↑](#footnote-ref-64)
65. . بلاغات النساء: 21- 23. [↑](#footnote-ref-65)
66. . مقتل الحسين( ع) للخوارزمي 66: 2 مسنداً عن رجل من تميم الكوفة! [↑](#footnote-ref-66)
67. . الإرشاد 122: 2. [↑](#footnote-ref-67)
68. . تاريخ الطبري 462: 5 عن أبي مخنف عن فاطمة. وروي عن الباقر( ع) قال: ثمّ أدخلهم على عياله 390: 5. وهذا لا يدع مجالًا لخبر إسكانهم في خربة بدمشق ووفاة ابنة صغيرة للحسين( ع) فيها باسم رقية، بل لا ذكر في الأنساب والتواريخ المعتبرة لبنات الحسين( ع) سوى سكينة وهي في العاشرة من عمرها- السيّدة سكينة للمقرّم: 89- وفاطمة، وهي في حدود السابعة من عمرها.

    والمرقد المنسوب إلى رقية بدمشق لعلّه لرقية أخت الحسين( ع) زوجة ابن عمّها مسلم بن عقيل، فإنّها كانت معهم، ولا ذكر لها بعد كربلاء، فلعلّها مرضت هناك من وعثاء السفر والقهر، بعد قتل ابنيها الصغيرين، فماتت ودفنت هناك. كما كان على صخرة القبر حين اكتشف قبل قرن تقريباً:« هذا قبر رقية بنت عليّ بن أبي طالب كرّم اللّه وجهه». [↑](#footnote-ref-68)
69. . أنساب الأشراف 225: 3، ح 224. [↑](#footnote-ref-69)
70. . أنساب الأشراف 223: 3، ح 221، ودوسر بالفارسية أي ذات الرأسين. [↑](#footnote-ref-70)
71. . الطبقات الكبرى، ترجمة الإمام الحسين( ع): 84 برقم 297، وأنساب الأشراف 223: 3، ح 220. [↑](#footnote-ref-71)
72. . تذكرة الخواص 206: 2- 207. [↑](#footnote-ref-72)
73. . الطبقات الكبرى: 66، الباب 47، ح 297، وفي قسم الترجمة المنشورة: 84- 85، وأنساب الأشراف 224: 3، ح 223. [↑](#footnote-ref-73)
74. . أنساب الأشراف 225: 3، ح 224 عن الكلبي. [↑](#footnote-ref-74)
75. . مقتل الحسين( ع) للخوارزمي 69: 2. [↑](#footnote-ref-75)
76. . مقاتل الطالبيين: 81. [↑](#footnote-ref-76)
77. . مناقب آل أبي طالب 181: 4. [↑](#footnote-ref-77)
78. . مقتل الحسين( ع) للخوارزمي 69: 2- 71. [↑](#footnote-ref-78)
79. . الكامل البهائي 302: 2. [↑](#footnote-ref-79)
80. . مناقب آل أبي طالب 182: 4. والطبري في ذيل المذيّل: 630، عن الطبقات لابن سعد 218: 5. [↑](#footnote-ref-80)
81. . الكهف: 9. [↑](#footnote-ref-81)
82. . الخرائج والجرائح 577: 2، ح 1 مرسلًا، وكذا السيوطي في الخصائص 127: 2. [↑](#footnote-ref-82)
83. . ثمّ خرج النعمان، فقال يزيد لمن حضره: هوكما ترونه منقطع إلينا وقد ولّاه أمير المؤمنين! ورفعه، ولكنّ أبي كان يقول: لم أعرف أنصارياً قطً إلا يحبّ عليّاً وأهله ويبغض قريشاً بأسرها! مقتل الخوارزمي 59: 2 عن ابن سعد عن الواقدي بسنده. [↑](#footnote-ref-83)
84. . العقد الفريد 382: 4. [↑](#footnote-ref-84)
85. . مقتل الحسين( ع) للخوارزمي 66: 2 مع ما قبله. [↑](#footnote-ref-85)
86. . تاريخ الطبري 461: 5- 462 عن أبي مخنف عن فاطمة ابنة الحسين( ع)، وانظر الإرشاد 122: 2. [↑](#footnote-ref-86)
87. . انظر: مقتل الحسين( ع) للمقرّم: 469- 470، ونفس المهموم: 466- 467، وتذكرة الخواص 206: 2- 209. [↑](#footnote-ref-87)
88. . المصدران الأسبقان. [↑](#footnote-ref-88)
89. . قال أبو ريحان البيروني( م 440 ه-) في كتابه: الآثار الباقية عن القرون الخالية: 331:

    « وفي العشرين( من شهر صفر سنة 60 ه-) زيارة الأربعين، وهم حرم( الحسين( ع)) بعد انصرافهم من الشام، وردّوا رأس الحسين( ع) إلى مجثمه حتّى دفن مع جثّته». وهو أقدم كتاب في هذا الباب. [↑](#footnote-ref-89)
90. . مثير الأحزان لابن نما: 59، وهو أقدم نصّ بهذا المعنى. [↑](#footnote-ref-90)
91. . كتاب الملهوف على قتلى الطفوف: 176، ولعلّه يشير إلى المثير في الإقبال لما قال:« ووجدت( في غير المصباح): أنّهم وصلوا كربلاء في عودتهم من الشام يوم العشرين من صفر» واستبعاده مردود بردود السيد القاضي في: تحقيق أربعين الحسين( ع). [↑](#footnote-ref-91)
92. . التهذيب 113: 6، ح 201، ومصباح المتهجّد 730: 2. [↑](#footnote-ref-92)
93. . التهذيب 52: 6، ح 122، ومصباح المتهجد: 730، وأصلها عشرة في الهداية الكبرى للخصيبي مسنداً. [↑](#footnote-ref-93)
94. . سورة ص: 7، وفي الخبر: في آبائنا الأولين. خطأ، ولعلّه من سهو الرواة. [↑](#footnote-ref-94)
95. . كتاب الملهوف على قتلى الطفوف لابن طاووس: 177- 182. [↑](#footnote-ref-95)
96. . أنساب الأشراف 78: 3، ح 84. [↑](#footnote-ref-96)
97. . المعارف لابن قتيبة: 233. [↑](#footnote-ref-97)
98. . أمالي الطوسي: 677، المجلس 37، ح 11 بسنده عن الصادق( ع)، هذا، ولا نجد في أبناء طلحة إبراهيم، وإنما هو ابن محمّد بن طلحة القتيل يوم الجمل، كما في المعارف لابن قتيبة: 231- 233 وعليه فهو ابن أخي أم إسحاق وهي عمّته. ويعلم من خبر الصادق( ع) أنه اشتهر بنسبته إلى جدّه طلحة. [↑](#footnote-ref-98)
99. . تاريخ الطبري 474: 5- 477 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-99)
100. . تاريخ اليعقوبي 247: 2. [↑](#footnote-ref-100)
101. . تاريخ الطبري 477: 5. [↑](#footnote-ref-101)
102. . المصدر السابق 479: 5. [↑](#footnote-ref-102)
103. . تاريخ الخلفاء: 248. [↑](#footnote-ref-103)
104. . المصدر السابق: 247. [↑](#footnote-ref-104)
105. . أنساب الأشراف 226: 3- 227، ح 227. [↑](#footnote-ref-105)
106. . مروج الذهب 67: 3- 68. [↑](#footnote-ref-106)
107. . تاريخ الخلفاء: 248- 249. [↑](#footnote-ref-107)
108. . المعارف لابن قتيبة: 347. [↑](#footnote-ref-108)
109. . تاريخ الطبري 471: 5- 474. [↑](#footnote-ref-109)
110. . مروج الذهب 68: 3. [↑](#footnote-ref-110)
111. . تاريخ اليعقوبي 252: 2. [↑](#footnote-ref-111)
112. . يس: 52. [↑](#footnote-ref-112)
113. . كذا في النسخة، والصحيح:( 63 ه-) وفقاً لما مرّ من تاريخي قدومها الفسطاط وإقامتها بها، والأخبار عن رسالة أخبار الزينبات للعبيدلي النسّابة، المنشورة ضمن كتاب السيّدة زينب لحسن محمّد قاسم، ط. المنيرية: 21- 22، فوفاتها كان قبل وقعة الحرّة، كما يأتي، وانظر ترجمة مسلمة في قاموس الرجال 72: 10/ 7547. [↑](#footnote-ref-113)
114. . تاريخ الطبري 477: 5- 479. [↑](#footnote-ref-114)
115. . الإمامة والسياسة 203: 1. [↑](#footnote-ref-115)
116. . تذكرة الخواص 237: 2 عن ابن إسحاق! والواقدي والكلبي، وفي مقتل الخوارزمي 77: 2، مسنداً عن الأعمش. [↑](#footnote-ref-116)
117. . الكثكث: التراب، والإثلب كذلك. [↑](#footnote-ref-117)
118. يوسفى غروى، محمدهادى، عصر الإمام السجاد، سياسيا و إجتماعيا، 1جلد، المجمع العالمي لاهل البيت (عليهم السلام) - قم - ايران، چاپ: 1، 1436 ه.ق. [↑](#footnote-ref-118)
119. . تاريخ اليعقوبي 248: 2- 250، وأسنده في مقتل الخوارزمي 77: 2- 79، وبسنده في بحار الأنوار 323: 45- 325. [↑](#footnote-ref-119)
120. . تذكرة الخواص 237: 2- 240. وسيأتي ما يدلّ على بيعة ابن عبّاس لابن الزبير! [↑](#footnote-ref-120)
121. . مقتل الخوارزمي 79: 2. [↑](#footnote-ref-121)
122. . المعارف لابن قتيبة: 216. [↑](#footnote-ref-122)
123. . مقتل الخوارزمي 80: 2- 81. [↑](#footnote-ref-123)
124. . تاريخ الطبري 481: 5. [↑](#footnote-ref-124)
125. . تاريخ الطبري 479: 5- 480 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-125)
126. . مقتل الخوارزمي 81: 2- 82. [↑](#footnote-ref-126)
127. . تاريخ الطبري 480: 5- 481. [↑](#footnote-ref-127)
128. . الحرّة، مخفّف الحارة، أي الحجارة الحارّة كأنها أحرقت بالنار، وهي هنا الحرّة الشرقية من حرّتي المدينة، كما في المعجم 283: 2. [↑](#footnote-ref-128)
129. . الإمامة والسياسة 206: 1- 207، ونسب عثمان بن محمّد بالثقفي، بل هو ابن أبي سفيان الأموي. وسمَّى اليعقوبي عامل صوافي معاوية في المدينة: ابن مينا 250: 2 مصحَّف. [↑](#footnote-ref-129)
130. . الإمامة والسياسة 207: 1. [↑](#footnote-ref-130)
131. . تاريخ خليفة: 148 ولم يذكر وصفهم ليزيد! [↑](#footnote-ref-131)
132. . تاريخ الخلفاء للسيوطي: 249 عن الواقدي بطرق، وصحّف بطرف! [↑](#footnote-ref-132)
133. . تاريخ الطبري 483: 5- 484. [↑](#footnote-ref-133)
134. . الإمامة والسياسة 208: 1. [↑](#footnote-ref-134)
135. . تاريخ الطبري 485: 5 وقال: وكانت بينهما صداقة قديمة! بل الصحيح: عداوة قديمة. [↑](#footnote-ref-135)
136. . تاريخ الطبري 482: 5. [↑](#footnote-ref-136)
137. . الإمامة والسياسة 208: 1. [↑](#footnote-ref-137)
138. . تاريخ الطبري 485: 5 عن الكلبي عن الأزدي عن ابن كرّة الأموي. [↑](#footnote-ref-138)
139. . الإمامة والسياسة 208: 1، موسوعة التاريخ الإسلامي 240: 6. [↑](#footnote-ref-139)
140. . تاريخ الطبري 482: 5، 483. [↑](#footnote-ref-140)
141. . تاريخ الطبري 483: 5. [↑](#footnote-ref-141)
142. . الإمامة والسياسة 209: 1 و 9: 2. [↑](#footnote-ref-142)
143. . تاريخ خليفة: 148، ولم يذكر وصايا يزيد للمسرف المرّي! [↑](#footnote-ref-143)
144. . الإمامة والسياسة 209: 1، والتنبيه والإشراف: 263. [↑](#footnote-ref-144)
145. . تاريخ ابن الوردي 165: 1. [↑](#footnote-ref-145)
146. . تاريخ الطبري 484: 5- 485 عن الكلبي، عن الأزدي، عن حبيب بن كرّة الأموي، وفيه: وقد أتاني كتابه. وانفرد به ولم يذكره غيره. [↑](#footnote-ref-146)
147. . تاريخ اليعقوبي 251: 2. [↑](#footnote-ref-147)
148. . الإمامة والسياسة 210: 1. [↑](#footnote-ref-148)
149. . الطبري 487: 5. [↑](#footnote-ref-149)
150. . التنبيه والإشراف: 263- 264. [↑](#footnote-ref-150)
151. . تاريخ الطبري 485: 5- 486 عن الكلبي، عن الأزدي، عن ابن كرّة الأموي. [↑](#footnote-ref-151)
152. . الإمامة والسياسة 210: 1- 211. [↑](#footnote-ref-152)
153. . الإمامة والسياسة 211: 1 وصحّف بالجرف! [↑](#footnote-ref-153)
154. . مروج الذهب 69: 3. [↑](#footnote-ref-154)
155. . الإمامة والسياسة 10: 2. [↑](#footnote-ref-155)
156. . تاريخ الطبري 487: 5 عن الكلبي، عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-156)
157. . تاريخ الطبري 487: 5- 491 عن الكلبي، عن أبي مخنف وغيره. [↑](#footnote-ref-157)
158. . الإمامة والسياسة 220: 1 وقال: وكان معنا يوم الحرّة ألفا رجل ذو حفاظ. [↑](#footnote-ref-158)
159. . الإمامة والسياسة 211: 1، وأشار إليه خليفة في تاريخه: 149، واليعقوبي 250: 2. [↑](#footnote-ref-159)
160. . المصدر السابق 213: 1. [↑](#footnote-ref-160)
161. . الإمامة والسياسة 211: 1- 213. [↑](#footnote-ref-161)
162. . الإمامة والسياسة 213: 1، 214، وانظر تحريف خبر الخدري في تاريخ خليفة: 149 واعجب! [↑](#footnote-ref-162)
163. . الإمامة والسياسة 10: 2. [↑](#footnote-ref-163)
164. . تاريخ اليعقوبي 250: 2. [↑](#footnote-ref-164)
165. . دلائل النبوة للبيهقي 475: 6، وتاريخ الخلفاء للسيوطي: 249. [↑](#footnote-ref-165)
166. . الإمامة والسياسة 215: 1. [↑](#footnote-ref-166)
167. . مروج الذهب 69: 3- 70. [↑](#footnote-ref-167)
168. . تاريخ ابن الخياط: 150- 155. [↑](#footnote-ref-168)
169. . التنبيه والإشراف: 264. [↑](#footnote-ref-169)
170. . الإمامة والسياسة 265: 1. [↑](#footnote-ref-170)
171. . المصدر السابق 216: 1. [↑](#footnote-ref-171)
172. . الإمامة والسياسة 220: 1، وعن الزهري كذلك في تاريخ ابن الوردي 165: 1. [↑](#footnote-ref-172)
173. . الإمامة والسياسة 10: 2. [↑](#footnote-ref-173)
174. . عنه في قاموس الرجال 261: 12 برقم 113، وتحريفه في تاريخ خليفة: 149. [↑](#footnote-ref-174)
175. . الإمامة والسياسة 220: 1. [↑](#footnote-ref-175)
176. . الإمامة والسياسة 217: 1، 218. [↑](#footnote-ref-176)
177. . تاريخ خليفة بن الخياط الأموي الهوى: 149. [↑](#footnote-ref-177)
178. . الإمامة والسياسة 10: 2. [↑](#footnote-ref-178)
179. . المصدر السابق 214: 1. [↑](#footnote-ref-179)
180. . تاريخ الطبري 494: 5. [↑](#footnote-ref-180)
181. . الإمامة والسياسة 10: 2. [↑](#footnote-ref-181)
182. . وقال ثانيا: أتاه مئة رجل من قومه( أشجع) وقالوا له: اذهب بنا إلى الأمير نبايعه. قال:

     قد قلت له قولا أتخوّف منه! قالوا: لا واللّه لا يصل إليك أبدا! فلمّا بلغوا باب قصره أدخلوا معقلا وأغلقوا الباب دون قومه فحبسوهم خلفه. ثمّ ساق الخبر نحواً ممّا مرّ وفيه:

     وكانت عليه جبة فجعل يمزّقها لئلّا يلبسوها! فيعلم أنّ الفصل في المحرم لسنة( 63) لم يكن صيفاً قائضاً وحارّاً. [↑](#footnote-ref-182)
183. . الإمامة والسياسة 214: 1، ونسبها في 10: 2 إلى محمّد بن أبي الجهم. [↑](#footnote-ref-183)
184. . الإمامة والسياسة 215: 1. [↑](#footnote-ref-184)
185. . تاريخ اليعقوبي 250: 2- 251. [↑](#footnote-ref-185)
186. . التنبيه والإشراف: 264. [↑](#footnote-ref-186)
187. . مروج الذهب 70: 3. [↑](#footnote-ref-187)
188. . الإمامة والسياسة 218: 1. [↑](#footnote-ref-188)
189. . تاريخ اليعقوبي 251: 2. [↑](#footnote-ref-189)
190. . مروج الذهب 70: 3- 71. [↑](#footnote-ref-190)
191. . التنبيه والإشراف: 264. [↑](#footnote-ref-191)
192. . تاريخ الطبري 485: 5، وانظر التعليق السابق عليه. [↑](#footnote-ref-192)
193. . الإرشاد 151: 2- 152. [↑](#footnote-ref-193)
194. . مناقب آل أبي طالب 178: 4 وصحّف بالمشرف! [↑](#footnote-ref-194)
195. . الإرشاد 152: 2. [↑](#footnote-ref-195)
196. . تاريخ الطبري 494: 5. [↑](#footnote-ref-196)
197. . تاريخ الطبري 493: 5 عن الكلبي، عن عوانة، عن أبي مخنف، وفيه: وأخبرني( يزيد) أنّك كاتبته! وأراها زيادة من عوانة الأموي النزعة، منفردا به وبلا إجابة. [↑](#footnote-ref-197)
198. . حياة الإمام زين العابدين: 367- 369. [↑](#footnote-ref-198)
199. . في جهاد الإمام السجّاد: 67- 72. [↑](#footnote-ref-199)
200. . تاريخ الطبري 496: 5 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-200)
201. . تاريخ ابن الخياط البصري: 159- 160. [↑](#footnote-ref-201)
202. . تاريخ ابن الخياط البصري:: 158، وقال فيه: لعنه اللّه ولا رحمه! هذا وهومعدود في الصحابة! [↑](#footnote-ref-202)
203. . تاريخ اليعقوبي 251: 2. [↑](#footnote-ref-203)
204. . الإمامة والسياسة 12: 2. [↑](#footnote-ref-204)
205. . الإمامة والسياسة 13: 2- 14، وفي المسعودي: كان المختار بن أبي عبيد الثقفي داخلًا في جملة ابن الزبير منضافاً إلى بيعته على شرائط شرطها عليه: ألا يخالف له رأيا ولا يعصي له أمراً، كما في مروج الذهب 71: 3. [↑](#footnote-ref-205)
206. . الإمامة والسياسة 14: 2. [↑](#footnote-ref-206)
207. . تاريخ اليعقوبي 251: 2- 252. [↑](#footnote-ref-207)
208. . مروج الذهب 71: 3، 72 وقال وليزيد مثالب كثيرة: من شرب الخمر والفسق والفجور وسفك الدماء، وهدم البيت وإحراقه، ولعن الوصي، وقتل ابن بنت الرسول، وغير ذلك ممّا قد ورد فيه الوعيد باليأس من غفرانه، كوروده فيمن جحد توحيده وخالف رسله. والنفط كما سيأتي إنّما هو من الحجاج نقلًا من البصرة وليس من الحصين نقلًا من الشام أو المدينة. [↑](#footnote-ref-208)
209. . انظر خبره في الطبري 498: 5 وقارن بما قبله من خبر الكلبي عن عوانة. وانظر نحو ذلك في الإمامة والسياسة 14: 2. [↑](#footnote-ref-209)
210. . الإمامة والسياسة 14: 2- 15. [↑](#footnote-ref-210)
211. . تاريخ الطبري 502: 5- 503 عن الكلبي عن عوانة. وجاء في الإمامة والسياسة: حتّى إذا كان بعسفان تفرّقوا .. وانصرف الجيش إلى الشام مفلولا، وأصاب منهم أهل المدينة حين مرّوا بهم ناساً كثيراً فحبسوهم بالمدينة حتّى قدم عليهم مصعب بن الزبير فأخرجهم إلى الحرّة فضرب أعناقهم وهم أربعمائة وأكثر! الإمامة والسياسة 12: 2 منفردا به. [↑](#footnote-ref-211)
212. . تاريخ اليعقوبي 252: 2- 253 وقال: كان سعيد بن المسيّب يسمّي سنيّ يزيد بن معاوية بالشؤم: ففي السنة الأولى قتل الحسين بن عليّ وأهل بيت رسول اللّه! وفي الثانية: استبيح حرم رسول اللّه وانتهكت حرمة المدينة! وفي الثالثة: سفكت الدماء في حرم اللّه وحرّقت الكعبة. هذا، وقد لفّق الواقدي على أبي جعفر الباقر( ع) أنّه قال: أوّل من كسى الكعبة الديباج يزيد بن معاوية! كما في تاريخ الخلفاء للسيوطي: 250، وانظر عن ابن عساكر قبله عجباً. [↑](#footnote-ref-212)
213. . تاريخ خليفة: 158. [↑](#footnote-ref-213)
214. . قاموس الرجال 114: 11. [↑](#footnote-ref-214)
215. . التنبيه والإشراف: 264- 265. وعدّ ابن قتيبة ليزيد اثني عشر ابناً وأربع بنات.

     المعارف: 351 وذكرهم الطبري عن الكلبي 500: 5. [↑](#footnote-ref-215)
216. . تاريخ ابن الخياط البصري: 160. [↑](#footnote-ref-216)
217. . تاريخ الطبري 503: 5. [↑](#footnote-ref-217)
218. . مروج الذهب 73: 3. [↑](#footnote-ref-218)
219. . الإمامة والسياسة 13: 2. [↑](#footnote-ref-219)
220. . تاريخ اليعقوبي 254: 2. [↑](#footnote-ref-220)
221. . تنبيه الخواطر: 299- 300. [↑](#footnote-ref-221)
222. . مروج الذهب 73: 3. [↑](#footnote-ref-222)
223. . الإمامة والسياسة 13: 2. [↑](#footnote-ref-223)
224. . مروج الذهب 72: 2. [↑](#footnote-ref-224)
225. . حياة الحيوان 89: 1، مادة أوز. والبدء والتاريخ 17: 6، سمط النجوم 102: 3، تاريخ مختصر الدول: 111، جواهر المطالب 261: 2. [↑](#footnote-ref-225)
226. . تاريخ خليفة: 160. [↑](#footnote-ref-226)
227. . الإمامة والسياسة 15: 2. [↑](#footnote-ref-227)
228. . تاريخ اليعقوبي 255: 2. [↑](#footnote-ref-228)
229. . تاريخ خليفة: 160- 161. [↑](#footnote-ref-229)
230. . تاريخ خليفة: 160. [↑](#footnote-ref-230)
231. . المصدر السابق: 161. [↑](#footnote-ref-231)
232. . الإمامة والسياسة 15: 2- 16. [↑](#footnote-ref-232)
233. . تاريخ اليعقوبي 255: 2- 256. وانظر التنبيه والإشراف: 266 و 267. [↑](#footnote-ref-233)
234. . تاريخ خليفة: 161. [↑](#footnote-ref-234)
235. . تاريخ اليعقوبي 256: 2، ومرج راهط: موضع من غوطة دمشق في شرقيّها بعد مرج عذراء مقتل ومدفن حجر بن عدي الكندي وأصحابه الشهداء، كما في المعجم. [↑](#footnote-ref-235)
236. يوسفى غروى، محمدهادى، عصر الإمام السجاد، سياسيا و إجتماعيا، 1جلد، المجمع العالمي لاهل البيت (عليهم السلام) - قم - ايران، چاپ: 1، 1436 ه.ق. [↑](#footnote-ref-236)
237. . تاريخ خليفة: 161، وفي التنبيه والإشراف: 266: كان الفهري في 30 ألفاً ومروان في 13 ألفاً رجّالة. [↑](#footnote-ref-237)
238. . تاريخ اليعقوبي 256: 2. [↑](#footnote-ref-238)
239. . الإمامة والسياسة 16: 2. [↑](#footnote-ref-239)
240. . تاريخ ابن الوردي 166: 1. [↑](#footnote-ref-240)
241. . تاريخ اليعقوبي 260: 2 وفيه كما مرّ نسب البابين من الأرض إلى خالته عائشة عن النبيّ( ص)، وفي تاريخ الخلفاء للسيوطي: 253 ت: نسب إدخال سِتَّ أذرع من الحجر إلى ذلك، وقال: وهوالخليفة، ومروان باغ عليه، كما قاله الذهبي. [↑](#footnote-ref-241)
242. . محمدهادى اليوسفى الغروى، موسوعة التاريخ الاسلامي 278: 6- 282. [↑](#footnote-ref-242)
243. . تاريخ خليفة: 162. [↑](#footnote-ref-243)
244. . تاريخ خليفة: 163 وفيه: ربيع الآخر، وينافي ما يأتي. [↑](#footnote-ref-244)
245. . الإمامة والسياسة 17: 2. [↑](#footnote-ref-245)
246. . تاريخ اليعقوبي 256: 2- 257. [↑](#footnote-ref-246)
247. . الإمامة والسياسة 17: 2. [↑](#footnote-ref-247)
248. . التنبيه والاشراف: 269. [↑](#footnote-ref-248)
249. . تاريخ اليعقوبي 257: 2. [↑](#footnote-ref-249)
250. . تاريخ خليفة: 162. [↑](#footnote-ref-250)
251. . تاريخ اليعقوبي 256: 2. [↑](#footnote-ref-251)
252. . تاريخ الطبري 524: 5- 525. [↑](#footnote-ref-252)
253. . المصدر السابق 53: 5. [↑](#footnote-ref-253)
254. . تاريخ خليفة: 160. [↑](#footnote-ref-254)
255. . تاريخ ابن الخياط: 162. [↑](#footnote-ref-255)
256. . تاريخ الطبري 552: 5. [↑](#footnote-ref-256)
257. . المصدر السابق 554: 5. [↑](#footnote-ref-257)
258. . المصدر السابق 558: 5. [↑](#footnote-ref-258)
259. . المصدر السابق 554: 5. [↑](#footnote-ref-259)
260. . فاطر: 37. [↑](#footnote-ref-260)
261. يعني موقفهم مع الحسن( ع) ثمّ موقفهم من الحسين( ع). [↑](#footnote-ref-261)
262. . تاريخ الطبري 552: 5- 553. [↑](#footnote-ref-262)
263. . ولم يتكلّم بسلب بناته ونسائه وسبيهن! [↑](#footnote-ref-263)
264. . البقرة: 54. [↑](#footnote-ref-264)
265. . الأنفال: 60. [↑](#footnote-ref-265)
266. . تاريخ الطبري 554: 5- 555. [↑](#footnote-ref-266)
267. . تاريخ الطبري 558: 5. [↑](#footnote-ref-267)
268. . آل عمران: 103. [↑](#footnote-ref-268)
269. . تاريخ الطبري 559: 5- 560، وهذه الخاتمة هي المبرّر الشرعي الوحيد لعملهم لوكان بإذن إمامهم يومئذ. [↑](#footnote-ref-269)
270. . تاريخ الطبري 559: 5. [↑](#footnote-ref-270)
271. . المصدر السابق 560: 5. [↑](#footnote-ref-271)
272. . تاريخ الطبري 557: 5. [↑](#footnote-ref-272)
273. . المصدر السابق 558: 5. [↑](#footnote-ref-273)
274. . اقتباس من الخطبة: 182 في نهج البلاغة. [↑](#footnote-ref-274)
275. . الشعراء: 227. [↑](#footnote-ref-275)
276. . تاريخ الطبري 555: 5- 557. [↑](#footnote-ref-276)
277. . تاريخ الطبري 575: 5. [↑](#footnote-ref-277)
278. . المصدر السابق 577: 5- 578. ولا يصحّ ما أرسله المسعودي في مروج الذهب 73: 3:

     أنّه قالها لابن الزبير فأرسله إلى الكوفة لذلك! [↑](#footnote-ref-278)
279. . تاريخ الطبري 560: 5. [↑](#footnote-ref-279)
280. . تاريخ الطبري 578: 5- 580. [↑](#footnote-ref-280)
281. . تاريخ الطبري 560: 5. [↑](#footnote-ref-281)
282. . تاريخ خليفة: 163. [↑](#footnote-ref-282)
283. . تاريخ الطبري 561: 5- 563. [↑](#footnote-ref-283)
284. . تاريخ الطبري 584: 5. [↑](#footnote-ref-284)
285. . تاريخ الطبري 581: 5، 582 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-285)
286. . المصدر السابق 585: 5- 586 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-286)
287. . المصدر السابق 587: 5 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-287)
288. . تاريخ الطبري 586: 5 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-288)
289. . تاريخ الطبري 584: 5- 585 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-289)
290. . تاريخ الطبري 586: 5- 588 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-290)
291. . التوبة: 47. [↑](#footnote-ref-291)
292. . التوبة: 46. [↑](#footnote-ref-292)
293. . تاريخ الطبري 588: 5، 589 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-293)
294. . يلوّح بجرح الحسن( ع) في ساباط المدائن، وأشفوا أي قربوا من قتله، فخبر قتله مسموما لم يكن معروفا معلوما، وإلا فهومقتول كأبيه وأخيه، وإنّما الفرق في الآلة القتّالة. [↑](#footnote-ref-294)
295. . تاريخ الطبري 589: 5- 591 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-295)
296. . الكهف: 20. [↑](#footnote-ref-296)
297. . التوبة: 111- 112. [↑](#footnote-ref-297)
298. . الممتحنة: 4، الطبري 590: 5- 593 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-298)
299. . تاريخ اليعقوبي 257: 2. [↑](#footnote-ref-299)
300. . المصدر السابق 594: 5 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-300)
301. . معرّب روستا: القرية. [↑](#footnote-ref-301)
302. . تاريخ الطبري 593: 5- 596 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-302)
303. . المصدر السابق 598: 5 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-303)
304. . تاريخ الطبري 596: 5 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-304)
305. . تاريخ الطبري 597: 5- 598 عن أبي مخنف، عن حميد بن مسلم. [↑](#footnote-ref-305)
306. . تاريخ الطبري 598: 5، الموافق للرابع من كانون الثاني( 685 م). [↑](#footnote-ref-306)
307. . في خبر الطبري عن الكلبي عن أبي مخنف عن حميد بن مسلم الأزدي: عبد الملك بن مروان. ولا يصح، لموت مروان في رمضان القادم. [↑](#footnote-ref-307)
308. . تاريخ الطبري 598: 5 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-308)
309. . المصدر السابق 597: 5 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-309)
310. . مرّ أنّ ابن الخيّاط بلغ بهم إلى ستّين ألفاً، واكتفى ابن الأعثم بعشرين ألفاً، ورجّحه الدكتور بيضون في كتابه: سليمان بن صرد: 148، ووصف الأوّل بأنّه احتوى على كثير من المبالغة، وهذا صحيح. [↑](#footnote-ref-310)
311. . الأحزاب: 23. [↑](#footnote-ref-311)
312. . تاريخ الطبري 598: 5- 602 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-312)
313. . تاريخ الطبري 603: 5- 604 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-313)
314. . تاريخ الطبري 605: 5، وهو المصدر المتوفّر على أكثر أخبار التوّابين من كتاب« أخبار التوابين بعين الوردة» لأبي مخنف، واختصر المسعودي ذكرهم في أربع صفحات وصرّح بالنقل عن كتابه بهذا الاسم، في مروج الذهب 93: 3- 96، وأكثر عن الطبري ابن نما الحلّي( ق 7 ه-) في رسالته: ذوب النضّار في شرح أخذ الثار. ونقلها المجلسي في بحار الأنوار 346: 45- 386 وفيها تخليط. [↑](#footnote-ref-314)
315. . كذا في اليعقوبي 257: 2، وفي مروج الذهب 88: 3: الصنبرة على ميلين من طبرية من الأردن. [↑](#footnote-ref-315)
316. . تاريخ اليعقوبي 257: 2. [↑](#footnote-ref-316)
317. . مروج الذهب 86: 3. [↑](#footnote-ref-317)
318. . المصدر السابق 88: 3- 89. [↑](#footnote-ref-318)
319. . الإمامة والسياسة 17: 2. [↑](#footnote-ref-319)
320. . تاريخ اليعقوبي 257: 2. [↑](#footnote-ref-320)
321. . مروج الذهب 89: 3. [↑](#footnote-ref-321)
322. . الإمامة والسياسة 17: 2. [↑](#footnote-ref-322)
323. . الإمامة والسياسة 18: 2- 19، وذكر اليعقوبي 256: 2 جيش القيني وقتلهم عامّة، وقال: وأفلت منهم يوسف الثقفي وابنه الحجاج، ولكنّه قال: أرسلهم مروان! [↑](#footnote-ref-323)
324. . تاريخ الطبري 580: 5- 581 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-324)
325. . المصدر المتقدم: 584 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-325)
326. . المصدر المتقدّم 605: 5 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-326)
327. . المصدر السابق 606: 5 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-327)
328. يوسفى غروى، محمدهادى، عصر الإمام السجاد، سياسيا و إجتماعيا، 1جلد، المجمع العالمي لاهل البيت (عليهم السلام) - قم - ايران، چاپ: 1، 1436 ه.ق. [↑](#footnote-ref-328)
329. . تاريخ الطبري 581: 5- 582 عن أبي مخنف، ويروي أيضاً عنه قريباً منه في 7: 6. [↑](#footnote-ref-329)
330. . تاريخ الطبري 7: 6- 8، وسمّى الخبر معهم: سعد بن حذيفة بن اليمان، ولم يكن معهم في الكوفة بل عاد إلى المدائن، وكذلك المثنّى العبدي البصري، وعاد إلى البصرة. [↑](#footnote-ref-330)
331. . تاريخ الطبري 9: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-331)
332. . موسوعة التاريخ الاسلامي 338: 6. [↑](#footnote-ref-332)
333. . تاريخ الطبري 8: 6- 9 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-333)
334. . المصدر السابق 9: 6- 10 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-334)
335. . تاريخ الطبري 10: 6- 11، عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-335)
336. . الأنفال: 30. [↑](#footnote-ref-336)
337. . تاريخ الطبري 11: 6- 12. [↑](#footnote-ref-337)
338. . تاريخ الطبري 12: 6- 14 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-338)
339. . جاء هذا الوصف لابن الحنفية وأبيه عليّ( ع) عن لسان المختار فيما جاء في رجال الكشي: 126، الحديث 200، عن الباقر( ع) ليونس بن يعقوب وأبي بصير، وفيه: أنّ المختار كتب إلى ابن الحنفية بذلك. وفسّر الخبر الطشي بالحياة. ولا يخفى أن ذلك يعني القول بأفضلية عليّ( ع) بعد رسول اللّه( ص). [↑](#footnote-ref-339)
340. . تاريخ الطبري 14: 6- 15 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-340)
341. . تاريخ الطبري 15: 6- 16 عن أبي مخنف عن الشعبي الهمداني. [↑](#footnote-ref-341)
342. . تاريخ الطبري 16: 6- 18 عن أبي مخنف عن الشعبي. [↑](#footnote-ref-342)
343. . المصدر السابق 18: 6. [↑](#footnote-ref-343)
344. . تاريخ الطبري 18: 6- 19 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-344)
345. . المصدر السابق 18: 6. [↑](#footnote-ref-345)
346. . تاريخ الطبري 19: 6- 20 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-346)
347. . الخبر عن حميد بن زياد وفيه اضطراب، فقد مرّ أنّ خروج ابن الأشتر هذا كان مساء الاثنين ليلة الثلاثاء، وهنا قال: ليلة الأربعاء وهذا الثاني هو الأولى. [↑](#footnote-ref-347)
348. . تاريخ الطبري 20: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-348)
349. . تاريخ الطبري 23: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-349)
350. . تاريخ الطبري 20: 6- 21 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-350)
351. . تاريخ الطبري 21: 6- 22 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-351)
352. . تاريخ الطبري 22: 6- 23 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-352)
353. . ممّا يدل على كثرة الموالي في عسكر المختار. [↑](#footnote-ref-353)
354. . يلاحظ أن المقروء بعد الحمد لهم سور لا آيات منها. [↑](#footnote-ref-354)
355. . تاريخ الطبري 24: 6، والصيقل أبو سعيد من الموالي بالكوفة. [↑](#footnote-ref-355)
356. . لعلّ هذا أقدم خبر جاءت فيه هذه النسبة« السبائية» تعييراً بالتهالك في حبّ عليّ وأبنائه. [↑](#footnote-ref-356)
357. . تاريخ الطبري 25: 6- 26 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-357)
358. . البقرة: 249. [↑](#footnote-ref-358)
359. . تاريخ الطبري 27: 6- 29 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-359)
360. . تاريخ الطبري 28: 6 عن أبي مخنف، عن يحيى بن هانئ بن عروة المرادي، وكان مع الناس في المسجد وليس مع المختار وأصحابه. [↑](#footnote-ref-360)
361. . تاريخ الطبري 29: 6- 30 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-361)
362. . تاريخ الطبري 31: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-362)
363. . المصدر السابق 32: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-363)
364. . تاريخ الطبري 31: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-364)
365. . تاريخ الطبري 32: 6- 33 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-365)
366. . تاريخ الطبري 34: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-366)
367. . تاريخ الطبري 35: 6- 37 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-367)
368. . تاريخ الطبري 35: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-368)
369. . شرح النهج للمعتزلي 98: 4 عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي. [↑](#footnote-ref-369)
370. . تاريخ الطبري 72: 6- 75 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-370)
371. . كلمة مركّبة من العربية: الكافر، والفارسية: كوب: أي آلة ضرب الكفّار( المگوار). [↑](#footnote-ref-371)
372. . تاريخ الطبري 76: 6- 77 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-372)
373. . تاريخ اليعقوبي 261: 2- 262، والآية 227 من سورة الشعراء. [↑](#footnote-ref-373)
374. . مروج الذهب 86: 3 من الطبعتين الأولى في الميمنيّة، والثانية في دار السعادة لسنة( 1948 م)، كما نقل المعتزلي عن مروج الذهب في شرح نهج البلاغة 147: 20، ووثّقه المحقّق المصري محمّد أبوالفضل إبراهيم عن الطبعتين السابقتين، في حين تغيّرت العبارة في ط. يوسف أسعد داغر في بيروت لسنة( 1965 م) هكذا: كما ارهب بنو هاشم وجمع لهم الحطب لإحراقهم إذ هم أبوا البيعة فيما سلف! فهذا من موارد التحريف المعاصر في عصر النور! [↑](#footnote-ref-374)
375. . مروج الذهب 76: 3- 77. [↑](#footnote-ref-375)
376. . مروج الذهب 79: 3- 82. [↑](#footnote-ref-376)
377. . تاريخ اليعقوبي 262: 2. [↑](#footnote-ref-377)
378. . مروج الذهب 80: 3. [↑](#footnote-ref-378)
379. . النساء: 76. [↑](#footnote-ref-379)
380. . تاريخ الطبري 38: 6- 41 عن الكلبي، عن عوانة، وعن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-380)
381. . تاريخ الطبري 42: 6 عن أبي مخنف، والنص: ليست لهم تقيّة! [↑](#footnote-ref-381)
382. . تاريخ الطبري 42: 6- 43 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-382)
383. . تاريخ الطبري 43: 6- 45 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-383)
384. . تاريخ الطبري 45: 6- 46 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-384)
385. . المصدر السابق 46: 6- 47 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-385)
386. . تاريخ الطبري 49: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-386)
387. . المصدر السابق 56: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-387)
388. . تاريخ الطبري 47: 6- 52 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-388)
389. . تاريخ الطبري 56: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-389)
390. . تاريخ الطبري 57: 6 عن أبي مخنف، والنصّ: لستّ ليال بقين ... ولكنّه في: 81 يذكر أنّ ابن الأشتر لمّا فرغ من أهل الكناسة والسبيع ما نزل إلا يومين حتّى أشخصه إلى الموصل فخرج يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجّة. فالصحيح العكس، وانظر: 340، ح 2؛ أي هنا لستّ. [↑](#footnote-ref-390)
391. . تاريخ الطبري 51: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-391)
392. . تاريخ الطبري 54: 6- 55 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-392)
393. . تاريخ الطبري 57: 6. [↑](#footnote-ref-393)
394. . تاريخ الطبري 81: 6، والنصّ: لثمان بقين .. بينما ذكر وقعة يوم السّبيع: لستّ بقين ..

     فالصحيح العكس. راجع: 338 الحاشية: 3. [↑](#footnote-ref-394)
395. . تاريخ الطبري 81: 6- 82 عن أبي مخنف، وفيه خبر كرسيّ أخرجوه معهم في المشايعة يدعون حوله يستنصرون، فقال إبراهيم: والذي نفسي بيده هذه سنّة بني إسرائيل إذ عكفوا على عجلهم! اللهمّ لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء. ثمّ روى الطبري عن الكلبي عن أبي مخنف الأزدي عن أبي الأشعر موسى بن عامر الجهني: أنّ الذي صنع ذلك وقال لهم: هذا كرسيّ عليّ( ع) إنّما هو عبد اللّه بن عوف! وكان يقول: أمرني به المختار! والمختار يتبرّأ منه!( 84: 6- 85) ولمّا بلغ أمره لابن الزبير قال: أين عنه بعض جنادبة الأزد( 84: 6) يعني النهّائين عن المنكرات والبدع! فتكلّم الناس في ذلك فغيّب( 83: 6) وعلى هذا فلا يجوز أن ينسب أمره إلى المختار نفسه.

     وذكر المسعودي عدد عسكر ابن الأشتر في التنبيه والإشراف: 270 قال: سيّره المختار في اثني عشر ألفا، فالتقوا بالزاب من أرض الموصل. [↑](#footnote-ref-395)
396. يوسفى غروى، محمدهادى، عصر الإمام السجاد، سياسيا و إجتماعيا، 1جلد، المجمع العالمي لاهل البيت (عليهم السلام) - قم - ايران، چاپ: 1، 1436 ه.ق. [↑](#footnote-ref-396)
397. . تاريخ الطبري 86: 6. [↑](#footnote-ref-397)
398. . تاريخ الطبري 90: 6- 91. [↑](#footnote-ref-398)
399. . تاريخ الطبري 86: 6- 87. [↑](#footnote-ref-399)
400. . تاريخ الطبري 87: 6- 88 عن الكلبي عن أبي مخنف عن المولى أبي سعيد الصيقل عن إبراهيم النخعي، وجاء فيه: ومنعه أن يذهب إلى ابن عمّه‏[ يزيد] فيصالحه! هذا وقد نقل الطبري عن الكلبي عن أبي مخنف عن عقبة بن سمعان غلام الإمام الحسين( ع) ينفي وينكر هذا الكلام عن الحسين( ع) أشدّ النفي والإنكار، وأنّه إنّما هو ممّا تقوّل به الناس تقوّلًا بالظنون ورجماً بالغيب، فيعلم أنّ هذا كان قد انطلى على النخعيّ ومخاطبيه من الكوفيين، وكأنه يبرّئ يزيد عن إرادة قتل الإمام( ع)! [↑](#footnote-ref-400)
401. . تاريخ الطبري 90: 6، عن أبي مخنف، عن فضيل بن خديج الكندي. وفي 81: 6: أنّه ممّن شهد الوقعة. ونقل المسعودي: أنّ عمير بن الحباب كان في نفسه ما فعل بقومه من مضر وغيرهم من نزار يوم مرج راهط قرب دمشق، فكاتب إبراهيم بن الأشتر سرّاً والتقيا وتواطئا. فصاح يومئذ: يالثارات قيس! يالمِضر! يالنِزار! فتزاحمت نزار من مضر وربيعة على من كان معهم في جيشهم من أهل الشام من قحطان. مروج الذهب 97: 3. [↑](#footnote-ref-401)
402. . تاريخ الطبري 91: 6 عن غير أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-402)
403. . المصدر السابق 90: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-403)
404. . المصدر السابق 91: 6 عن غير أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-404)
405. . تاريخ الطبري 90: 6 عن أبي مخنف. وقال في التنبيه والإشراف 270: كان ذلك يوم عاشوراء سنة( 67 ه-). وقال يزيد بن المفرّغ الحميري اليمني في قتل ابن زياد:

     إنّ الذي كان ختّارا بذمّته ومات عبدا قتيل اللّه بالزّاب [↑](#footnote-ref-405)
406. . تاريخ الطبري 91: 6. [↑](#footnote-ref-406)
407. . مروج الذهب 97: 3 وزاد: فبعث به المختار إلى ابن الزبير! وهو وهم كما يأتي. وزاد ابن الوردي: وأحرق ابن الأشتر جثة ابن زياد وبعث برأسه وعدة من رؤوس أصحابه إلى المختار، وانتقم اللّه بالمختار للحسين( ع) وإن لم تكن من نيّة المختار! ثمّ قال:

     قلت: في الحديث عن النبيّ( ص):« أن اللّه قتل بيحيى بن زكريا سبعين ألفا، ووعدني أن يقتل بابني هذا( يعني الحسين) سبعين ألفا» وكان كما قال، واللّه أعلم. ابن الوردي 167: 1. [↑](#footnote-ref-407)
408. . تاريخ الطبري 91: 6- 92. [↑](#footnote-ref-408)
409. . المصدر السابق 259: 2. [↑](#footnote-ref-409)
410. . رجال الكشي: 127، الحديث 202 و 203 و 204 وفي آخره: وبعد ما أظهر الكلام الذي أظهره(؟!) بعث إليه بأربعين ألف دينار فردّها ولم يقبلها. [↑](#footnote-ref-410)
411. . تاريخ الطبري 93: 6 عن النميري البصري عن المدائني البصري عن الشعبي. [↑](#footnote-ref-411)
412. . المصدر السابق 92: 6. [↑](#footnote-ref-412)
413. . تاريخ الطبري 52: 6- 53 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-413)
414. . تاريخ الطبري 52: 6- 54 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-414)
415. . السجدة: 22. [↑](#footnote-ref-415)
416. . تاريخ الطبري 33: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-416)
417. . تاريخ الطبري 57: 6. [↑](#footnote-ref-417)
418. . تاريخ الطبري 57: 6- 58 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-418)
419. . تاريخ الطبري 58: 6 عن أبي مخنف. وعن المدائني في أمالي الطوسي: 244، الحديث 16، المجلس 9. [↑](#footnote-ref-419)
420. . تاريخ الطبري 59: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-420)
421. . تاريخ الطبري 59: 6- 60 عن أبي مخنف، وعن المدائني في أمالي الطوسي: 244، الحديث 16، المجلس 9. [↑](#footnote-ref-421)
422. . تاريخ الطبري 60: 6- 61 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-422)
423. . تاريخ الطبري 62: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-423)
424. . تاريخ الطبري 60: 6- 61 عن أبي مخنف، وعن المدائني في أمالي الطوسي: 243، الحديث 16، المجلس 9، وفيه: أنّ أبا عمرة كان قصيرا مدجّجا بالحديد ومعه رجلان. [↑](#footnote-ref-424)
425. . تاريخ الطبري 61: 6- 62 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-425)
426. . كشف الغمة 66: 3 و 72 و 73، وفي أمالي الطوسي: 238- 239، الحديث 15، المجلس 9 بسنده عن المفيد وليس في أماليه عن( دلائل) الحميري أيضاً بسند متّصل إلى المنهال. وفي المناقب 145: 4. [↑](#footnote-ref-426)
427. . تاريخ الطبري 62: 6- 63. [↑](#footnote-ref-427)
428. . تاريخ الطبري 64: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-428)
429. . المصدر السابق 64: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-429)
430. . تاريخ الطبري 65: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-430)
431. . المصدر السابق. [↑](#footnote-ref-431)
432. . المصدر السابق 94: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-432)
433. . وفي 94: 6: عبد اللّه بن قراد الخثعمي. [↑](#footnote-ref-433)
434. . تاريخ الطبري 66: 6. [↑](#footnote-ref-434)
435. . المصدر السابق 94: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-435)
436. . تاريخ أهل البيت: 95. [↑](#footnote-ref-436)
437. . الخرائج والجرائح 183: 1. [↑](#footnote-ref-437)
438. محمدهادى اليوسفى الغروي، موسوعة التاريخ الاسلامي 409: 6. [↑](#footnote-ref-438)
439. . نسب قريش: 43- 44، وانظر قاموس الرجال 81: 7- 82. [↑](#footnote-ref-439)
440. . تاريخ خليفة: 125 و 126 و 138. [↑](#footnote-ref-440)
441. . تاريخ الطبري 94: 6- 95. [↑](#footnote-ref-441)
442. . المصدر السابق 117: 6. [↑](#footnote-ref-442)
443. . تاريخ الطبري 128: 6- 130 عن المدائني، وفيه حتّى قتل المختار، خطأ، وسيأتي أنّه كان مع مصعب في حرب المختار. [↑](#footnote-ref-443)
444. . تاريخ الطبري 95: 6- 96 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-444)
445. . تاريخ الطبري 96: 6- 98 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-445)
446. . تاريخ الطبري 99: 6- 100 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-446)
447. . تاريخ الطبري 100: 6- 101. [↑](#footnote-ref-447)
448. . تاريخ الطبري 95: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-448)
449. . المصدر السابق 99: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-449)
450. . الخرائج والجرائح 183: 1. [↑](#footnote-ref-450)
451. . السرائر الحاوي 656: 1. [↑](#footnote-ref-451)
452. . تاريخ الطبري 104: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-452)
453. . المصدر السابق 95: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-453)
454. . تاريخ الطبري 107: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-454)
455. . تاريخ الطبري 107: 6- 108 عن أبي مخنف. وأتيا مصعبا برأسه فأعطاهما ثلاثين ألف درهم، كما في تاريخ خليفة: 165 وفيه: دخلا عليه القصر! غلط. [↑](#footnote-ref-455)
456. . تاريخ الطبري 108: 6- 110 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-456)
457. . تاريخ الطبري 115: 6- 116. وأغرب اليعقوبي فقال: إنّ مصعبا أعطاهم الأمان وكتب لهم بذلك ثمّ قتلهم واحدا واحدا فكانت إحدى الغدرات المذكورة المشهورة في الإسلام! اليعقوبي 263: 2- 264 وإنّه ألقى بين يديه رأس المختار 265: 2. وفي الإمامة والسياسة 25: 2: أنّه بعث به إلى أخيه وذكر الأمان والغدر المسعودي في مروج الذهب 99: 3 وأعرض عنه في التنبيه والإشراف: 270. [↑](#footnote-ref-457)
458. . تاريخ الطبري 112: 6 عن أبي مخنف.

     وفي مروج الذهب 99: 3: واتي بحرم المختار، فدعاهن إلى البراءة منه ففعلن، إلا حرمتين له إحداهما بنت سمرة بن جندب الفزاري، والثانية ابنة النعمان بن بشير الأنصاري الخزرجي فانّهما قالتا: كيف نتبرّأ من رجل يقول: ربّي اللّه، كان صائم نهاره قائم ليله، قد بذل دمه للّه ولرسوله في طلب قتلة ابن بنت رسول اللّه وأهله و« شيعته» فأمكنه اللّه منهم حتّى شفى النفوس! فكتب مصعب إلى أخيه عبد اللّه يخبره بخبرهما وما قالتاه، فكتب إليه: إن هما رجعتا عما هما عليه وتبرّأتا منه، وإلا فاقتلهما! فعرضهما مصعب على السيف فقالت ابنة سمرة:

     فمع السيف لودعوتني إلى الكفر لكفرت، فأشهد أنّ المختار كافر! ولعنته وتبرّأت منه! ولكن ابنة النعمان قالت: كلّا! إنّها موتة ثمّ الجنة والقدوم على الرسول وأهل بيته! واللّه لا يكون ذلك! آتي ابن هند فأتّبعه! وأترك ابن أبي طالب! اللهم اشهد أنّي متّبعة لنبيّك وابن بنته و« أهل بيته وشيعته»! فقتلها صبرا، وهذا لا يتنافى مع خبر أبي مخنف إلا في الإجمال والإكمال. [↑](#footnote-ref-458)
459. . تاريخ الطبري 113: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-459)
460. . تاريخ الطبري 110: 6- 112 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-460)
461. . المصدر السابق 111: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-461)
462. . تاريخ الطبري 112: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-462)
463. . المصدر السابق 116: 6 عن المدائني البصري. وهكذا غدر بابن الأشتر فلم يف له بما وعده إيّاه عاجلًا. [↑](#footnote-ref-463)
464. . من ثمانية أبناء له، المعارف: 225، وانظر الطبري 118: 6. [↑](#footnote-ref-464)
465. . تاريخ الطبري 117: 6- 118 عن أبي مخنف والمدائني. [↑](#footnote-ref-465)
466. . هذه من بوادر ما مهّد فيما بعد لمصطلح: الخلفاء الراشدين، ولم يصطلح يومئذ بعد. [↑](#footnote-ref-466)
467. . تاريخ الطبري 128: 6- 134 عن المدائني. [↑](#footnote-ref-467)
468. . تاريخ الطبري 119: 6- 127 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-468)
469. . تاريخ خليفة: 164- 165. [↑](#footnote-ref-469)
470. . تاريخ اليعقوبي 262: 2- 263. [↑](#footnote-ref-470)
471. . مروج الذهب 102: 3. [↑](#footnote-ref-471)
472. . تاريخ اليعقوبي 270: 2. [↑](#footnote-ref-472)
473. . مروج الذهب 104: 3. [↑](#footnote-ref-473)
474. يوسفى غروى، محمدهادى، عصر الإمام السجاد، سياسيا و إجتماعيا، 1جلد، المجمع العالمي لاهل البيت (عليهم السلام) - قم - ايران، چاپ: 1، 1436 ه.ق. [↑](#footnote-ref-474)
475. . مروج الذهب 102: 3- 103. [↑](#footnote-ref-475)
476. . وخزائن بيوت الأموال، كما في تاريخ خليفة: 190، وعدّه من الصحابة في: 185. [↑](#footnote-ref-476)
477. . الإمامة والسياسة 22: 2. [↑](#footnote-ref-477)
478. . مروج الذهب 104: 3. [↑](#footnote-ref-478)
479. . المصدر السابق 103: 3. [↑](#footnote-ref-479)
480. . مروج الذهب 104: 3- 106. [↑](#footnote-ref-480)
481. . المصدر السابق 105: 3. [↑](#footnote-ref-481)
482. . المصدر السابق 106: 3. [↑](#footnote-ref-482)
483. . تاريخ الطبري 440: 5 عن أبي مخنف، عن حميد بن مسلم. [↑](#footnote-ref-483)
484. . مروج الذهب 106: 3- 107. [↑](#footnote-ref-484)
485. . مروج الذهب 107: 3. [↑](#footnote-ref-485)
486. . الإمامة والسياسة 28: 2. [↑](#footnote-ref-486)
487. . مروج الذهب 107: 3. [↑](#footnote-ref-487)
488. . مروج الذهب 109: 3- 110. [↑](#footnote-ref-488)
489. . تاريخ اليعقوبي 266: 2 وقبله خبر الرؤوس مرسلا. [↑](#footnote-ref-489)
490. . مروج الذهب 112: 3. [↑](#footnote-ref-490)
491. . تاريخ خليفة: 167 و 185. [↑](#footnote-ref-491)
492. . المصدر السابق: 168. [↑](#footnote-ref-492)
493. . تاريخ اليعقوبي 261: 2 وتمامه: وأقام بذلك أيّام بني أمية! والصحيح: أيّام ابن الزبير. [↑](#footnote-ref-493)
494. . الإمامة والسياسة 30: 2. [↑](#footnote-ref-494)
495. . تاريخ اليعقوبي 266: 2. [↑](#footnote-ref-495)
496. . تاريخ ابن الوردي 169: 1. [↑](#footnote-ref-496)
497. . مروج الذهب 113: 3. [↑](#footnote-ref-497)
498. . الإمامة والسياسة 30: 2- 31. [↑](#footnote-ref-498)
499. . تاريخ اليعقوبي 267: 2. [↑](#footnote-ref-499)
500. . مروج الذهب 114: 3. [↑](#footnote-ref-500)
501. . الإمامة والسياسة 31: 2. [↑](#footnote-ref-501)
502. . مروج الذهب 115: 3. [↑](#footnote-ref-502)
503. . تاريخ اليعقوبي 267: 2- 268. [↑](#footnote-ref-503)
504. . المعارف لابن قتيبة: 185 و 186. [↑](#footnote-ref-504)
505. . شرح النهج للمعتزلي 242: 13 عن الإسكافي في رسالته في نقض عثمانية الجاحظ. [↑](#footnote-ref-505)
506. . المعارف لابن قتيبة: 185. [↑](#footnote-ref-506)
507. . مروج الذهب 116: 3- 117 ونسب أحيانا إلى الإمام الباقر( ع). [↑](#footnote-ref-507)
508. . تاريخ اليعقوبي 272: 2. [↑](#footnote-ref-508)
509. . تاريخ الخلفاء للسيوطي: 256، وبخصوص جابر في الطبري 195: 6، وعليه فلا يصحّ ما جاء في الكشي: 124، الحديث 195: أنّ جابرا كان رجلا من أصحاب رسول اللّه وكان شيخا قد أسنّ فلم يتعرّض له! اللهمّ إلا القتل. [↑](#footnote-ref-509)
510. . مروج الذهب 170: 3. [↑](#footnote-ref-510)
511. . تاريخ اليعقوبي 275: 2. [↑](#footnote-ref-511)
512. . لعلّه بوسطين بانوس( الثالث) وانظر مختصر تاريخ الدول: 112 ولم يذكر هذا الخبر! [↑](#footnote-ref-512)
513. . في الخبر عطف الدراهم؛ وهووهم، لأنّ الدرهم المتداول يومئذ لم يكن رومّيا وإنّما كان فارسّيا، وراجع حوادث عام( 40 ه-). [↑](#footnote-ref-513)
514. . الخبر في كتاب المحاسن والمساوي للبيهقي( ق 5 ه-) 232: 2 و 468، ط. 2، وللخبر نسختان ففي نسخة كما ذكرنا، وفي نسخة: الباقر( ع) ولا يصحّ، لحياة أبيه السجّاد( ع)، والباقر يومئذ دون العشرين من عمره! [↑](#footnote-ref-514)
515. . المصدر السابق. وفي دائرة المعارف البريطانية 904: 17: كان ذلك سنة( 76 ه-) الموافقة لسنة( 695 م). وانظر مقال أخينا السيّد المرتضى في دراسات وبحوث: 127- 137. [↑](#footnote-ref-515)
516. . تاريخ اليعقوبي 281: 2. [↑](#footnote-ref-516)
517. . تاريخ اليعقوبي 275: 2- 276. [↑](#footnote-ref-517)
518. . تاريخ خليفة: 174- 175. [↑](#footnote-ref-518)
519. . مقاتل الطالبين: 89. [↑](#footnote-ref-519)
520. . المصدر السابق: 88 و 92. [↑](#footnote-ref-520)
521. . النساء: 95. [↑](#footnote-ref-521)
522. . التوبة: 111. [↑](#footnote-ref-522)
523. . السرائر 638: 3، 736. [↑](#footnote-ref-523)
524. . أمالي الصدوق: 408، الحديث 529، المجلس 9، وعيون أخبار الرضا( ع) 478: 1، الحديث 188. [↑](#footnote-ref-524)
525. . وفي مقاتل الطالبيّين: 88: بسنده عن عبد اللّه بن محمّد بن الحنفية: أنّه مرّ به زيد بن علي( وهو صبيّ) فرقّ له وأخذه وأجلسه عنده وقال له: يابن أخي! أعيذك باللّه أن تكون زيدا المصلوب بالعراق! ولا ينظر أحد إلى عورته ولا إليه إلا كان في أسفل درك من جهنّم! وعليه فهوكان صبيّا يدرج قبل وفاة ابن الحنيفة، وسيأتي لا حقا. [↑](#footnote-ref-525)
526. . تاريخ خليفة: 176 واليعقوبي 277: 2 والمسعودي 167: 3. [↑](#footnote-ref-526)
527. . تاريخ اليعقوبي 277: 2. [↑](#footnote-ref-527)
528. . مروج الذهب 167: 3. [↑](#footnote-ref-528)
529. . مروج الذهب 169: 3. [↑](#footnote-ref-529)
530. . المعارف: 207. [↑](#footnote-ref-530)
531. . المصدر السابق: 216. [↑](#footnote-ref-531)
532. . مروج الذهب 116: 3. [↑](#footnote-ref-532)
533. . فرق الشيعة: 27- 31. [↑](#footnote-ref-533)
534. . المعارف لابن قتيبة: 217، وفرق الشيعة: 33 وقال: بل افترق أصحابه أربع فرق: 31. [↑](#footnote-ref-534)
535. . أصول الكافي 348: 1، الحديث 5، الباب 81، كتاب الحجّة. [↑](#footnote-ref-535)
536. . إعلام الورى 486: 1. [↑](#footnote-ref-536)
537. . المعارف: 397- 398. [↑](#footnote-ref-537)
538. . الإمامة والسياسة 36: 2- 37. [↑](#footnote-ref-538)
539. . تاريخ اليعقوبي 277: 2. [↑](#footnote-ref-539)
540. . التنبيه والإشراف: 271. [↑](#footnote-ref-540)
541. . مروج الذهب 131: 3. [↑](#footnote-ref-541)
542. . تاريخ اليعقوبي 277: 2، والتنبيه والإشراف: 271. [↑](#footnote-ref-542)
543. . الإمامة والسياسة 37: 2- 38. [↑](#footnote-ref-543)
544. . الإمامة والسياسة 38: 2- 40. [↑](#footnote-ref-544)
545. . المعارف: 445، ولكنّه في الإمامة والسياسة نسبه إلى بني الأشعث بن قيس، ولا يصحّ. [↑](#footnote-ref-545)
546. . الإمامة والسياسة 40: 2. [↑](#footnote-ref-546)
547. تاريخ خليفة: 176. [↑](#footnote-ref-547)
548. . تاريخ اليعقوبي 278: 2. [↑](#footnote-ref-548)
549. . تاريخ خليفة: 175. [↑](#footnote-ref-549)
550. . التنبيه والإشراف: 272، وفي مروج الذهب 131: 3: أنّه خلع عبد الملك في بلاد كرمان قبل فارس. [↑](#footnote-ref-550)
551. . تاريخ خليفة: 176. [↑](#footnote-ref-551)
552. . مروج الذهب 131: 3. [↑](#footnote-ref-552)
553. . مروج الذهب 131: 3. [↑](#footnote-ref-553)
554. . التنبيه والإشراف: 272. [↑](#footnote-ref-554)
555. . الإمامة والسياسة 41: 2 وفيه: نيشابور، خطأ. [↑](#footnote-ref-555)
556. . تاريخ خليفة: 176. [↑](#footnote-ref-556)
557. . التنبيه والإشراف: 272. [↑](#footnote-ref-557)
558. . تاريخ خليفة: 177. [↑](#footnote-ref-558)
559. . التنبيه والإشراف: 272. [↑](#footnote-ref-559)
560. . تاريخ اليعقوبي 278: 2. [↑](#footnote-ref-560)
561. . مروج الذهب 132: 3. [↑](#footnote-ref-561)
562. . تاريخ اليعقوبي 278: 2. [↑](#footnote-ref-562)
563. . التنبيه والإشراف: 272. [↑](#footnote-ref-563)
564. . تاريخ اليعقوبي 278: 2. [↑](#footnote-ref-564)
565. . تاريخ خليفة: 178- 179 وفي الإمامة والسياسة 50: 2 أنّهم كانوا بقلعة بأرض فارس، وهو أولى. [↑](#footnote-ref-565)
566. . تاريخ خليفة: 181. [↑](#footnote-ref-566)
567. . المصدر السابق: 178. [↑](#footnote-ref-567)
568. . تاريخ خليفة: 180، 189. [↑](#footnote-ref-568)
569. . مروج الذهب 147: 3 مسنداً. [↑](#footnote-ref-569)
570. . المصدر السابق 149: 3. [↑](#footnote-ref-570)
571. . المصدر السابق 154: 3. [↑](#footnote-ref-571)
572. . تاريخ خليفة: 177 و 178. [↑](#footnote-ref-572)
573. . تاريخ خليفة: 181. [↑](#footnote-ref-573)
574. . تاريخ اليعقوبي 278: 2 و 279. [↑](#footnote-ref-574)
575. . الإمامة والسياسة 46: 2 و 47. [↑](#footnote-ref-575)
576. . مروج الذهب 156: 3. [↑](#footnote-ref-576)
577. . مروج الذهب 155: 3- 156. [↑](#footnote-ref-577)
578. . الإمامة والسياسة 47: 2- 49 مرسلا ومروج الذهب 145: 3- 146 مسندا. [↑](#footnote-ref-578)
579. . تاريخ الطبري 11: 6 عن أبي مخنف. [↑](#footnote-ref-579)
580. . ترجمة تاريخ قم بالفارسية: 264، للحسن بن عليّ القمي المتوفى في( 806 ه-). [↑](#footnote-ref-580)
581. يوسفى غروى، محمدهادى، عصر الإمام السجاد، سياسيا و إجتماعيا، 1جلد، المجمع العالمي لاهل البيت (عليهم السلام) - قم - ايران، چاپ: 1، 1436 ه.ق. [↑](#footnote-ref-581)
582. . ترجمة تاريخ قم بالفارسية: 243- 253، الفصلان الأولان من الباب الرابع. [↑](#footnote-ref-582)
583. . معجم البلدان 397: 4- 398. [↑](#footnote-ref-583)
584. . ترجمة تاريخ قم بالفارسية: 278 ف 6، ب 5، بقي أن نقول: إنّه لم يذكر سجن الحجّاج وقال: سجن بعد قتل زيد بن علي! وأرّخ لذلك بسنة اثنتين وستّين! وهذا الثاني تصحيف عن الثمانين والأوّل وهم؛ فإنّ قيام زيد لم يكن في أيّ من هذين التاريخين بل بعد هذا. [↑](#footnote-ref-584)
585. . وانظر: قم حرم أهل البيت( عليهم السلام) لأخينا الشيخ محمّد عليّ الأنصاري: 24- 29. [↑](#footnote-ref-585)
586. . تاريخ اليعقوبي 278: 2 و 289. [↑](#footnote-ref-586)
587. . تاريخ خليفة: 182- 183 والتنبيه والإشراف: 273. [↑](#footnote-ref-587)
588. . محمدهادى اليوسفي الغروي، موسوعة التاريخ الاسلامي 490: 6. [↑](#footnote-ref-588)
589. . مروج الذهب 133: 3- 135. [↑](#footnote-ref-589)
590. . نقلًا عن كتاب التصحيف: 13. [↑](#footnote-ref-590)
591. . مناهل العرفان 399: 1، وانظر الشيعة وفنون الإسلام: 56، وتاريخ القرآن: 97، وبحوث في تاريخ القرآن وعلومه: 170- 175، والتمهيد 309: 1، وتلخيصه 185: 1، وشكّك صبحي في مباحث في علوم القرآن: 91- 93. [↑](#footnote-ref-591)
592. . مناهل العرفان 402: 1 عن التبيان للنووي. [↑](#footnote-ref-592)
593. . الإتقان 290: 2. [↑](#footnote-ref-593)
594. . المصاحف لابن أبي داوود، وذكر المواضع. [↑](#footnote-ref-594)
595. . البرهان 249: 1- 252. [↑](#footnote-ref-595)
596. . وفاء الوفاء 667: 2- 668 وقال: حتّى بعث المهدي العباسي بمصاحف فنحّى مصحف الحجّاج. [↑](#footnote-ref-596)
597. . وسائل الشيعة 115: 12، الباب 31، الحديث 8 و 9. [↑](#footnote-ref-597)
598. . الإمامة والسياسة 54: 2. [↑](#footnote-ref-598)
599. . تاريخ اليعقوبي 279: 2- 280. [↑](#footnote-ref-599)
600. . تاريخ خليفة 183: 1- 185. [↑](#footnote-ref-600)
601. . أصول الكافي 472: 1 عن الصادق( ع) في باب مولده، الحديث الأوّل. [↑](#footnote-ref-601)
602. . قرب الإسناد: 157، وعنه في قاموس الرجال 492: 8 برقم 6016. [↑](#footnote-ref-602)
603. . روضة الواعظين: 253 وهوأوّل من عيّن اليوم والشهر مرسلا. [↑](#footnote-ref-603)
604. . تاريخ أهل البيت عليهم السّلام: 81، وأصول الكافي 472: 1. [↑](#footnote-ref-604)
605. . علل الشرائع 274: 1، الباب 169، الحديث 1.

     وأغرب هنا بعض الغربيّين فافترى على السجّاد( ع): أنّ القابلة أخبرته أنّ للوليد عينين زرقاوين! فتبسّم الإمام وقال: فهويشبه عيني والدتي! كما في: الإمام الصادق كما عرّفه علماء الغرب: 72 وعنه في أعلام الهداية 39: 8، فيالها من غواية!

     ولم يعلم عن أئمّة أهل البيت( عليهم السلام) ولا شيعتهم الرواية عن الصادق( ع) أنّه قال: ولقد ولّدني أبوبكر مرّتين! ولا أجد فيما بأيدينا أقدم من رواية الجنابذي البغدادي للخبر مرسلًا أيضاً وعنه الإربليّ في كشف الغمة 163: 3 ويبدوعنه الذهبي في تذكرة الحفّاظ 166: 1 بلفظ: ولدني أبوبكر مرّتين! مرسلا أيضاً.

     ولوتنزّلنا، فعلى فرض التسليم بصدوره عنه( ع) فلعلّه يعني الفخر بالانتساب إلى محمّد ابن أبي بكر لامتناعه عن البيعة لمعاوية حتى قتل، وانتسابه إلى عبد الرحمن بن أبي بكر لامتناعه عن البيعة لولاية عهده حتى مات في ظروف غامضة وقيل: قتل، فراجع الموضوع. [↑](#footnote-ref-605)
606. . تاريخ خليفة: 183: 1- 185. [↑](#footnote-ref-606)
607. . تاريخ اليعقوبي 280: 2- 281. [↑](#footnote-ref-607)
608. . الوكساء: الخسيسة. [↑](#footnote-ref-608)
609. . الإمامة والسياسة 58: 2. [↑](#footnote-ref-609)
610. . تاريخ اليعقوبي 283: 2. [↑](#footnote-ref-610)
611. . الإمامة والسياسة 58: 2. [↑](#footnote-ref-611)
612. . تاريخ اليعقوبي 283: 2. [↑](#footnote-ref-612)
613. . الإمامة والسياسة 58: 2. [↑](#footnote-ref-613)
614. . التنبيه والإشراف: 273. وفي تاريخ خليفة: أن سرجون كان كاتب الخراج وأرزاق الجنود. وخلّفه: سليمان بن سعد مولى قضاعة: 189. [↑](#footnote-ref-614)
615. . تاريخ الخلفاء للسيوطي: 264. [↑](#footnote-ref-615)
616. . تاريخ الخلفاء للسيوطي: 264. [↑](#footnote-ref-616)
617. . المصدر نفسه: 261، وتاريخ خليفة: 190 وقال: ترجمها سليمان بن سعد مولى قضاعة. [↑](#footnote-ref-617)
618. . تاريخ الخلفاء للسيوطي: 262. [↑](#footnote-ref-618)
619. . تاريخ ابن الوردي 170: 1. [↑](#footnote-ref-619)
620. . مروج الذهب 158: 3. [↑](#footnote-ref-620)
621. . الإمامة والسياسة 57: 2- 58. [↑](#footnote-ref-621)
622. . الأنعام: 124. [↑](#footnote-ref-622)
623. . الحجرات: 4. [↑](#footnote-ref-623)
624. . تاريخ اليعقوبي 284: 2- 285. [↑](#footnote-ref-624)
625. . تاريخ ابن الوردي 170: 1. [↑](#footnote-ref-625)
626. . تاريخ خليفة: 191. [↑](#footnote-ref-626)
627. . مناقب آل أبي طالب 240: 2. وقال ابن الفقيه في مختصر تاريخ البلدان: 107: خرج الوليد حاجّا فدخل مسجد النبي فرأى فيه بيتاً ضاعناً شارعاً بابه إليه! فسأل عنه فقيل له: هذا بيت عليّ؟! فصاح يا غلام: اهدمه.

     فقيل له: يا أمير المؤمنين لا تفعل حتّى نقدم الشام فتخرج أمرك بتوسيع مساجد الأمصار فتبني بدمشق مسجداً وتبني مسجد بيت المقدس ومكّة والمدينة، فيدخل بيت عليّ فيما يوسّع من مسجد المدينة. فقبل ذلك.

     وذكر ابن كثير في البداية والنهاية 74: 9- 76: أنّه لمّا علم بذلك أهل المدينة وكان فيهم عشرة فقهاء فأجمعوا على عدم الرضا بذلك! فكتب به ابن عبد العزيز إلى الوليد فأرسل إليه الوليد يأمره بذلك. فلمّا شرعوا في الهدم صاح وجوه الناس من بني هاشم وغيرهم وبكوا كيوم مات فيه رسول اللّه( ص). [↑](#footnote-ref-627)
628. . تاريخ اليعقوبي 284: 2. [↑](#footnote-ref-628)
629. . مختصر تاريخ الدول لابن العبري: 113. [↑](#footnote-ref-629)
630. . تاريخ ابن الوردي 171: 1. [↑](#footnote-ref-630)
631. . انظر الإمام الصادق والمذاهب الأربعة 157: 1. [↑](#footnote-ref-631)
632. . مروج الذهب 158: 3، وفيه: وهومكتوب إلى وقتنا هذا سنة( 332 ه). [↑](#footnote-ref-632)
633. . تاريخ خليفة: 111 و 192- 193. [↑](#footnote-ref-633)
634. . تاريخ اليعقوبي 285: 2. [↑](#footnote-ref-634)
635. . تاريخ خليفة: 190 و 191. [↑](#footnote-ref-635)
636. . المصدر السابق: 192. [↑](#footnote-ref-636)
637. . تاريخ اليعقوبي 285: 2. [↑](#footnote-ref-637)
638. . التنبيه والإشراف: 288 والإشبان معرّب الإسپان، وصحّف في اليعقوبي إلى إصفهان! [↑](#footnote-ref-638)
639. . تاريخ اليعقوبي 285: 2. [↑](#footnote-ref-639)
640. . تاريخ اليعقوبي 288: 2. [↑](#footnote-ref-640)
641. . تاريخ اليعقوبي 285: 2- 287. [↑](#footnote-ref-641)
642. . تاريخ اليعقوبي 288: 2- 289. [↑](#footnote-ref-642)
643. . ونقله اليعقوبي: لخمس عشرة حجّة! [↑](#footnote-ref-643)
644. . تاريخ خليفة: 193- 195. [↑](#footnote-ref-644)
645. . المصدر السابق: 195- 196 فهل كان ذلك مرّتين؟! [↑](#footnote-ref-645)
646. . المصدر السابق: 194. [↑](#footnote-ref-646)
647. . هذه تسعة أبيات أوّليّة من مجموع تسعة وعشرين بيتا استمر في سردها الكشي في رجاله وهوأقدم مصدر شيعي لهذا الخبر. [↑](#footnote-ref-647)
648. . اختيار معرفة الرجال: 129- 132، الحديث 207، ونشرت في ديوانه 178: 2، وبعد عشر سنين في( 105) تولّى هشام فمدحه الفرزدق بأكثر من عشرة قصائد هي في ديوانه مع قصائد عديدة في مدح آبائه حتّى معاوية والحجّاج! فهوشاعرهم. ولعلّ الإمام السجّاد جاد عليه ليقرّبه إليه ويبعّده عنهم فلم يبتعد، واللّه أعلم بمآله. نعم، لا ينكر تشيّعه في باطن أمره لآل البيت، ومنه تعلّم التشيّع لهم ابن اخته الكميت بن زيد الأسدي البصري( رحمه الله). [↑](#footnote-ref-648)
649. . تاريخ اليعقوبي 390: 2 وكأنه انفرد بهذا الحدث العظيم! [↑](#footnote-ref-649)
650. . المعارف: 445، والتنبيه والإشراف: 274 وقال: كان أسود، ومناقب الحلبي 190: 4. [↑](#footnote-ref-650)
651. . اختيار معرفة الرجال: 119، الحديث 190. [↑](#footnote-ref-651)
652. . الخبر في الإمامة والسياسة 51: 2: عبد الملك، وأثبتنا الصحيح. [↑](#footnote-ref-652)
653. . الطور: 21. [↑](#footnote-ref-653)
654. . البقرة: 115. [↑](#footnote-ref-654)
655. . الإمامة والسياسة 51: 2- 54. [↑](#footnote-ref-655)
656. . المعارف: 445- 446. [↑](#footnote-ref-656)
657. . أخبار إصبهان 324: 1. [↑](#footnote-ref-657)
658. . قاموس الرجال 86: 5. [↑](#footnote-ref-658)
659. . تاريخ اليعقوبي 290: 2. [↑](#footnote-ref-659)
660. . التنبيه والإشراف: 274. [↑](#footnote-ref-660)
661. . قاموس الرجال 601: 8 عن ذيل الطبري. [↑](#footnote-ref-661)
662. . الإرشاد 327: 1، وفي الإصابة 318: 3. [↑](#footnote-ref-662)
663. . قاموس الرجال 601: 8 عن ذيل الطبري. [↑](#footnote-ref-663)
664. . التنبيه والإشراف: 274- 275، والأخير في تاريخ اليعقوبي 291: 2. [↑](#footnote-ref-664)
665. . تاريخ مختصر الدول لابن العبري: 113، وتنسب قصّة أكله الطين إلى المأمون مع الرضا( ع)، خطأ. [↑](#footnote-ref-665)
666. . ابن الوردي 171: 1. [↑](#footnote-ref-666)
667. . تاريخ اليعقوبي 290: 2. [↑](#footnote-ref-667)
668. . اختيار معرفة الرجال: 119، الحديث 190. [↑](#footnote-ref-668)
669. . عن الصدوق في مناقب الحلبي 189: 4، وفي دلائل الإمامة: 80. [↑](#footnote-ref-669)
670. . اصول الكافي 468: 1، الباب 117، الحديث 6. [↑](#footnote-ref-670)
671. . مروج الذهب 160: 3. فهومصداق وعد اللّه إِنَّا أَعْطَيْناكَ الْكَوْثَرَ. [↑](#footnote-ref-671)
672. . تاريخ ابن الوردي 171: 1. وراجع حوادث عصر عاشوراء فهناك المزيد. [↑](#footnote-ref-672)
673. . الفصول المهمّة: 218. [↑](#footnote-ref-673)
674. . كفاية الأثر للخزّاز القمي: 319. [↑](#footnote-ref-674)
675. . أصول الكافي 305: 1، الحديث 1 و 2، الباب 69 في النّص والإشارة على أبي جعفر الباقر( ع)، وفي آخر الخبر: فلمّا توفّي جاء إخوة الباقر إليه وقالوا له: أعطنا نصيبنا ممّا في الصندوق! فقال: لوكان لكم فيه شي‏ء ما دفعه إليّ. ثمّ قال الباقر( ع): وكان في الصندوق سلاح رسول اللّه وكتبه. وفي الخبر الثاني: أما إنّه لم يكن فيه دينار ولا درهم، ولكن كان مملوءا علما. [↑](#footnote-ref-675)
676. . الزمر: 74. [↑](#footnote-ref-676)
677. . أصول الكافي 468: 1، الحديث 4 و 5 وذيل 4 الباب 117 مولد عليّ بن الحسين.

     ونحوه الصدوق في علل الشرائع 271: 1، الحديث 8، الباب 165 عن أبي حمزة الثمالي. [↑](#footnote-ref-677)
678. . مناقب آل أبي طالب 166: 4- 167. [↑](#footnote-ref-678)
679. . علل الشرائع 270: 1، الحديث 5 و 6، الباب 165. [↑](#footnote-ref-679)
680. . مناقب آل أبي طالب 167: 4، عن حلية الأولياء 136: 3 و 140. [↑](#footnote-ref-680)
681. . الإرشاد 149: 2 ومصادر، اخرى في الحاشية. [↑](#footnote-ref-681)
682. . مناقب آل أبي طالب 165: 4- 166 ونقل هذا في مطالب السؤول 45: 2 وعنه في كشف الغمة 13: 3، 14 وبهامشه مصادر كثيرة. ومرّ خبر الثمالي عن علل الشرائع للصدوق وفيه: كان يحمل صرر الدراهم والدنانير، لا الخبز! وهذه الصدقات كانت من صدقات جدّيه النبي والوصي التي ردّها عليه عبد الملك، كما في الإرشاد 150: 2. وقد جاء في الإيقاد: 204 عن جابر الجعفي أنّه لما جرّد الباقر أباه ليغسله بكى، فسأله عن بكائه فقال له: لمّا جرّدته رأيت آثار الجامعة في عنقه! والقيد في رجليه! وأقرّ محقّق الكتاب بأنّه لم يعثر بعد التتبّع على مثل هذا الخبر. [↑](#footnote-ref-682)
683. . مسارّ الشيعة: 62. [↑](#footnote-ref-683)
684. . مصباح المتهجّد: 551. [↑](#footnote-ref-684)
685. . روضة الواعظين: 242. [↑](#footnote-ref-685)
686. . دروس في فقه الإمامية: 153. [↑](#footnote-ref-686)
687. يوسفى غروى، محمدهادى، عصر الإمام السجاد، سياسيا و إجتماعيا، 1جلد، المجمع العالمي لاهل البيت (عليهم السلام) - قم - ايران، چاپ: 1، 1436 ه.ق. [↑](#footnote-ref-687)
688. يوسفى غروى، محمدهادى، عصر الإمام السجاد، سياسيا و إجتماعيا، 1جلد، المجمع العالمي لاهل البيت (عليهم السلام) - قم - ايران، چاپ: 1، 1436 ه.ق. [↑](#footnote-ref-688)